

مَجَلَّةٌ شَهْرِيَّةٌ يُعْنَى بِشُؤْنِ الْفِكْرِ

فِي هَذَا الْعَدَدِ

أبحاث

الدكتور سهيل ادريس	نورتا تموز
غالي شكري	هؤلاء علموا سلامه موسى
الدكتور خالد الصوفي	حول تاريخنا في اسبانيا
الدكتور زكي المحاسني	نقد القصائد
مطاع صفدي	نقد القصص
محيي الدين صبحي	في الشعر
عثمان سعدي	رسالة الى مناضل

قصائد

نزار قباني	لوليتا
م. عبد المنعم مجاهد	الشعب أحلى قصيدة
هارون هاشم رشيد	الطائر المعفر
ناجي علوش	تموز الذي مر بالامس
فارس قويدر	الفارس المصلوب
زكي قنصل	المربجي

قصص

ترجمة الدكتور سهيل ادريس	دريس (رواية فرنسية)
فاضل السباعي	الربع الحلال
ترجمة عصام صفدي	عدو الشعب (مسرحية نروجية)
جان الكسان	الشمس باردة في خط الاستواء
زكريا تامر	النهر ميت
ياسين رفاعية	الحزن في كل مكان

العدد الثامن
آب (أغسطس)

دار الآداب تقديم

الطبعة الثانية من كتاب الموسم

معركة المصير الواحد

لفيلسوف البعث العربي الكبير

ميشيل عفلق

صدر حديثا

قريبا جدا

دروب القومية العربية

للمفكر العربي الكبير

الدكتور عبد الله عبد الدائم

دراسات في صراعات القومية العربية ومكاسبها

العدد الثامن

آب (أغسطس)

السنة السابعة

No. 8 .. Août 1959

7ème ANNEE



مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر

بيروت

ص.ب ٤١٢٣ - تلفون ٣٢٨٣٢

AL-ADAB REVUE MENSUELLE CULTURELLE

BEYROUTH. LIBAN B.P. 4123

Tél. 32832

رئيس التحرير

والدبير المسؤول

الدكتور زهير إدريس

Rédacteur en chef et

directeur

SOUHEIL IDRISS

ثورات تموز...

ويلوح بديلا عنها بشعارات زائفة تحتل كل تأويل ،
وتناقض اشد التناقض ما يفرض في شعارات كل ثورة
من وضوح واخلاص وصدق . ثم اتاح للانتهازية الشيوعية
ان تمارس ارهابها بالضغط والتنكيل والجر بالحبال ، وظل
يلعب لعبته الصامتة الفاضة التي قد تدل على كل شيء ،
الا على انه ثوري مؤمن مخلص شريف .

سوف تحتفل العروبة بعد ايام بذكرى ثورة ٢٣ تموز .
فهل يسع العربي ، وهو بين هاتين الذكريتين ، الا ان يقارن
خط سير كل من الثورتين في مضمار القومية العربية ؟ ان
مصر تستدرك تخلفها الذي فرضه عهد الاستعمار والعزلة
لتنطلق في ميدان العروبة انطلاقا فتية خافقة تبوئها في
وقت يسير زعامة لامة العربية وتجعل منها رمزا للوحدة
المنتظرة الكبرى اذ تتحقق على يدها نواة هذه الوحدة
في شكل الجمهورية العربية المتحدة ، بينما نرى العراق ،
العراق الرسمي الحكومي ، يهدم مرة واحدة كل ما بنه
شعب العراق العظيم في صرح القومية العربية ، ويتحول
عن المجرى العربي النافق ، فيخون تاريخ العراق كله ، ذلك
التاريخ الذي كانت ابعد غاياته واحلى امانيه ان يحقق
وحدة الوطن العربي . وهكذا ينطلق في مضمار العروبة
بلد كان في تخلف كبير ، ويتخلف في هذا المضمار نفسه
بلد كان في ادروع الانطلاق . فهذه هي نسخة الثورة على يد
قاسم العراق ، وتلك هي زهوة الثورة على يد ناصر العرب !

لم تعش ثورة ١٤ تموز على وجهها الحقيقي الرائع الا
بضعة اسابيع . ثم قتلها الشيوعيون اذ حرفوها وزيفوا
حقيقتها وصرفوها الى غير الاتجاه الذي رصد لها ضمير
الشعب العربي في العراق وفي الوطن العربي كله .

واذا نحن احتفلنا اليوم بذكرى ١٤ تموز ، فانما نذكر
الثورة الطفل التي ولدت في مصر الالم العربي النبيل
في كل جزء من اجزاء الوطن الكبير - تلك الثورة التي
كانت جينا في صدر كل انسان عربي مهما ابتعدت به
المسافة عن بغداد ، لان كل انسان عربي كان يعيشها في
ضميره ويغذيها ويترقب يوم ولادتها ، فلما خرجت هذه
الثورة الى النور ، فرح بها سبعون مليونا ، لانهم جميعا
قد اجنوها في صدورهم واصابوا في مخاضها اشرف
العذاب وانبله . وهم اليوم ، بعد مرور عام ، لا يؤمنون
بان ثورتهم هذه قد ماتت ، بل مات المسخ المشوه الهجين
الذي استبد له بها مزيفو الحقيقة الانتهازيون . وليس
في اذهاننا اليوم ، ولن يكون في اذهاننا الى الابد ، الا
صورة تلك الانتفاضة النضرة الرائعة التي هي حلقة متينة
من سلسلة الانتفاضات العربية الكبرى في تاريخ خلقنا
الجديد .

ولم يطل بالشعب العربي الانتظار ، ليدرك ان الذي كان
بيده الحديد والنار ، وراح يرهب بهما العناصر القومية
المخلصة ليمحو على الشفاه شعارات العروبة والوحدة ،

الأدب

مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر

بيروت

ص.ب. ٤١٢٣ - تلفون ٣٢٨٣٢

★

الإدارة

شارع سوريا - راس الخندق العميق ، بناية الاسمر

★

الاشتراكات

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة

في الخارج : جنيهان استرلينيان

او ٥ دولارات

في امريكا : ١٠ دولارات

في الأرجنتين : ١٥٠ ريالا

الاشتراكات الرسمية : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها

تدفع قيمة الاشتراك مقدما

حالة مصرفية او بريدية

★

الاعلانات

يتفق بشأنها مع الإدارة

★

توجه المراسلات الى

مجلة الآداب ، بيروت ص.ب. ٤١٢٣

ان بحسب كل عربي ليحكم على انحراف ثورة ١٤ تموز ان يذكر كيف تطور موقف الاستعمار والصهيونية منها في مدى اسابيع قليلة ، فلقد تلقاها الاميركيون بالرعب فسارعوا الى انزال قواتهم في لبنان ، وذعرت بريطانيا اشد الذعر فزلت جيوشها الاردن ، وتحفزت اسرائيل فحشدت قواتها على الحدود . . ومضت اسابيع فانسحبت الجيوش الاميركية والانكليزية وقد تبدل زعرها امنا واطمئنانا ، وراحت اسرائيل وما تزال حتى اليوم تكيل المدح والثناء للجمهورية العراقية ولقاسم . . . افلا يدل اسط المنطق في هذه الاحداث المتقلبة على ان سياسة الحكومة العراقية تسائر الاستعمار وتماليء الصهيونية ، وان كانت تظهر في ذلك غير ما تخفي؟

وطوال هذا العام الذي انقضى على الثورة ، هل توضحت خطوط السياسة القاسمية ، الا ان يكون الوضوح في معاداتها للعروبة والقومية العربية واضطهاد العروبيين والقوميين العرب ؟ وذلك الخلاف المصطنع بينها وبين الشيوعيين الذي ابتداء بزعم اقصائهم وانتهى بتوليهم عدة وزارات ، اليس دليلا ناصعا على سياسة التتليس والتدجيل والتزييف ؟

ولقد استطاع قاسم ، ومن ورائه الشيوعيون المرشحون ابدا للخيانة ، ان يضللوا قسما كبيرا من الشعب العربي في العراق ، وان يخضعوا القسم الباقي للارهاب ، فتعطلت الطاقة الشعبية الواعية وشلت امكاناتها الثورية . ولكن الى متى يستمر التضليل والارهاب ؟ لقد قامت ثورة ١٤ تموز في الاصل لهدم التضليل الذي كان نوري السعيد وطفمته يفرقون فيه الشعب العربي في العراق ، ولنفض الارهاب الذي كانوا يسلطونه على عناصر الوعي والايمان بالمصير العربي الواحد . ولكن قاسم استغل هذه الثورة ليزيح نوري السعيد ويمارس على الشعب شبيه اساليبه التضليلية الارهابية ، يعاونه في ذلك الانتهازيون الطامحون ابدا الى الحكم ، فاذا بالثورة العظيمة التي انبثقت من ضمائر الملايين في الشعب العربي تجهض ، وتفتالها اليد التي اخرجتها الى النور .

ولكن الضمير العربي الذي استيقظ ماردا جبارا لن يدع الايدي الاثيمة القذرة تلغ في دماء ابنائه طويلا ، فان هذا الضمير هو الذي يخط القدر العربي الجديد ، ولا مرد لهذا القدر (١)

(١) القى رئيس التحرير هذه الكلمة في مهرجان جمعية متخرجي المقاصد الاسلامية ببيروت يوم ١٧ تموز الحالي .

كتاب الشهد

« دريس »

مأساة انسان الجزائر حين يدخل فرنسا !

عرضة وتخيصة
الكتورس هيل اريس

للا رواية الفرنسية
جهاين اوريانو

« دريس » رواية فرنسية صدرت اخيرا عن دار « جوليارد » بباريس . وهي اول اثر لكاتبة شابة تدعى « جانين اوريانو » يتوسمون لها مستقبلا لامعا في عالم القصة ، لما تمتلكه من حاسة فنية مرهفة ونضارة في السرد والتعبير ، ونزعة انسانية رائعة .

والذي يهم القارئ العربي من هذه الرواية انها تصور فرنسا سعيها وراء الرزق ، هذا الرزق الذي يحرمه اياه الاستعمار الفرنسي في وطنه وأرضه ، ويلوح له ويغريه به في الارض الفرنسية .. ودريس فرد من ملايين يريدون اقتناعهم بأنهم فرنسيون ، ثم يحرمونهم ادنى وسائل العيش ، فلا يشعرون حتى بأنهم من طينة البشر !

اننا نراه يتيه شاردا في الطرقات ، خاوي البطن ، وتتابعه في مراحل عذابه وسط مدينة لا تبالي به ، بل تسد في وجهه كل الابواب ، وترسل من يخدعه ويستلب منه آخر دراهمه ، ويظل هو محتفظا بالحنين الى وطنه الذي تظل للوعد والحب والكلمة فيه معان سامية ، كما يظل محتفظا بحس العزة والكرامة ، فلا يرتضي ان يدل نفسه على شدة حاجته لما يحفظ اوده . غير انه لا يستطيع ان يبقى طويلا في موقف الجياد من الشرور التي تحيط به وتهدهده في رزقه وحياته كلها ، فيتنبه ويعيش على الحذر ويقابل الشر بالشر في آخر المطاف ، وكأنه يرمز بذلك الى موقف بلاده المناضلة ضد قوى الشر والظلم .. وكما يكون عميقا صدى اعلان الثورة الجزائرية في نفس دريس ، وشعوره بيقظة امته وشعبه على حس الكرامة والانسانية .

ويسر « الاداب » ان تقدم تلخيصا وافيا لهذه الرواية الطيبة التي تثبت انه لا تزال ثمة جدوة في ضمائر بعض الاحرار في فرنسا . وبالرغم من ان في الرواية بعض مواقف تفسر نضال الجزائريين تفسيرات خاطئة ، فان فيها جهدا واضحا للاعتراف بحق الجزائر بالاستقلال والحرية .

« المترجم »

(١)

« وهذا اخر ... »

كلمتان كانتا كافيتين لخلق كل ما كان يعتلج في صدر « دريس » من أمل وفرح وحب . كلمتان كان يهمس بهما بين الفينة والفينة بعض المارة في شوارع باريس . وحين كان يسمعهما او يقرأهما في النظرات او يفاجئهما في حركة التراجع الا ارادية التي كان يقوم بها اولئك الذين كان يحاذيهم ، كان يشعر باستعداد كبير ليضحى بكل شيء من اجل ان يتخلص من هذا الشعر الاسود المتطاير في الهواء . كان يود لو ان بشرته كانت اقل خشونة ، وعينه اقل سوادا ، ولكنه كان يتمنى كذلك لو انه كان يملك بظلمونا غير مثقوب لدى الركبطين ، وحذاء نعله من جلد بدلا من هذا الخف المطاط .

ان دريس في الخامسة والعشرين . ولعل سبب هزاله انه اذا شبع يوما ، ظل يوما اخر على جوع . انه النموذج الممتد للجزائري السلفي

يرى وهو يجرجر قدميه بمحاذاة الجسور وعلى ارضية المقاهي ، وفي زراعه كيس من الفستق السوداني . ولقد مضى شهر على وصوله الى باريس ، وكان شديد الفخر بانه يحسن التحدث بالفرنسية ، وعميق الامل بانه لن يلبث طويلا حتى يجد له عملا . ولكن مضى شهر بحث فيه عبثا عن عمل ، ورأى المال الذي كان يملكه يلذوب بين اصابعه ، فجعل يتسائل بلا انقطاع : اترفض فرنسا التي توجه اليها بعد موت ابيه في « منصورة » ، اترفض فرنسا « بلده » ان تقدم له بضعة اوراق تتيح له ان يقيم اود اسرته ؟ اذا كان الامر كذلك ، فما كان اصدق « كليم سيد » الذي صاح بهم قبيل سفرهم ان فرنسا لن تكون ارحم بهم من الجزائر ! وهم كان هو ، دريس ، على خطأ حين ابتعد اذ عرض الخطيب على مواطنيه ان يتحدوا ليصاروا جنبا الى جنب ويقاوموا البطالة والبؤس وسائر الافات التي كانت تهددهم .

وحين كان على ظهر الباخرة التي تقله الى فرنسا ، كان يعي التفوق

الذي اكتسبه على أقرانه من جراء تلك الأعوام الخمسة التي قضاها في المدرسة الفرنسية الإسلامية ، وكان يؤمن بأن فرنسا لن تخيب أمه .. اما الآن ، هذا المساء .. فأيان يتوجه ليلتقط كسرة الخبز التسي تخدع جوعه ؟

وكان يهبط شارع سان ميشيل خافض الرأس ، يخشى أن يلتقي عيون النساء ، حين سمع من يوجه له الكلام . وعلى هذا النحو تصرف بالأنسة بلانش التي تمتعت تساله بتردد : « هل تعشيت ياسيد ؟ » فصعد الدم الى وجنتيه ، وأما تجره من ذراعه . وقال في نفسه انها مجنونة . ولكنها تابعت تقول « أحب ان اقدم لك شيئا ... أحب كثيرا » وبعدا له انها مصممة على الا تتبعه يلوذ بالفرار ، فقبل وهو يشعر بوطاة الجوع تثقل عليه ، ولحق بها مترددا وهو يتفحصها ويقدر لها من العمر اربعين سنة ، ثم تركز تفكيره في انه سيأكل الان حتى الشبع . وحين بلغت البيت رجته الا يحدث ضجة حتى لا ينتبه الجيران ويظنوا بهما الظنون ، وجلست قبالة في احدى غرف منزلها وهي تقول له « لا بد انك تتساءل اية امرأة هذه التي تقودك هكذا الى بيتها .. » وبدأ له انها قد فعلت ذلك لتروي له قصتها اذ بدأت تقول : « اني امرأة عانس اعيش وحدي كما ترى . ولكن منذ بضعة اسابيع ، كنت امرأة سعيدة

افتي وانصر كثيرا مما انا اليوم . »

وروت له انها لم تتزوج وان اختها عهت اليها ، وهي تموت ، في تربية ابنتها التي كانت تحبه كما لو انها كانت امه حقا ، فسيهرت على تربيتها حتى بلغ العشرين . واستطردت تقول :
- اما الان ، فلن اراه بعد ابدا . لقد مات . وقد قتله احبب رفاقك الجزائريين ..

وذعر دريس وتحفز للفرار او للدفاع عن نفسه اذا خطر لها ان ترتمي عليه ، وحسب انه قد فهم سبب دعوتها اياه الى منزلها . ومع ذلك ، فلم يكن في نظرها اي حقد . وقد اخذت تحدته بعد ذلك عن اخر رسالة تلقتها من « دانيال » وانه كان يقول دائما ان الجزائريين يعيشون في الشقاء ، وانه كان يود ان يساعدهم ويتمنى ان يعيش في الجزائر ، وانه كان يحبهم جميعا . واضافت تقول :

- ليس من اجل هذا دعوتك . لقد كتب لي دانيال بانكم كنتم اشقياء وان علينا ان نساعدكم ، وعلي انا ان اساعدكم .. ولشدة ما قرأت رسالته يبدو لي اني احمل هذه الكلمات في صدري ...
وكانت تتكلم كلاما مضطربا وتلوي يديها وهي تحدد نظرها فيه بما يشبه الذعر :

- لقد كنت كل صباح ابحث في الصحف عن اخبار الجزائر ، واخبار « العصاة » .. كانوا يقولون انكم كنتم تعذبون الجنود ، وكنت اتساءل عما اذا كنتم قد عذبتم دانيال قبل ان تقتلوه ، وكنت اكرههم واحقد عليكم ، ولكن ما ان اعود الى رسالته حتى يختلط كل شيء في رأسي . هل كنتم تقتلون النساء والاولاد ؟ وكنت اصيح : « ليذبحوهم جميعا ، وليتفقوا لي منهم ! » ولكني سرعان ما سمع عبارة دانيال وهي ترتفع الى اذني كأنها عتاب : « انهم تصاء ، ويجب ان نساعدكم .. » فاشعر بانني اخونه ، وبجن جنوني ، فمن الممكن ان يستحق غيره العقاب ، اما هو .. فلا .. اقسم لك انه لم يكن يستحق القتل !

ورأها تحبس دمعها وتلوي شفتيها بشكل توجع مؤلم ثم تقول :
- لم ارد في اول العهد ان ارى احدا . ولم اكن افكر الا فيه .. انه لم يكذب علي قط ، ولم يكن ممكنا ان تكون كلماته الاخيرة مناقضة للحقيقة . ولقد توجهت اليه في صلواتي ، وشعرت انه كان يريد ان يهتم بكم . من اجل هذا دعوتك الى مرافقتي هذا المساء ، حين رايت سحتك الجامعة .

واحس دريس بانها امرأة شقية ، ولكن لم يسهه الا ان يكن لها احتراما شيئا بهذا الذي كان يحسه لثمانيل القديسات التي كانت تزين كنيسة « منصورة » . وهو لم يسبق له ان التقى امرأة مثلها . لقد كان واجبا ان تساعده ، وقد رأها تبسط له يدها وتقول : « انسي سعيدة جدا ، ونظر الى يده الخشنة الوسخة تشد على يدها الناعمة البيضاء ، فشرع بالخلج وسارع بسحب يده ويغفيها في جيبه خشية ان تراها . ثم احس فجأة بالخيبة : كيف يستطيع ان يكون صديقها ، وهما مختلفان هذا الاختلاف كله ؟ وجهد ليقول لها : « انني سعيد جدا بان تكوني قد اهتممت بي » ولكنه جمل يتساءل بعد لحظات : « والعشاء؟ » وهم بان ينهض ، غير انه اخذ يترنج ، فنظرت اليه وسالته ما به فاجاب :

- ارجو العذرة .. انني لم اكد اكل شيئا هذا الصباح !
... وحرق الكونياك حلقه لشدته ، بينما ابلفته انها ماضية لاعداد العشاء في المطبخ ، وتنفس الصعداء ، وتلمس قماش المقعد الذي يجلس

دارالمعارف ببغروت

تختار للقاري العسيري الراتي

ناخذ عليك خط
تركه الكتاب قبل
ان تأتي على اخر
صفحة فيه

من اسرار القصص البوليسية



الثلاث الاولى نالت
جائزة امبار في امريكا
الثلاث الاخريات
ترقي فيها القصص البوليسية
الى المستوى الادبي الرفيع

الثلث ١٥٠ قرشا لبنانيا او ما يعادلها

ووعدها الا يعود لزيارتها الا حين يتمكن من تسديد دينه لها . انه لم يكن يطلب الاحسان ، فقد كان قادرا على ان يكسب عيشه .. ومد الورقة المالية الى « جول » فتناولها ودعاه الى مرافقته ، فتبعه وهو يخشى ان يفر بماله . وكان يأمل ان يتناول لقمة يسد بها جوعه ، ولكن جول افهمه بطريقة حاسمة انه يفضل شرب الخمر ، فاحس دريس بهزيمته وضعفه واستسلامه . وحين دلفا الى احدى الحانات ، طلب جول خمرا ، بينما طلب هو قهوة بالكريم املا ان يعطيه صاحب الحانة بضع قطع من السكر . وجرى الحديث بينهم ، فاخبره دريس انه لا يملك عملا ، فاذا بجول يتطوع ليدله على شخص يدعى السيد ارمان يستطيع ان يجد له عملا مقابل خمسة الاف فرنك ... فاصيب دريس بالخيبة وهو يتساءل من اين له ان يجد هذا المبلغ ؟ وفيما هو يفكر بذلك ، عاد صاحب الحانة بفنجان قهوة مع الكريم . فرأى دريس انه لم يكن على الصحن الا قطعة سكر واحدة ...

(٣)

بعد تردد طويل ، توجه دريس الى منزل اسرة جاك في شارع سانت جيمس ، وكان صديقه قد اعطاه عنوانه ورجاه ان يزور اسرته . وكان دريس وجاه قد تعارفا صبيين في مدرسة منصوره ، وفي اليوم الاول اقترب جاك منه وتتم : « ان اهلك فقراء جدا ، اليس كذلك ؟ » وكان الآخرون يشيرون الى اسماله ويضحكون . وما لبث الفتى الفرنسي ان عبر له عن رغبته في زيارة المشتى الذي كانت اسرة دريس

فيلسوف القومية العربية

ساطع المصري

يقدم أحدث كتبه

ما هي القومية؟

أبحاث ودراسات على ضوء الأبحاث النظرية

كتاب كل عربي يجب أن يقرأه ..

كتاب القومية العربية في صراعها مع العقائد المسيحية

دار العلم للملايين

عليه واغمض عينيه ، وهو يحلم بان كائنا بشريا يعد له الطعام . لسو عرف ابنها ، لمساعدته هذا الابن على ايجاد عمل . ومع ذلك ، اليس في فرنسا كلها من يعينه على ذلك ؟ ومد رجله على السجادة النظيفة فعادته الخجل وصمم على ان يستأذنها في ان يقتسل بعد ان يتناولوا العشاء . واحس بالداء يغمره ، فخلع سترته وطاوها بحيث يخفي كمها الممزق . ثم اسرع يتلع جرعة اخرى من الكونياك وهو يخشى ان تفاجئه في ذلك . واحس انه اصبح قادرا على الكلام ، واستولى عليه فرح شديد حين فكر بانه لو لم يكن هنا ، لكان في هذه اللحظات يبحث عن ماوى وطعام ... طعام .. واحس بالجوع من جديد . « اذا سقطت ، فان يدا سترفع رأسي ، وتسقيني الكونياك . ليس معي درهم واحد ، ومع ذلك فسوف اكل ، واشرب ، وهناك من يحدثني كما لو كنت كسائر الناس . »

وتأخرت الانسة بلانش ، فاحس ببعض لالم ، « ستسألني ، وتستفسر عن كل شيء ، في الجزائر ، وعن الحياة كيف يعيشها الناس هناك ، لقد انتهت قصتها ، واتى دور قصتي ، »

حياته : الطفولة ومدرسة منصوره وصداقته مع « جاك » الفرنسي الوحيد الذي عرفه حقا ، والحياة القاسية ، وموت الاب ، وازدياد قوة الحياة ، والجوع ، والجوع ايدا ... ان شيئا من ذلك لا يمكن ان يثير اهتمام احد . واستولى عليه الضيق ، فنهض مقتربا من احد الابواب وهو يتردد في فتحه .. وبعد لحظات ألقى نفسه في غرفة تشبه ماكان يتخيله من غرف الفتيات الجميلات اللواتي كان يلقاهن في الشوارع ويتابعهن بالفكر ويتصورهن وهن يخلعن ثيابهن قبل النوم . غير ان ما جمد عينيه وبسمته ، انما كان السرير ، هذا السرير الواسع المغطى بالقطيف اللامع . وخيل اليه ان ليس له الا ان يرتمي فوقه لينسى حياته الشقية ، ولينسى جوعه الجارف ، ولينسى وهنه اللامحدود . وفاجأته الانسة بلانش وهو يمر باصابعه على الفطاء ، فاخذ يرتعش ، وقال لها موضعا :

– لقد مضى علي وقت طويل لم انم فيه على سرير ..

فدفعته برفق خارج القاعة وقالت له بشيء من الجفاف :

– تعال فتناول عشاءك ، انه جاهز .

وقادته الى المطبخ حيث وضع على الطاولة صحتان ، فلجسا متقابلين

(٢)

ماكادت الشمس تطلع ، حتى كان دريس يشرد في حداثق الكمبيوتر . وسمع صوتا يناديه ، وحين التفت اليه رأى رجلا ينظر الى وجهه وثيابه وحذائه ، فخاف منه ، ولكن الرجل طلب منه ان يطمئن واخبره انه لا يريد الا الثروة معه . ولم يجرؤ دريس على الرفض ، فلبى دعوته الى الجلوس بقربه على احد المقاعد . ولم يلبث ان تأكد من انه لم يكن سريرا ، غير انه كان جائعا . وتردد دريس طويلا قبل ان يخبره انه يحمل خمسمئة فرنك « وبوسعنا ان نبحث عن شيء نأكله » وكان يحتفظ بهذا المبلغ للأيام السوداء ، غير انه لم يكن يعلم ان هذه « الأيام السوداء » ستاتي سريعة الى هذا الحد . وتندم انه عجل في عرض هذه الدراهم التي رفض وقتا طويلا ان يقبلها من الانسة بلانش ، تلك التي تناول معها مساء الامس عشاء لذيذا ، فقادته بعد ذلك الى الباب من غير ان يجرؤ على ان يعترف لها بانه لم يكن يعرف ابن ينام ، ولا ان يلتمس ركنا من البيت يقضي فيه ليلته . وفي اسفل السلم طلبت اليه ان يعود لزيارتها ودست في يده الورقة المالية . فشكرها محمرا الوجه .

انباء ولده ، ولكن دريس صارحه بانه قادم ليستفسر هو عن حال جاك بعد هذه الغيبة . ورجبت به الام الانيقة وذكرت له ان ابنها قد كتب لهم عن زيارته المنتظرة .

وكان الشاب الجزائري قلقا في جلسته تلك ، وسط تلك القاعة الجميلة النظيفة . وتحدث الجميع فترة عن الغائب ، ثم قال دريس للاب : « ارجو ان تبلفه ، حين تكتب له ، اني اود ان اعود الى بلادي » فساله الاب : « الم تجد العمل المناسب ؟ » والتفتت اليه ام جاك تنتظر جوابه ، فاخذ دريس يفكر بامه ، تلك التي كانت تبكي وتصرخ كثيرا وتحمل الاحجار والرمل والحبوب والتي كانت يداها قد قستا من فرط العمل واخذته رغبة مفاجئة بان يصيح : « انني وحدي ، لم اجد عملا ، ولم يبق معي مال ، ولا سقف يؤويني ، ولا اجد تذكرة للعودة الى بلادي .. وان في قدمي حذاء لا يخصني ... ولم اعد اعرف ما ينبغي ان افعل .. »

لاشك في انهما سيفهمانه اذا قال ذلك ، فيبدو انهما على استعداد لمساعدته ، ولكن جاك سيعرف ذلك عاجلا او اجلا . ولا يريد دريس ان يفترض صديقه الوحيد انه انما زار اسرته ليستجدي ...

ورفع عينيه واجاب بصوت هادي : « ليست هذه هي القضية . كل ما في الامر اني اردت ان اعرف انباء جاك . »

وانحنت ام جاك تقول له : « اذا لم تتيسر امورك او لم يعجبك عملك فبوسعك ان تعتمد علينا . انك صديق ابنا ونحن حريصون على مساعدتك يجب ان تعدني بان ترجع ولا تتردد في طلب المساعدة .

ورفع جبينه باعتزاز ورفض قائلا : الامور حسنة .. حسنة ... وارجو ان تبلفوا جاك ذلك . انا لست بحاجة لشيء . اردت فقط ان ازوركهم .

وران صمت حزين كان يشف عن شك الوالدين بان دريس صادق في كلامه . ومضت لحظات ، فنهض دريس واستأذن بالانصراف .

وبعد ان صافحه الاب بود ، اغلق الباب خلفه ، ثم انحنى على زوجته فقلبا ، وقالت هي له :

- انه يحسن التحدث بالفرنسية !

فاجابها : - تعرفين انهم ، هناك ، قد بنوا لهم مدارس رائعة !

({)

كان دريس ، يوم الاحد ذاك ، يسير وسط جمع حاشد متجه الى الكنيسة ، والتلج يكسو الطرقات والاشجار فيشعر الشاب الجزائري انه ليس يوما كسائر الايام .

وبالرغم مما اتخذ من احتياطات ، فقد تمكن الثلج من النفاذ الى قدميه عبر الحذاء المطاط . وفكر دريس بان جو الكنيسة سيكون ادفا ، وان بوسعه اذا دخلها ان يجفف ثوبه وقدميه . وتذكر اليوم الذي ادخله فيه جاك الى كنيسة منصور ، بالخفية عن ابيه الذي كان يعتبر ذلك تجديفا ولا شك . ومع ذلك ، فان والدريسي لم يكن يؤمن بشيء : كان قد فقد ايمانه مع تساقط المصائب عليه ، ولم يكن يامل في آخر ايامه الا بقطعة الارض الصغيرة التي كان يملكها ، بالرغم من انها كانت تصر على الا تنتج الا الحجارة والصخور . وكان يقول ان « الحكومة » كانت تستخدم الائمة والمفتين كجواسيس لها ...

وكان جاك قد حدث دريس ، بناء على طلبه ، عن دينه ، فكتشف له عن آله طيب جميل احس دريس بانه يملأ فراغ قلبه . وها هو ذا الان في احدى كنائسهم .. وتغنى لو كان معه « سجادة صلاة » اذن لوقف عليها ينظر الى الثلج وهو يذوب على حذائه .. ان بقعة

لهيشي فيه ، وكان ان عمقت صداقتهما بعد هذه الزيارة ، وكان جاك يصحب دريس ، بعد انتهاء الدروس مساء كل يوم ، الى بيته ، وكان يساعده احيانا في اعمال الحقل . وقد استمر جاك في زيارة دريس بعد تركه المدرسة ، على اثر وفاة والده ، وكان يصحح له الاخطاء التي يرتكبها وهو يتحدث بالفرنسية . وعلى مر الايام انشغل كل منهما بعمله ، فقل لقلؤهما ولكن صداقتهما لم تضعف قط .

وهين عادت اسرة جاك الى فرنسا ، تركت ابنها البالغ من العمر ثلاثة وعشرين عاما ، ينهي تدريبه في احد المصارف بالجزائر .

وكتب دريس لصديقه ، الذي كان انذاك في سيدي بلمباس يبلغه انه ينوي السفر الى فرنسا سعيًا وراء الرزق ، فاعطاه جاك عنوان اسرته والحق عليه بان يزورها . وعهد دريس بالبيت والحقل لاخته احمد ، ولم يتمكن من رؤية جاك قبل سفره .

وهاهو الان امام هذا المنزل الرائع ، اتراهم يقبلون زيارته ام يطردونه حين يرونه بهذا اللباس الزري ؟ وكان يهم بالعودة حين وقع بصره على قدميه : اترى جول لم يسخر به حين قبل ان يعمره حذاه ، هذا الذي هو واسع جدا على قدميه ؟ وقال في نفسه :

« لا اود ان اكون قد استعمرتاه منه بلا مقابل ! » فقد وعده بسان يقاسمه الهدية التي قد يتلقاها من اسرة صديقه .

واستقبله والد جاك ببسمة مرحبة وهو يامل ان يعرف منه بعض

دارالمعارف بلبنان

تقدم للقاري العربي

حديقة السجيرة

المصصة التي تفوق
رواية (موت كريستو)
في طرافها وروعها
وتعاقب حوادقها.



في كل من هذه
الروايات فاجأتني
النسبة شاصدها
وامجيزها على الائمة
يعودون بالملكية

من النسبة
١٩٥٠ ق.ل.

لا يحب بعضهم بعضا كما اوصاهم المسيح . وبينما كانت دموعه تنهمر ، كانت سعادة رائعة تفرهه ، اذ لم يعد يشعر وسط هؤلاء الراكعين انه « غريب » ، وانما كان يحس انه كبير حي ، يحبه الاله اكثر مما يحبه الآخرون ، كما لو ان بشرته كانت بيضاء ، وشعره ناعما اشقر ، كما لو انه لم يكن « واحدا آخر » ...

(٥)

قال له الرجل ان مبيته في ذلك الحان يكلفه ثمانئة فرنك في الشهر ، وكان من شدة الارهاق والنعاس بحيث لم يجد اية شجاعة للنقاش ، بله المساومة . ودله الرجل على طريق القبو وهو يقول ان عنده الان اثني عشر رجلا ، وان من حسن حظه انه ما يزال هناك فراش من القش يستطيع ان ينام فوقه . ولكنه ابلغه انه لا يحق له ان ينام اكثر من ثماني ساعات ، وحين ساله عما اذا كان يجلب معه غطاء ، اجاب بالنفي ولكنه اضاف بان لاجابة به لغطاء . ودلف الى القبو ، فخيّل اليه انه يفصل عن كل ماهو حي ، وجعل يرتعش في الصمت الثلج وهو يحسب ان هذه صورة الجحيم : سلم يهبط هبوطا سرمديا ومن العتب ان يحاول المرء ارتقاؤه من جديد ... وانبعثت في انفه روائح عفنة وتوتنة ، فعلم انه اصبح في القبو الذي كان يضم رجلا لا يتحركون ، وجرذاذا تصر باسنانها .. وتلمس طريقه الى الفراش الوحيد الذي بقي فارغا ، وحاذر ان يدوس قدم احد من النائمين ، حتى اذا بلغ فراشه ، ارتدى عليه وهو يتنهد ، وجعل ينتظر ان يأخذه النوم.

من الماء بدأت تتشكل تحت قدميه ، وان الخوف بدا يستولي عليه ، فقال في نفسه « اذا لطخت كنيتهم فسيطردوني منها ! » ولكن نفسه انبسطت اذ رآى الكنيسة تقص بالناس ، ولح كرسيا فارغا فسارع الى احتلاله . والتفت الى المذبح ، فتأثر لرؤية المسيح مصلوبا فوقه . وتمنى لو كانت امه الى جانبه : اذن لاراه كل ما كان يشتر اعجابه هنا . وردد اسم المسيح الذي كان صديقه جاك يدعو « يسوع » والذي اصبح يحبه كما كان صديقه يحبه ، ولكنه فقد حن ابتعد عن جاك الذي كان يؤمن به عميق الايمان ..

ولقد طلب دريس معونة المسيح ليجد عملا وليسد جوعه .. ولكن يسوع هذا الذي قال انه سيطعم الجائعين وعصافير الحقول الصغيرة لم يهتم حتى بان يستطيع دريس ان يضع يده على كسرة الخبز التي كان يمكن ان تملأ جوفه .. على انه الان يعود فيجده هذا الصباح ، وانه يرجع اليه كما كان قد تركه .

واخذ دريس يتساءل ، وهو يتأمل من كانوا بجواره ، هل كانوا هم ايضا يحسون بالمسيح قريبا وحيا ؟ مهما يكن من امر ، فانه هو نفسه لا يرى فيهم بعد اولئك الذين كان يخشاهم ويتفادى انظارهم ، وانما اصبح يشعر انه قد اصبح شبيههم وانه ، وهو يشاطرهم احاسيسهم للمرة الاولى منذ قدم فرنسا ، قد كف عن ان يكون وحيدا منعزلا . وراح يستمع الى الكاهن يلقي عظته وهو يبسط ذراعيه قائلا :

- يا اخوتي ! كيف يستطيع من لا يحب اخاه الذي يراه ان يحب الرب الذي لا يراه ؟

وخيل لدريس ذات لحظة ان عيني الكاهن تستقران عليه ، وارتعش اذ فكر بانهم قد يجدون دخوله الى هذا امرا عجيبا ما دام لا يحب اخوته .. لقد كان يشعر بالكراهية للكثيرين : لجميع اولئك الذين كانوا يعودون في المساء الى بيوتهم اذ يشعر بانه يكاد يسقط من النعاس ، وجمع اولئك الذين كانوا يضعون المعاطف على ظهورهم ، والاحذية في اقدامهم ، والنساء الى جانبهم ... واخذ يتأمل المسيح على صليبه : انه هو ايضا لم يأخذ شيئا ، لم يعطه احد شيئا ، ومع ذلك فقد احب حتى الموت .

واستمر الكاهن في موعظته : - اذا كنتم تحبون جاركم حقاً فانكم تبحثون عنه حيث يختبئ ، من غير ان تنتظروا ان يجيئكم ليركم جروحه فيشر فيكم شفقة مصطنعة ما تلبثون طويلا حتى تنسوها بمجرد ان يسدل الستار على مصائبه ..

وحاول دريس لدى سماعه ذلك ان يخفي قدميه شبه العاريتين واسمائه البالية .. ان الكاهن يقصده للمرة الثانية ، وانه ليستشعر من ذلك الخجل . واجال نظره حوله فمجب ان يرى الوجوه جامدة ساكنة ، كان هذا الكلام الذي نفذ الى اعماقه لم يسمعه واحد منهم ، او كانه موجه الى سواهم . وفكر في ان الانسة بلانش كانت تشمر بالفخر والاعتزاز لو انها كانت هنا .. ولكن الانسة بلانش كانت مجنونة ! هذا كل ما في الامر !

وانبعثت الموسيقى فاخذ الجميع يصلون . وراح هو يقلبهم دون ان يعي ، وركع مثلهم ، فشعر بان الموسيقى تتسلل الى اعماقه فتذيب فيها كل مرارة او قسوة ، ولا تخلف لديه الا احساسا بالراحة والرضى . واستخفت به فرحة لم يدرك كنهها ، فجعل يبكي بصمت وحنان ، يبكي على نفسه وعلى امه ، وعلى بلاده ، وعلى جميع الذين

دارالمعارف بلبنان

تقدم للقارئ العربي تاريخ الشعر العراقي المعاصر
تطويره واتجاهاته الفنية واعلامه البارزين في كتاب

العراق في نثره
وانشأه نثره
الشعر الحديث

الشعر والشعراء في العراق



دراسة ومختارات
بقلم
أحمد أبو سعدة

منه نسخة
٦٠٠ ق.ل أوتابادها

ذلك لعبة وتسلية ، بل كانا متشنجي الاعصاب ، متوتري الاطراف .
ولقد استشعر دريس من ذلك استمرازا كبيرا ، والتفت الى الجدار بحيث
لا يراها بعد ولكنه مالبث ان احس في نفسه رغبة في ان يتطلع هو
نفسه عبر النافذة . وجعل يفكر في الحب . وقال في نفسه :

« انني اعشق جميع الفتيات ... ليعطوني اية فتاة ، جميلة كانت
او قبيحة ، شابة او مسنة ... ان ذلك لا يهمني اذا نجحت تلك الفتاة
في ان تسييني من انا لبضع دقائق ! »

والهبت كلمة « فتاة » النابضة بالحرارة ورغبته وشهوته . لو انه كان
جميلا لتعرف الى امرأة تملك غرفة ، ولسكن عندها .. ولم يكن دريس
ليدري ايها اشد رغبة به : السرير ام المرأة ؟

وتذكر تلك التي كانوا يروون قصتها في منصورة والتي سافرت الى
باريس وهي في الخامسة عشرة ، فلم تلبث طويلا حتى افنتت ببيع
نفسها لمواطنيها كانوا قد اغتنتوا بدورهم .

وحلم بها ، واوشك ان يمد لها يده وان يحتفظ بها لنفسه . غير
ان هذا الحلم مالبث ان اله ، اذ ان البغي تلبست وجه اخته الصغيرة
التي تركها في القرية والتي كان يحبها حبا عظيما .

وكسائر الرجال النائمين حوله ، قذف دريس بقبضته في الهواء وارسل
اينما متقطعا في النوم .

وحين افاق ، صعدت الى شفتيه صلاة :

« ابتهل اليك ياربى بالا تاتي اختي الصغيرة الى فرنسا ابدا ! »

(٦)

كان دريس يتنقل بين اربعة المقاهي وهو يعرض على الناس بضاعته
من الفستق السوداني الذي علق سلته في ذراعه ، وكان عليه ان يبيع
منه بعض الاكياس ، والا فان صديقه حسن الذي عهد اليه في سلته
ريشما يتناول غداه لن يكون راضيا ، ولن يمكنه بعد ذلك ان يساعد
في الملمات . اما اذا باع بعض الاكياس ، فسريع مئة فرنك تمكنه من
ان يسد رمقه .

وكان دريس خارجا من احد المقاهي ، حين حسب انه يرى صديقه
جاءه في احدى سيارات الاوتوبيس المسرعة . وقد شاء ان يبدو خلف
السيارة ، ولكن سلته سقطت على الارض ، نائرة محتواها في كل اتجاه .
وانفجر ضاحكا فجأة ، وقد بدا له ان حياة جديدة تبدأ ، وان الحياة
القديمة بدأت تولي .

وانتبه دريس الى بيت جاك ، وانشا يتقرب دخوله او خروجه من
منزله ... جاك ، صديق الطفولة الذي كان يكور قبضته للدفاع عنه حين
كان احدهم يؤذيه او يتهدده ، وكان لا يقبل المشاركة في لعبة لا يشارك فيها
دريس ، وكان يساعده في قراءة الفرنسية وكتابتها .. جاك الذي بكى
خفية حين تقيب رفيقه الجزائري عن المدرسة ذات يوم ..

وتسرب نوع من القلق الى رأس دريس : لماذا عاد جاك ، وهو الذي
كان يدعي انه يحب الجزائر اكثر من أي بلد في العالم ويود ان يبقى
فيها الى الابد ؟ اتراه حين عاد الى هذا الحي الاثني من باريس فايزال
يحتفظ بالبساطة التي كان يبدو عليها في منصورة ؟

وفيما هو يتساءل كذلك ، برزت ام جاك ، فامتلا رعبا لرؤيتها واولاهها
ظهرا حتى لا تعرفه . وقال في نفسه : لو راتني لظنت اني عدت اطلب
مالا ، ولا يلفت جاك ذلك ومنعته من مقابلي !

وحين ظهر جاك اخيرا ، ناداه دريس باعلى صوته ، كما لو انهما
يلتقيان من جديد في منصورة . وتوقف الشاب الاثني وامر يدا شاردة

ولكنه مالبث ان احس بلسعة البرد ، وعاوده ذلك السعال ، فجهد في
ان يكظمه حتى لا يوقظ الآخرين . وصمم على ان ينام مهما كلفه الامر ؟
غير انه اخذ يتخيل الجردان تترصده بعينها الصغيرة تناهب النحت
وجهه .. واخفى وجهه بذراعيه ، فشم رائحة ننتة من فراشه ، رائحة
غيظ وعرق .. ولم يدرك ان كانت هذه الرائحة تنبعث من الفراش حقا
ام من جسده هو بالذات ، فقد كان يعد نفسه منذ ايام طويلة ان يقتل
ولكنه لا يجد فرصة لذلك . وقال في نفسه : « حين كنت صغيرا ، كانت
امي تفسلني بيديها . » وشق عليه ان يمكس دموعه وهو يجهد فسي
تذكر يدي امه ، فلا يتذكرهما .

ولا يدري لماذا استولى عليه الخوف من جميع هؤلاء الذين كانوا نائمين
حوله . وعاد يشعر بالبرد ، فرأى في ركن من القبو ركاما من الجرائد
القديمة ، وخشى ان يكون زملاؤه قد استعملوها لحاجتهم ، ولكنه اطمأن
حين لمسها بيده ، فتناولها والتف بها كما تأتي له .

ومضت فترة ، فشم بان النوم يسخر منه هو الآخر . وكان الباب
يفتح بين لحظة واخرى ، فيخرج رجل ويدخل اخر فيرتمي على
الفراش . وكان بعض النائمين يهدون ويهددون ويرسلون قبضاتهم في
الهواء ويتقلبون بلا انقطاع . وبعد قليل رأى دريس عربيين يدخلان
فيحتلان فراشين ولكنهما لا ينامان بل يجلسان وياخذان في التطلع فوق ،
الى الطريق العام ، عبر نافذة صغيرة في اعلى الجدار . وادرك دريس
سريعا ان النساء وحدهن كن يجلبن انظارهما ، فيحاولان ان ينظرا ماتحت
التنانير ، وكان وضعهما يمكنهما من ذلك ، ولم يكن يبدو انهما يتخذان

دارالمعارف بلبنان

تطلّع الأدباء والطبقة الراقية من المثقفين على جانب
رائع من جوانب الشعر المعاصر في كتاب

الشعر والشعراء في السودان

السردان في ثورة
الحرية - السردان
المنطلق الى المستقبل

دراسات ومقدمات
بقلم
احمد ابو سعد



ثمن النسخة
٥٠٠ ق.ل.

- ولكن الذي لافهمه هو : لماذا عدت انت ؟

- لاستطيع اولا ، كما اعتقد ، ان انظر اليك هذا المساء كما افعل الان ، من غير ان اخفي عنك شيئا . فلو بقيت اكثر من ذلك ولو يوما واحدا ، وكنت مضطرا الى قتل احد مواطنيك ، لكان علي ان اهرب حين اراك ، فاني لن اجرؤ على لقائك مرة اخرى .

وصمت لحظة ، وكان دريس ينتظر ان يتم كلامه بتنبه شديد :

- ورجعت كذلك بسببي انا : اريد ان استطيع ان انظر الى صورتني في مرآة وانا اقول لنفسني : « ان من تراه هو انت ، ومن انت في الحقيقة ؟ » . وحين يطرح الانسان على نفسه هذا السؤال بصورة عامة يفاجأ ويخاف . والحق اني لم اعد استطيع ان اجيب على نفسي كما كان في السابق ، وكنت اتفادى ان انظر الى صورتني في مرآة ، وكنت ازداد زهدا في ان احلل ذاتي . كنت اهرب من نفسي ، بكلمة واحدة . فسأله دريس بصوت اصم :

- ولكن ماذا حدث ؟ وماذا رايت تماما ؟ لماذا تغيرت هذا التغير ؟

- تذكر .. لقد بدأ كل شيء في تشرين الثاني ، بالقرب من فلسطين .. وكنا آنذاك قد افترقنا ، وكنت انت على وشك السفر دون ان تشعر بشيء . لقد تركت سيدي بلعباس لتوجه الى « بطنا » . وسوف اذكرك دائما ذلك المشهد الذي كان ينتظرني . لقد كان مريعا . لقد ارتكبت وما تزالون ترتكبون الفظائع ضد الفرنسيين اصدقائي . انكم تقتلونهم بقسوة مرهقة حتى يخيل للمرء ان ذلك لعبة في نظركم . لقد قتلتم نساء وذبحتم اطفالا .. كما لو ان الحياة البشرية لا قيمة لها . واستطرد جاك بصوت منخفض :

« ولكننا نحن قد احرقنا قرى برمتها ، وقتلنا من الخلف الوفا من

على جيئته . وكادت سيارة تسحق دريس حين اجتاز الطريق واذ بلغ مكان صديقه ، وقف خجلا امامه . ولم يد جاك اية حركة ، فتمتم دريس اسمه مرة ، كانما يبتهل اليه بصمت ان يقطع فترة هذا الانتظار ويعرفه . وكانت الفرحة تفيض منه وتكاد تخنقه حين امسك جاك بلذراعه اخيرا ، وكان الالم يطبع وجهه ، كانما لم يكن سعيدا بلقائه مرة اخرى ، وكان يتسهم بسمة مقتسرة وهو يتفحص ثيابه ويقف نظره عند حذائه المطاط فسأله وهو يضحك للمرة الاولى :

« اليس هذا هو الحذاء الذي اشتريته في منصورة وكنا معا ؟ »

فاجابه دريس « تريد ان تقول ان الحذاء قد تغير كثيرا ، اليس كذلك ؟ » ومن غير ان ينتظر جوابه ، استطرد يقول : « مهما يكن ، فاني سعيد بان اراك هنا . سوف تساعدني على ان اعود الى بلدي » فقطب جاك حاجبيه وعاد يقول ضاحكا : « اراك على عجل ! فماذا هناك ؟ الست سعيدا في فرنسا ؟ في « بلدك » ؟

واستعاد رصانته فجأة ، ثم امر ذراعيه تحت ذراع دريس وقال له : « هيا ، تعال ننتزه ، كما كنا نفعل هناك ... »

ومضيا يسيران بلا غاية . ومضت لحظات من الصمت شعرا فيها بان السنوات التي قضياها معا تبعد عنهما ، هذه السنوات التي لن يلتقيا بها بعد ابدا ، واحسا بانهم لم يبق بينهما شيء يربط احدهما بالآخر . ولكي يبدأ معا من جديد ، ويجاولا ان يملأ هذه الفجوة التي كانت تفصل بينهما ، اخذا يتحدثان عن الطقس وعن البرد الذي نسيه كلاهما .

(٧)

« كتب عليكم القتال وهو كره لكم »

القرآن

دخلا حانة صغيرة خالية واتجها الى طاولة في جوف القاعة . وطلب جاك من دريس ان يتكلم فاجاب « بل تكلم انت ، فانا ليس عندي شيء .. ليس من عمل ، فليس من مال اذن ، لاشيء ... » وانتفض جاك . لقد كان هو ايضا شقيا منذ غادر الجزائر :

- اعرف ذلك يادريس . اعرف انكم الالف من العاطلين تنامون تحت الجسور وتتضورون جوعا . لم اكن بحاجة الى وقت طويل لمعرفة ذلك . وسأله دريس بابتسامة صفراء :

- هل سميت الى لقائي ؟

- نعم . لقد اخبرني اهلي بزيارتك وبدا لي انهم منزعمون ، فماذا عملت لهم ؟ ان بوسعي ان اتخيل انه لم يكن عليك الا ان تقف في وسط صالونهم الجميل حتى يشعروا بانهم مذنبون . ولم يريدوا تصديقي حين حدثتهم عن بؤسك .. ولكن ليس عليهم الا ان يعبروا هذه الاحياء التي اعرفها الان .. فاذا لم يجرؤوا على فتح عيونهم كبيرة واسعة ، فليفيقوها وليخفوا نظراتهم ! سيكونون مضطرين آنذاك الى معرفة بؤسكم . ولكن الحقيقة انهم يتفادون التردد الى هذه الاحياء ، يتجنبون سؤال الاطفال الذين يهربون من حول سياراتهم حين يدخلون بها هذه الجهات . وحين يقال لهم انكم جموع تتعلمون احتقارهم يضحكون ويتهموني بانني قليل الخبرة لحداثة سني ، ويتخيلون انك ستغير رايتك على مر الايام ، حين تبيع مالا يكفي لشراء سيارة واقتناء كل ما ترغبه . انهم يتصورون انك ستنسى

وقاطعه دريس قائلا - انني لم احتقرهم بعد ، ولكن يجب ان اعود الى بلدي يا جاك . فساعدني . لقد ادرت اني لن اصل هنا الى شيء . كنت اجهل ذلك كله يا عزيزي ، والا لمنعتك من المجيء .

قريبا جبا يصدر عن « دار الثقافة » :

تاريخ لبنان

للدكتور فيليب حتي

ترجمة الدكتور أنيس فريجه

ومراجعة الدكتور نقولا زياده

انه لسفر عظيم فخم وتاريخ صميم ضخمة ، مرجع كل باحث متعمق وزاد وفير لكل استاذ مدرس . انيق الطباعة والاخراج ، مزين بالرسوم الملونة النادرة والخرائط الجغرافية المتقنة . يقع بحوالي ٧٥٠ من القطع الكبير . بادروا الى حجز نسخكم منه واطلبوه من « دار الثقافة » وعن جميع الدور الكبرى

عن « دار الثقافة »

صدر المجلد السادس عشر من كتاب الاغاني لابي الفرج الاصبهاني . كتاب غني عن التعريف مفخرة المكتبة العربية وانيس المتأدبين وينبوع ثر للادباء . وقد تم كذلك طبع المجلدين السابع عشر والثامن عشر ودار الثقافة اذ تقدم اليوم هذه الاجزاء تتعهد بانهاء هذه السفر الحليل في بحر هذا العام . وهكذا سيصبح عدد المجلدات كلها ٢٥ مجلدا بما فيه المجلدان للفهارس والاضافات للتراجم المنسية في جميع النسخات المطبوعة سابقا .

باشروا الى حجز نسخكم منه مع العلم ان ثمن النسخة اليوم ٦ ليرات لبنانية وبدل الاشتراك في المجموعة كلها ٢٥ ليرة لبنانية بما فيه اجرة البريد المسجل

لا يعرفون الفرنسيين ، ولأنهم يريدون أن ينسوا ما فعلوه لأجلهم ولا يذكروا إلا رجالا أذلهم واساءوا معاملتهم . والحق أنني أخشى ألا تكون بمنجى من المآخذ . فنحن لم نذهب لنراهم في أكواخهم ، وظللنا بعيدين عن الأغلبية الكبرى ، عن تلك الجموع التي تحتاج إلى خبز ، والتي تموت بالأمراض والقطارات . أن بوسع الأطباء أن يشفوهم ، إذا كان هناك ، خارج المدن ، أكثر من عشرة أطباء لمئة ألف نسمة .

« وها أن هذه الجموع تنفجر الآن حقداً وكرهية .. أن الناس حين يتصورون جوعاً لا يطلبون إلا معرفة المسؤولين . ونحن لم نخفض رؤوسنا بما فيه الكفاية لندخل تلك الأقبية التي لم تكن مضادة بما فيه الكفاية لنرى ما في داخلها ! »

وأضاف جاك كأنما يطلب معونة صديقه : « لا أدري يا دريس من منا على حق . ولهذا تراني قد عدت . فليس في وسع المرء هناك أن يبقى على الحياد ، حين يكون في جيبه مسدس .. وحتى لو افترنا بأننا محقون ، فساشر باتي مجرم إذا أطلقت عليك النار . أن الإنسان الذي يقتل إنساناً آخر ، بأنسا عانى طوال حياته ، فينزعه منه هذه الفرصة العظيمة التي تمكنه من أن يعرف قليلاً من السعادة فوق أرضه التي رواها بعرقه ، أن هذا الإنسان هو على خطأ . »

وصمت جاك لحظة ثم التفت إلى دريس يقول له : « اعذرني على أن أطلت الكلام . فالحق أنه ليس هناك سؤال من استطيع أن قول له ما قلت . وأنا لأشعر أنني قادر على أن أناقش جميع أولئك الأشخاص الذين لم يضعوا قدمهم في أرض الجزائر وهم يسمحون مع ذلك أن يتحدثوا في موضوعها ويفرضوا عليك الصمت ... »

فقال دريس متأثراً : « أن كل ما تقوله صحيح يا جاك ، وأنا سعيد بأن القالة ثانية »

فابتسم له جاك بسمة ود وقال : « أنا لم أكن أود لقاءك كثيراً . أما وانك الآن هنا ، إلى قربي اليست مكافأة لي أن أغرق عيني في عينيك ، بلا خوف ولا أفكار مسبقة ؟ لقد غادرت ذلك البلد الذي كنت أحبه فارغ اليدين ، وتركت فيه كل ما كان يهمني . أما هنا ، فعلي أن أبدأ كل شيء من جديد . ولكنك تظل دائماً صديقي . وأنا على حق بأن أقول ذلك لأنني قررت ، يوم أعطوني سلاحاً وسمحوا لي بأن استعمله ، أن أعود في أول طائرة . »

ولم تصل هذه الكلمات الأخيرة إلى سمع دريس إلا من خلال ضباب ، فقد كان يتابع فكرة في ذهنه عبر عنها بقوله :

— إذا كان أخوتي يقاتلون ، فعلي أن انضم إليهم .
وقفز جاك لدى سماعه كلمة « أخوة » وفتح فمه ، ولكن لم يقل شيئاً . وسأله دريس عما إذا كان قد زار أمه قبل مجيئه إلى فرنسا فاجاب جاك بأنه ألم بمنصورة ورأى أمه فوجدها تعلم كل ما يحدث وتشعر بالسعادة ، وسألها إذا كانت تود أن ترسل لدريس شيئاً فاجابت بأنها لو كانت تحسن الكتابة لكتبت له مجلداً ضخماً ، ولكنها تضع كل أمليها في العام القادم :

— لقد كانت تتصور أنهم سيعطونها أرضاً بعد أشهر من الصراع . وقد بدت لي مسرورة وغير مضطربة للدم الذي يجري ، وتبدو لها المذبحة الحالية طبيعية .

وقال دريس : — لقد تأملت كثيراً ، ولم يبق لها ما تفقده . تصور أنها اضطرت إلى إخراجي من المدرسة حين كانت شديدة الفخر بما كنت أحرزه من تقدم . فما كان جدوى ذلك ، آخر الأمر ؟ كان لدي هناك من العمل

مواطنيك في ظهورهم لنروي نارنا . فماذا تريدني أن أفعل وسط هذا الانقلاب كله ، أنا الذي أحب شعبك حبي لشعبي ؟ لا أريد أن أعرف من منهما كان البادئ . فليس هذا هو المهم ، وهذا لا يبرر شيئاً .. »
ونطق جاك بالعبرة الأخيرة في هدير ، وكان يضغط رأسه بسين قبضتيه ضغطاً شديداً تبيض منه أظفاره ، فكانما كان يريد أن يسحق بين يديه كل ما كان يشير حنقه وغضبه .

وكان دريس يترصده جاك ، من غير أن تأتيه كلمة واحدة من الأسئلة الكثيرة التي كان يود أن يطرحها عليه . لقد لقي صديقه مرة أخرى ، ولكنه لم يكن يستطيع أن يتحدث إليه بقلب مفتوح كالسابق . كان يستحيل عليه أن يصارحه بهذه السعادة التي كانت تغمره إذ يفكر بأن شعبه قد استيقظ أخيراً وبدأ ينفض عنه جموده الطويل . كان يشعر ، وعينه تلتصقان بالحماسة ، بأنه يعيش بكثافة سلسلة طويلة من الأيام التي تعوض عن تلك الساعات الضائعة الفارغة ، اللامجدية .

وكان يتمتع بهذه الهنئات حتى ليكاد يصاب منها بالدوار . سوف يصبح ، ابتداء من هذه اللحظة ، إنساناً آخر ، إنساناً أفضل ...

— أنهم إذن يقاتلون ؟ أيجرؤون حقاً على مهاجمتك ؟

— وكان وجهه يعبر عن الفرح والاعتزاز . وقال جاك :

— أجل ، أنهم يتقاتلون ، ولكنهم جميعاً على ضلال . فلئن كان بعضهم قد شهبوا السلاح لأنهم يتعفنون في الشقاء والبؤس ، ولأنهم لا يريدون أن يروا نساءهم وأطفالهم يموتون جوعاً ، فإن آخرين يقاتلون ليستولوا على السلطة ويحكموا هم أنفسهم . وهناك أيضاً ممن لا يستطيعون أن يشرحوا لماذا هم يقتلون .. أنه لفر للمرء أن يشعر بأنه ينتقم حين لا يكون سعيداً ! ويبقى أخيراً أولئك الذين يقتلون بدافع الجهل ، لأنهم

صدر حديثاً عن دار المكشوف

المحيط

في أدب البكالوريا

الجزء الأول

لجبران مسعود

وهو يتبسط في منهج الأدب العربي في البكالوريا اللبنانية ، فيتناول المواد التي تدرس في الصف الثاني الخامس ، بأسلوب علمي جديد معزز بالدراسات التمهيدية ، والتحليل الوافي ، والمقارنات الواضحة ، والنصوص المبوبة المشروحة

تحت الطبع : الجزء الثاني

وفيه منهج الصف الثاني السادس (البكالوريا)

اكثر مما اجد هنا ؟

واستولت على جاك سورة غضب جديدة فصاح بصديقه :

- هذا صحيح ! فما الذي تفعله في هذه البلاد ؟ كل يوم يصل عدد اخر من اقربائك او رفاقك ! ومع ذلك ، فانكم تشغلون جميع الاعمال القذرة هنا .. فلماذا اتيتم بهذه الكثرة الى فرنسا ؟ مايفعل هذه الجيش اللجب من الرؤوس الجاهلة والايدي الفارغة ؟ اي شيء تاملون صنعه ؟ ان مجرد رؤية اشخاصكم تعرب النساء وتوحي للآخرين الحلبي . فلماذا ؟ ساجيبك لماذا ! لقد قدموا لكم وعودا كثيرة ثم وضعوها على الرف .. فكم ارسلت الى امك منذ ذهابك ؟ لقد كرروا ورددوا انكم فرنسيون . ولقد شعرت ان بارس لا تخصكم كما تخص الآخرين . الم يبرهن لكم سكانها على انكم مختلفون عنهم ، وانكم تنتمون الى وطن اخر .. ان شعورك بانك فرنسي يشبه الى حد شعور ابي بانه عربي حين يدخل مشتي من مشاتيكم . فباي حق نجذبكم الينا ، بينما نحتفظ بقبضاتنا مكورة ولا نريد ان نضع شيئا في ايديكم ؟

وكان احساس دريس يزداد عمقا بان صديقه يعبر عن افكاره هو بالذات ، وانه يثور كثورته ، ويحس بمثل اشمئزاه . وما لبث بريق الفخر ان حل في عيني جاك محل بريق الغضب حين قال : « قبل سفري كنت اودع بلادك ممتلئة القلب حسرة لاني كنت انفي نفسي وافقد كنزا ثميناً . ولقد اتت امك تودعني فاعتقتني وقبلتني وكانت تبكي . وانت تعرف انها كانت تحبني ، وهي مع ذلك لم تطلب مني ان ابقى ، بل كانت تفر عزمي . وكانت اخر كلمة لفظتها اسمك ؟ ولكنني كنت مقصودا بهذه الكلمة . كانت كأنها تناديني « دريس » لآكون انا ايضا ابناً ، كما لو ان ذهابي كان يعني في نظرها ماعناه ذهابك ، وكان يخلف عندها الاسى نفسه . »

- حين اعود الى وطني ، سأذكرك وانا اتحدث عن الفرنسيين ، وسأصف لقومي موقفك ورايك . حتى اذا انتهى كل شيء فسوف تعود وستكون امي سعيدة .

- حين تعود الى وطنك ، لن تسمع عن فرنسا الا حديث سوء ... ومهما يكن ، فلا حاجة اليك في فرنسا ، واما في بلدك ، فانت ضروري . ان عليك ان تنضم اليهم وتجمع صوتك الى اصواتهم لتطلبوا انقاذ الجزائر مما هي فيه وتنظيف جميع زواياها . ان عليك ان تصبح قائدا ، انت الذي تعرف اكثر مما يعرف الآخرون وتحدث خيرا مما يتحدثون . اما نحن ، فاننا للأسف نتصرف بحيث لا يبقى بعد بضع سنوات اي اسم فرنسي مسجلا على احد شوارعكم ، بينما كان في الامكان ان تحمل احدى اللوحات اسم « جادة التفاهم الفرنسي الجزائري . »

وبعد صمت قصير سألته دريس :

- الم يقل لك اخي شيئا ؟

فلم يجب جاك ، وانما خفض عينيه .

- ماذا حدث له ؟ قل لي بصراحة . فانه لا يحق لك ان تخفي عني شيئا . فقال جاك بصوت متالم :

- لقد اظهر اخوك شجاعة عظيمة ، ويجب الا تكون انت اقل شجاعة .

ثم اضاف : - ابتهل اليك الا تبكي يا دريس ..

وكان الفتى الجزائري قد احاط وجهه بيديه واغمض عينيه .

- لقد حملوه الى امك ، وعلى وجهه غطاء ، ولكنها سرعان ما فهمت .

ويبدو انها لم تبك وقالت انه بكل تأكيد اسعد في الجنة .

واستولى الضيق والكراهية على كيان دريس : - لماذا قتل ؟

- كان يحمل اسلحة لم يرد ان يسلمها ، وقد قتل بينما كان يحاول الفرار .

وقال دريس ببسمة صفراء : - قتل في ظهره ، ليس كذلك ؟

فاجاب جاك وقد تملكته ثورة مفاجئة - اجل ، في ظهره ... ولكن ماذا تظن ؟ لقد قتل هو ايضا كثيرين في ظهورهم !

وحقق دريس فيه : ماذا ، ايمكن لجاك ان يتحدث بهذه اللهجة ؟

وتبادلا النظرات ، وادرك دريس انه كان ثمة حقد وغضب . ولم يرد ان يقوم هذا بينهما ، فاعتذر وقال ان من الصعب ان يتنازعا ، ثم عاد يخفي وجهه بين ذراعيه . كم هو آسف انه لم يكن الى جانب اخيه ليدافع عنه ، هذا الاخ الذي كان اشجع منه واجدر بالحياة ! انه لم يخف قط ان يقاتل ولا ان يجوع . فكم كان اعدل واجدى لوطنهما ان يموت هو ، دريس ...

(٨)

دخل دريس محل « اندريه » ليتنازع زوجا من الاحذية وهو يشعر بان يديه ثقيلتان .. انه منذ اللحظة يرى على راحتيه عبء ساعات الجهد التي ستسمح له ، يوما بعد يوم ان يسدد لجاك دينه . ولكن لماذا تراه قرر ان يتنازع هؤلاء ، بينما كان المفروض ان يرصد هذا البالغ للسيد « ارمان » الذي ارشده اليه والذي يتوسط لدى الشركات لاييجاد الاعمال للعاطلين ؟ وفيما هو كذلك ، اقبلت العاملة تسأله عن قياس قدمه ففوجيء بذلك لانه لم يعرف هذا القياس من قبل ، وكان معتادا في منصورة ان يجرب عدة ازواج من الاحذية حتى يجد ما يناسبه ... ثم تذكر ان عليه ان يعرض اصابعه المريضة الموحلة ، وان هذه العاملة الانيقة

جغرافية العالم

سلسلة حديثة مصورة في الجغرافية

لمرحلة التعليم الثانوي

تقع هذه السلسلة في اربعة اجزاء ، وهي معدة للتدريس في الصفوف الثانوية في لبنان وسائر العالم العربي .

وهذا الكتاب باجزائه الاربعة مأخوذ من كتاب «العالم» الذي وضعه الجغرافي الانكليزي الشهير ددلي استامب . وليس بين اسياندة الجغرافية المعاصرين من لم يتتلمذ على مؤلفاته ولم يفد من تحقيقاته الجغرافية . وهذه هي المرة الاولى التي ينقل فيها كتابه « العالم » الى العربية ، بعد ان اجريت فيه تعديلات مختلفة . وقد تولى المؤلف بنفسه اضافة بعض الفصول بناء على طلب لجنة التأليف المدرسي ، ليأتي الكتاب متلائما مع المنهاج اللبناني الرسمي .

الناشر : لجنة التأليف المدرسي - بيروت

لا ماوى له ، ان ينام عنده ، فقبل دريس شاكرا ، ولكنه ساله عما اذا كان ذلك سيزعج احدا ، فكان جواب عبد انه كان لا يزال ثمة مكان للنوم ، ثم اخذ ذراعه وانطلق به وراح يعدنه عما يعاينه في حياة البطالة التي يسوقها هو الآخر ، وقال انه يتظاهر بالشجاعة امام الآخرين ولكنه اشداهم خوفا .

وحين دخل دريس ماواه الجديد ، رأى شيخا غارقا في كرسي ، واللعب يقطر من فمه ، وقد سمعه يسأل عبد :

— ها . وجدته ؟

— كلا يا جدي . ان هذا اسمه دريس ، وليس هو ابنك

— انه مع ذلك يشبهه . وانا اعلم جيدا انه قد مات !

وروى عبد لدريس ان هذا المعجوز كان قد تقابل ذات مساء مع ابنه تنازعا على الفراش الذي كان ينام فوقه من يعود اولا الى الماوى . وقد قتل الاب ابنه ، مع انه كان يحبه حبا شديدا ، ثم راح يقضي وقته في البحث عنه ويسأل الجميع ان يعودوا به في المساء ، ويردد لهم « قولوا له اني لست غاضبا عليه ، واني سأتنازل له عن الفراش حين يعود... وجعل دريس يتمثل القتل والدم ، وخيل اليه ان هذا اللعاب الذي يقطر من فم المعجوز لم يكن الا دما ، دما حارا كثيفا ، هو دم الذي يقتل... » ان دم أخي كان ملك الذي صوب النار الى ظهره ، فاصبح سيد وجوده ، وامتلك حياته كلها ، بافراحها واحزانها ... اتراني استطع ان آخذ دم رجل انتقاما لآخي ؟ »

وبعد دقائق ، خرجت من الركن المظلم في الحجرة فتاة في حوالي

— التتمة على الصفحة ٧٢ —

صدر حديثا

سلسلة مراحل القراءة

تأليف جماعة من المربين

أحدث سلسلة لتعليم اللغة العربية في الصفوف الابتدائية وفق أحدث الأساليب التربوية . تتألف من جزئين لروضة الأطفال وخمسة أجزاء لطلاب الصفوف الابتدائية ، وتمتاز بحسن التدرج ، وبراعة الاختيار وجمال الصورة ، وروعة الإخراج .

الناشر : لجنة التأليف المدرسي - بيروت

ستأخذ قدميه بيديها النظيفتين الناصعتين .. وانتهاز فرصة ذهابها لحظة ، فنهض واتجه ركضا نحو الباب ، مشيرا استغراب الناس حوله ، وظل يمدو حتى تأكد من ان الانظار قد كفت عنه فتوقف وهو يشعر بشل كبير ..

واستمر يمشي باتجاه المقهى الذي سيلقى فيه السيد ارمان . وتأثر لمرأى عاشقين يتبادلان القبل في ركن من الشارع . كم مضى عليه من الوقت دون ان يقبل شفتي امرأة ؟ ان جميع الناس تقريبا يقبلون واحدا على الاقل في اليوم ، وهذه الحركة تصل الناس فيما بينهم . وكانت اخر مرة عانق فيها شخصا ، حين ضم اليه امه ضمة عاجلة فتشبثت به وهي تمد له خدها المتجمد ... لينته كان يعلم ... ومنذ ذلك الحين نسي اثر القبلات في الشفاه . ان شفثيه جافتان في هذه الساعة .. واخرج يده من جيبه وامرها على فمه ، وراح يحلم بالفتيات اللواتي قبلهن ، اثنتان او ثلاث فقط . اما في منصورة ، فلم يكن يملك الوقت لذلك .

وقال في نفسه وهو يضحك — لو انهن كن في باريس ، لكان يوسمي ان اهتم بهن !

وما لبث ان طرد هذه الافكار من رأسه . انه اذا توقف عندها اطول من ذلك ، فسيصبح بعد حين شقيا . سيزعجه جسده الذي يستحيل ارضاءه !.

(٩)

التقى دريس في المقهى زهاء عشرة من الافريقيين الشماليين كانوا جميعا ينتظرون السيد ارمان ويمنون انفسهم بعمل يستطيعون ان يمسكوا به اودهم .. ولكن السيد ارمان عاد يقلب شفثيه ويقول انه لم يوفق في ايجاد اي عمل لاحدهم حتى الان ، ولكنه يأمل ان يوفق في الاسبوع التالي ، فهو يتردد على مختلف المصانع لتلك الغاية . واخذ الجزائريون ينفضون واحدا بعد واحد ، فيشعر دريس بالاسى ويتمنى لو يناديهم ويبلغهم ان هناك امعالا لهم ، لا لشيء الا ليرى وجوههم الكثيبة الميتة تشرق بالحياة والنور . وفكر في ان اي واحد منهم لا يملك خمسة الاف فرنك مثله .. وكان لا يزال في المقهى شاب طويل كان يبدو انه ذو مقام بينهم ، وكان يدعى « عبد » ، وقد انس دريس به وشعر له بالارتياح ، ثم توجه الى السيد ارمان يطلب منه ان يسعى له بايجاد عمل ، ثم يبسط له آلاف الفرنكات الخمسة التي اعطاها اياها صديقه جاك ، فيتناولها الرجل ويطلب منه ان يعود بعد اسبوع ليلقاها في المقهى نفسه حوالي السابعة مساء . ثم يسالها عن الاعمال التي يحسنها فلا يجد دريس ما يجيبه به ، فاذا به يقضب وتتشنج عيناه وينفجر وهو ينمي عليه انه لا يعرف ان يستعمل اصابعه العشرة ... وهنا يقترب الشاب الجزائري « عبد » فيرد على السيد ارمان بلهجة هازمة : « لقد دفع لك المبلغ الذي تدبر له به عملا ، فما جدوى هذه الدروس كلها ؟ ان عليك ان تختار مهنة اخرى اذا كانت هذه لا تعجبك . لقد قبلت دراهمه ، فاهتم بشانه !

وقال دريس بصوت خجول :

— كان لي في منصورة بعض الاصحاب الذين سافروا الى فرنسا واخذوا يرسلون بعض ما يكسبونه الى ذويهم . ولهذا جئت الى هنا حين مات ابي وبيات العائلة تجوع .

فعاد السيد ارمان يمد يده بان يجد له عملا بعد اسبوع ، ثم خرج .. وبقي دريس وجها لوجه مع عبد الذي عرفه عليه ، بعد ان عرف انه

دريس

مأساة انسان البحر ارجين يدخل فرنسا !

عرضة وتخصيص
دكتور سهريل اربيس

للمروايعة الغرضية

جهانين اوريانو

- تمة المنشور على الصفحة ١٢ -

وأضاف رجل كان يشرب الخمر - بل لقد سافر في رحلة طويلة جدا !
وأضاف رجل كان يشرب الخمر - بل لقد سافر في رحلة طويلة جدا ؟
وأصيب دريس بالدهشة أولا ، ثم بالقلق ثم بالضيق . وحاول ان
يفكر . ان هذا مستحيل ، وان السيد ارمان لا يمكن ان يخلف وعده .
وادر نظره يبحث عن واحد ممن رأهم في الاسبوع الماضي ، فراه ان
يجد المقاعد كلها فارغة ... ومضت دقائق احس فيها بالدوار ، ثم سمع
على الرجلين ، ثم خرج من الحانة وصدره يغلي بالفضب فيفشي الضباب
من انهيار احلامه وذهاب دراهمه واستمرار بطالته .
وثار - ان ذلك اقصى من ان يستطيع احتماله ، والقي نظرات شاردة
على لرحلين ، ثم خرج من الحانة وصدره يغلي بالفضب فيفشي الضباب

الخامسة عشرة ، وارشدت دريس على الفراش الذي سينام فيه . وما
لبث ان دخل الحجرة فتى في مثل بسنها وتسأل عما اذا كان القادم
الجديد سينام هنا ايضا ... ولاحظ دريس ان الفتى قد دفع الفتاة
بمرفقه حين مر بها في طريقه الى فراشه . ثم دخلت الغرفة امرأة
تلقاها عبد بترحاب ، فلمس دريس انها زوجته . واحس دريس
بالدواء يسري في الغرفة من نار تشتعل في موقد ، فتذوق تلك الحرارة
وشعر بالرضى ، ثم رأى الفتاة تتمطى وتنام في ركنها بعد ان القت
على الفتى غطاء سميكاً حيث كان قد تمدد في وسط الغرفة ، غير
بعيد عن فراش دريس ... وتسأل : لماذا ادعى امام جاك انه كان ياوي
الى غرفة في الليل ، ويقاسم احد رفاقه الطعام ، ويرفض ان يذهب الى
بيته هو ، بيت جاك ؟

وفيما هو يفكر بذلك ، سمع نشيج المعجوز وانتحابه ، وراه يتطلع
الى يديه ، وهو يقلبهما ... هاتان اليدين المعروقتان اللتان قتلنا ولم
يبق فيهما جدوى . وتسأل دريس : « وايدينا ، كيف تراها تكون ؟ الا يجد
الناس انها غير قادرة على ان تطعمنا ؟ » وجعل يبذل جهده لينام ،
ولينيم تفكيره واسئلته . ومضت عليه دقائق وهو مغمض جفنيه ، ثم
سمع حفيفاً قريباً منه ، فشق عينيه ، فرأى الفتى الذي كانت فاطمة
قد غطته يزحف باتجاه فراشها .. وحين رآها دريس تضم ذراعيها
على جسد الفتى وترتفع يدها لتربت ظهره ، استغرق في فراشه ليخفق
شكواه وهو ينتهم فاطمة بانها بقي ، بقي ، بقي ...

(١٠)

بالرغم من ان دريس قضى ليلة مؤرقة متعبة في احدى حافلات
المترو ، الذي أصبح مأواه الجديد ، فقد شعر في الصباح باحساس
مكبوت من الفرحة هو الذي يسبق توقع كل حدث مرجو بحرارة . الا
يبقى له في الواقع ثماني ساعات فقط حتى يلتقي السيد ارمان الذي
سيحمل له بشرى العمل الجديد الذي سيمكنه من ان ياكل وينام ...
تلك اذن هي آخر ليلة له من ليالي البطالة .. وكان قد عانى من مشقة
النوم تحت الجسور وفي الانفاق ما حمله على تذكر بيته القروي الهاديء
الذي كان ينام فيه مراتها على بؤسه وشقائه فيه . وتسأل عما اذا كانت
امه ستتموت كما مات اخوه قبل ان يتاح له عناقها ...

وحين وصل المقهى في الساعة السابعة مساء ، اجابه صاحب المقهى
على سؤاله بقوله :

دار الآداب تقدم :

حديثة بلا قلب ..

للشاعر العربي

احمد عبد المعطي حجازي

التمن ليرتان لبنانيتان

صدر حديثاً

عينه . لعل السيد ارمان قد سرق كثيرين قبله ..

وكان يشعر انه يكاد يجن اذا يفكر بانه لا ينتظر بعد شيئا ... لقد كان يامل ان يجد مهمة يضطلع بها ، صلة تشده الى الحياة ، هذه الحياة التي تدور حوله من غير ان يستطيع الامتزاج بها ... كان يود ان يعمل شيئا ، ان يعمل حتى الشر ، شرط ان يحس بانه يعيش . اما الان فليس امامه الا منظور واحد : افق مسطح لا مجال فيه لشيء يؤمل .

وفكر في ان يعود ليرى صديقه « عبد » الذي انقطع عنه منذ تلك الليلة ... كان شبح فاطمة يملكه ويعذبه ، فآثر ان يهرب منها ومن عبد . على ان هذا هو الان من الماضي ، ولا بد من رؤية صديقه ليروي له وليتلقى منه العزاء . غير ان زوجة عبد هي التي استقبلته بنظرات ملهوفة واخذت تسأله عن اخبار زوجها ، فعلم منها انه قد اوقف امس ، وانها ظنت انه يعرف اخباره ، ما دام صديقا له .. وتأثر لهذا الوصف « صديق » : هكذا اذن ! لقد كان جديرا بالنسبة لخلق بشري على الاقل بان يكون صديقا ، وهذه الكلمة وحدها تحمل له نهاية الوحدة والصمت ، وتحمل له الثقة والتعاون والضحكات المشتركة ..

وتابعت زوجة عبد : « منذ بضعة ايام ، وانا ارى زوجي يعود متأخرا في الليل ، وقد سررت بذلك لانه لم يعد يملك الوقت ليفضب مني بلا سبب ، ولانه كان يكره ان يبقى بلا عمل ، بينما كنت انا اعمل . واعتقد انهم كانوا يجتمعون لدى رفيق لهم ، وكانت انباء الجزائر تملأ رؤوسهم وكانوا يتمنون جميعا ان يعودوا الى وطنهم . ولم اعد اسمع منه الشكوى بانه غير مجد ، بل كان يخرج في الصباح كانه ذاهب الى المصنع ، فاذا

دار الآداب تقدم

عائش

للشاعر العربي

يوسف الخطيب

الثن ليرتان لبنانيتين

صدر حديثا

عاد بسط الي يديه وقال ، « اتريين ؟ ان هناك من يحتاج اليهما . وسوف تهيئان اشياء عظيمة » وعلمت هذا الصباح انه اوقف مع عدد من رفاقه كانوا يفقدون اجتماعا سوريا .

وبعد ان كففت دموعها اضافت بعزم :

- ولكني لا بد ان القاه مرة اخرى . وسوف اساعده . سأذهب الى اجتماعاتهم لاني فهمت ما كان عمله . ان « عبد » رجل طيب وشجاع . لقد كان يكافح حتى لا يلعبوا مع غيره الدور القذر الذي لعبوه معه . كان يناضل حتى لا يظل الجزائريون مضطرين للقدوم الى فرنسا على غير جدوى !!

وشعر دريس برغبة تصعد في صدره ليتشبه بعبد ، وفكر فسي ان صديقه كان على حق : فانه لا يجدينا شيئا ان نتنقد وان نتأسف عند الابواب ، فتلك هي طريقة من طرائق القبول . وانما ينبغي ان نعمل ، مهما كلف الامر .. وقال لزوجته صديقتها « سوف اساعدك للعثور عليه ، ويجب ان يعود . وسوف احضر انا ايضا اجتماعاتكم وستريين اننا سنتنصر في آخر المطاف »

وكان اولئك الذين يتحداهم هم جميع الذين كانوا يملكون عملا مؤمنا وسقفا يؤويهم .. وفكر في انه سيكون هو الآن حامي امرأة صديقه وسيمنع عنها كل اذى ... ولكنه اخذ يحلل نفسيته فيتين انه كان ابدا رجلا انانيا لا يهتم بالآخرين . وقال في نفسه ان لم يرد قط ان ينضم الى اولئك الذين كانوا في مثل وضعه ، وانه لو لقي السيد ارمان ذلك المساء واخرجه من بؤسه لرضي واكتفى ولكف عن التفكير بالعاطلين عن العمل « لقد اضعفت الوقت وانا وحدي ، ولم احضر قط احدى تلك الاجتماعات التي كنت اسمع رفاقي يتهايمسون بها . لقد ظلت بلا حراك كما لو اني كنت بجانب من وضعوا عبد في السجن . »

ومر الزمن ، وعشنا التمس وسيلة يساعدها بها ، فلم يجد شيئا يقترحه عليها .. وما لبث مصر عبد ان تلاشى في ذهن دريس الذي عاد يشفق على نفسه وعلى كتزه المسروق . وقد ود لو يروى للمرأة سوء حظه ، ولكنه الفاهما قد انصرفت عنه ، ففكر بانها قد فهمت من هو « وهي لا تنتظر مني شيئا بعد » وكان جائعا ، وكان تعب ، وكان يرتجف خوفا من ان تنام دون ان تدعوه الى ان ينام في احدى زوايا الحجرة ، كما نام ذات ليلة . وراها تبسط معطفها على طرف سريرها ، وراى محفظة تبرز من جيبيها ..

(١١)

حين خرج من مسكن عبد ، كانت العاصفة نائرة ، وكان هو يسير سير هشوا في الظلام ، ملتهب الجبين ، تتراقص الافكار في رأسه وتمتزج وتلاشى تدريجيا ... وكان يتسائل : « والان ، الى اين اذهب؟ » ولكنه تحسس في جيبه ورقة الالف فرنك ، فقال في نفسه ، ليخفف نعمة وتبكيك ضميره « ساردها لها » وكان قد اختطفها كالمسارق حين راها تستغرق في النوم ، ثم خرج الى الحانات يشرب ويشرب ليضعف وعيه بوضعه ، وليتلاشى غضبه تجاه هذه المدينة التي يصفها المطر الثلج ، وتجاه هؤلاء الناس الذين كانوا يرفضون ان يقبلوه بين قهرايينهم .

حتى اذا انفق كل ما سرقه ، عاد يشرد باحثا عن ملجأ . وكانت قد ارتسمت في ذهنه ، عبر قطرات المطر الثقيلة ، صورة تمتع الدفء العجيب : صورة سرير . وفيما هو مخمور ، راح يردد : « سانام الليلة في سرير »

وكانت دموعه تختلط على وجهه بالطر ، وما لبث السرير ان تجسد في فكره حقيقة رآها ذات يوم ، سرير لا يرشح رائحة القبو ، ولا رائحة المترو ، ولا رائحة القش المتفنن . واخذت ذكرى سرير الانسة بلانش تقوده في مسيره .

– هذا انت ؟ صديقي الصغير دريس ؟ ماذا يحدث لك ؟ ادخل ، ادخل ، بالرغم من ان الوقت متأخر . اوه ، انك مبلى ، وقد احسنت صنعا بالمجيء ! وحين ذلك ، صفق الباب بقدمه ، فارتفعت الانسة بلانش ، ورأته يطوف بعينه في ارجاء القاعة ..

اما هو فلم يشعر يوما بأنه كان على مثل هذه القوة وهذه الثقة بالنفس . واحس انه اصبح رزمة من الكراهية والمرارة . وكان عليه ان يشرح لهم انها لم تكن غلطته ، وانه لم يكن هو الذي ارادها . لقد اكتشف دريس في نفسه ، عبر سكره وعريده ، هذا الانسان الذي ولد من بؤسه وترعرع من الامه واحقادها . انه لم يعد يعرف انه كان صغيرا ، هزيلا ، جائعا ، وكان ينسى اسماله وهو يتأمل بوقاحة تلك المرأة التي كانت تنظر اليه نظرات استفهام . وكان يقذف بعيدا عنه غلاف النل القديم .

وكانت الانسة بلانش قد بدأت تفكر بثوب تعطيه اياه بدلا من ثوبه المبلى ، ولكنها ظلت لحظات طويلة مترددة امام ثياب دانيال القديمة ، حتى فاجأها دريس وهي واقفة ازاء خزانة الثياب ، فعاودته ضفيته وقال لها : – واخيرا ؟ لقد مات ابنك او ابن اختك ، فهل تريدان ان تعرفي ما الذي فعله اصدقاؤه ؟ حسنا ! لقد احرقوا قرية برمتها انتقاما له . ولقد قتلوا اخي . وربما يكونون قد انتهكوا حرمة اختي الصغيرة وامي . وهي لا تملك حتى ثوبا لآخي تبكي عليه ، لانه لم يكن عنده الا ثوب واحد ! ولم يسع الانسة بلانش الا ان تقدم له ثوب دانيال وتغلق الخزانة على عجل . وعادت اليه بعد ان ارتدى الثوب ، فسألها بلطف :

– اليس جميلا صوت المطر الذي يهطل ؟ ان المرء ليشعر بالدفع حين يستمع اليه وهو في ظل سقف .. على ان في الخارج كثير من يتلقون المطر على ظهورهم ، كما كنت منذ دقائق . كما ان هناك عشرة او اكثر متراكمين في قبو متخثر ، بينما نحن هنا اثنان فقط ينعمان بالدفع....

وارتمش صوته فجأة واستتلى يقول : – وهناك ، في بلدي ، ربما كانت السماء تمطر ايضا . اجل ، لا بد انها تمطر على جسد اخي ، وعلى اجساد رفاقي الذين ماتوا اليوم . ولكن هل تملك امي وامهاتهم وزوجاتهم الحق في ان يلهين ويحملنهم الى ملاجئهم !؟

وقالت الانسة بلانش وهي تجمع اطراف شجاعتها : – اجلس يا صديقي دريس ، وقص علي ما الذي جعلك في هذا الوضع ! فاجاب ببساطة : – لقد مات اخي .

فقالت – كنت احسب ...

فلم يستمع اليها دريس وتابع يقول – وانت التي قتلته . لقد قتلته وقتلت انا ابنك ، فنحن سواء . ولكن هناك شيء : حين حدث هذا ، كان اخي فوق ارضه ، في حقله حيث ولد هو وابوه وجده ، وكان يعمل في المكان الذي عمل فيه ذووه دائما . وسيفول لك الناس انه كان شريفا وشجاعا . وهو لم يطلب منكم شيئا ، كما لم يطلب من جنودكم ان يأتوا ليدخلوا معاولهم القذرة في الارض التي كان يفلحها . اما انت فقد مات ابنك في ارض مجهولة لم يضع فيها ذووه اقدمهم ابدا . لقد مات ، لانه اراد ذلك ...

وارتفع صوت دريس :

– لقد طلبت منك المفرة والصفح لموت ابنك . واعتقد انك تستطيعين ان تطلبي مثل ذلك لموت اخي.

وكانت المسكينة قد تهاوت على مقعدها ووضعت رأسها بين كفيها ، وبدأت تشعر بانها تكره هذا الذي يهين دانيال . وحين طلب منها شيئا يشربه ، اسرعت تلبيه ، ولكنه قسرها على ان تجالسه وتشرب معه ... وقال لها بعد لحظات :

– لو كنت تعلمين ما معنى ان ينهض المرء عشرات المرات كل ليلة ليجد نفسه على مقعد حجري ، او في قبو او في اي مكان لا يود ان يجد فيه نفسه ... ولو كنت تعلمين ما معنى ان لا يكون للمرء قط من يتكلم اليه ، او يد اليه ذراعه في الليل ليلتمس الدفء فلا يجد الا الفراغ ... هل تراك سمعت الاناث المربعة التي يبعثها على مقربة منك رجال لا تعرفينهم ولكنك تدركين شقاءهم ووحدهم وانت تسمعينهم يتخبطون ويكفون في نومهم ، حتى يفيض قلبك بالذات وتأتيك الرغبة بان تسدي اذنك وتصرخي باعلى مما يصرخون حتى لا تسمعينهم ؟

وتابع دريس : « احسبني يجن جنوني اذ افكر بانني لا افيد أحدا ، وبان احدا لا يحتاجني ، ولا يحتاج يدي ، وانني لا استطيع حتى ان اعود الى الجزائر حيث يعيش من يسعدون برويتي وحدهم . لقد سرقوا المال الذي اعطينتي اياه وكنت ارجو ان اردته لك يوما . وهذا المساء انا الذي سرق الف فرنك من امرأة صديقي الوحيد ».

وتوقف فجأة ثم قال : اريد ان انام . وقد قلت اني سنام هنا « ولكن الانسة بلانش عرضت عليه مبلغا يستطيع ان يستأجر به غرفة في الفندق ، ولكنه رفض وقال انهم سيسرقون المال كما سرقوه من قبل،

دار الآداب تقدم :

قصائدك عربيتنا

للشاعر العربي

سليمان العيسى

الثن ٣ ليرات لبنانية

صدر حديثا

مكتبة المدرسة دار الكتاب اللبناني

بيروت شارع سوريا ص.ب. ٢١٧٦ تلفون ٢٧٩٨٣

ناتج العلامة ابن خلدون

يسر دار الكتاب اللبناني ان تزف البشرى الهامة الى
جميع وزارات التربية والتعليم وجميع المؤسسات
الثقافية في البلدان العربية :

انها تعلن عن قرب انتهاء طبع الموسوعة الكبرى
للعلمة ابن خلدون ، وقد انتهت الان من طبع المجلد
السادس ، وقريبا جدا ينتهي طبع المجلد السابع .
ان دارنا اذ تلفت انظار جميع هذه المؤسسات وجميع
الادباء والعلماء في الاقطار العربية ان ثمن المجموعة الان
مئة وعشر ليرات لبنانية تحت من يههم امر اقتناء هذه
الموسوعة على الاسراع بحجز مجموعته ، اما عن طريق
الناشر رأسا او بواسطة المكتبات الكبرى في العالم
العربي ، مع العلم بان ثمن المجموعة الكاملة سوف يصبح
عند انتهاء الطبع ، اي بعد مضي ثلاثة اشهر مئتين
وعشرين ليرة لبنانية .

هذا وقد صدر حتى الان ثلاثون جزءا ، ولم يبق الا
ثلاثة اجزاء فقط ، ونلفت نظركم ايضا الى الفهارس
العلمية الهامة والى ان النسخ محدودة .
فبادروا الى اقتناء نسخكم .

ثم توجه الى غرفة النوم حيث واجهه السرير الفخم . غير ان المرأة لم
تستطع ان تضبط اعصابها اكثر مما فعلت : فتشبثت به بكل قواها
بغية اخراجه من البيت ، وهي تبتهل اليه ان يذهب ويعود في اليوم
التالي . ولكنه ارتد اليها وامسك بفراعيها في حركة دفاعية ، فكفت
عن الصياح ، ولم يكن يسمع في الصمت العائد الا صوت انفاسهما
المضغوطة .

ولم يسمع دريس لابتهالاتها ، بل حملها الى السرير واخذها بقسوة ،
فتلطح الفطاء الابيض بالدم ، وقال ببلاهة : « لم اكن اعرف .. عفوا .. »
ثم اخذه الفتيان فتفيا على السجادة .
ونفض وهو يترنج ، وامر يده على هذا السرير الذي لن ينام فوقه
وتسلل كانه لص .

✱

وفيما كان دريس يتمشى في الشوارع الخالية حيث كان المطر قد انقطع
عن الهطول ، اخذ يصيح :
- كنت خير شاب في القرية ، وكان الجميع يقولون ذلك . ولكن ما
الذي فعلوه لي ، ما الذي فعلوه بي ؟!
والتفت مار مستعجل ، فنظر اليه بنفور وقال :
- هؤلاء الافريقيون الشماليون ، جميعهم غرابيد !

ترجمة وتلخيص

سهيل ادريس

المغربي

اسم هيب كتابه ينقل مفاتيح هيب ..

الكتاب (الذي صادرت) (الحكومة) (الفرنسية)، وشملت
قضية (السياسيين) والكتاب (والصحافة في فرنسا

انه يروي فظائع الفرنسيين في تعذيب
الطلاب (الجزائريين) في سجون باريس ..

صفحات من دم و نار تسجل على (المتعرضين عاهم ..
ومحشيتهم، وتسجل للعرب بطولتهم وعبرتهم !!

دار العلم للملايين



لويس تانا

صار عمري خمس عشرة
صرت أحلى الف مرة
صرت أكبر ..
صار جبي لك أكبر ..
الف مرة ..

★

ربما من سنتين ..
لم تكن تهتم في وجهي المدور
كان حسني بين ..
وفساتيني تغطي الركبتين ..
كنت أتيك بثوبي المدرسي
وشريطي القرمزي
كان يكفيني بأن تهدي إلي
دومة .. قطعة سكر ..
لم أكن اطلب أكثر ..

★

وتطور ..
بعد هذا كل شيء
لم أعد اقنع في قطعة سكر ...
ودمي ... تطرحها بين يدي ..
صارت اللعبة أخطر ..
الف مرة ..
صرت أنت اللعبة الكبرى لدي ..
صرت أحلى لعبة بين يدي ..
صار عمري خمس عشرة ..

★

صار عمري خمس عشرة ..
كل ما في داخلي غنى وازهر ..
كل شيء صار أخضر ..
شفق .. خوخ .. وياقوت مكسر ..
وبصدري .. ضحكت قبة مرمر
وينابيع .. وشمس .. وضو ..

صرت أكبر ..
صارت المرأة لو تلمس نهدي تتخدر ..
والذي كان سوياً .. قبل عامين .. تدور ..
فتصور ..
طفلة الأمس التي كانت على بابك تلعب ..
والتي كانت على حضنك تغفو .. حين تتعب ..
أصبحت قطعة جواهر ..
لا تقدر ..
أصبحت أروع مما تتصور ..

★

صار عمري خمس عشرة ..
صرت أجل ..
وستدعوني الى الرقص .. وأقبل
سوف التف بشال قصي ..
وسأبدو كالأميرات ببهو عربي ..
أنت .. بعد اليوم .. لن تحجل في ..
فلقد أصبحت .. أطول ..
آه .. كم صليت كي أصبح أطول ..
إصبعاً .. أو إصبعين ..
آه كم حاولت أن أظهر أكبر ..
سنة .. أو سنتين ..
آه كم ثرت على وجهي المدور ..
وذؤباتي .. وثوبي المدرسي
وعلى الحب .. بشكل أبوي
لا تعاملني .. بشكل أبوي ..
فلقد أصبح عمري ..
خمس عشرة ..

نزار قباني

بكين - الصين

حزب بوعهدالة

قصة بقم فاضل الباع

— مسكه شكلز .. الوحدة برع ..

وبان لميتيه « باص » يلفظه المنحنى هناك . انه يدنو . لعله واجده فيه . هذا اوان عودة الموظفين . وانه لا ريب موظف . فهيئته تشير الى ذلك . كان لطيفا معه في الصباح . حسب له الحبة كلها ، واشترى منه « وحدة » سيقدمها هدية الى خطيبته !

دنا الباص . فضم بحرص صندوقه الصغير الى صدره ، ورجع الى ماوراء « المظلة » خطوتين . وهجم الناس على الباص ، على بابيه الخلفي ، هجمتهم للساغة . فاشتد الزحام . وسقط على الارض شيخ لم تقه من السقوط عكازه الثقيلة . وولولت امرأة على صدرها رضيع ، وسبت رجلا كان يزحمها !

وقف على مبعدة يتطلع الى داخل الباص ، عله يجده . انه شاب ، اسمر ، واسع العينين ، فوق فمه الصغير استقر شاربان ريعان . كان لطيفا معه . انه يريد ان يرد اليه ربع الليرة ، الباقي مما دفع .

لم تقع عليه عيناه . صاح :

— مسكه شكلز ... الوحدة برع ..

ومضى الباص . سار اول امره وثيدا وقد امتص حاجته من الوقوف . ثم اغلق الباب ، وغد مسرعا لا يلوي . فترق الناس بعد التثام ، ووقفوا وقفهم الاولى تحت المظلة .

— مسكه شكلز .. الوحدة برع ..

وانضمت الى الوقوف تحت المظلة فتاة شقراء ترندي معطفا من الفرو .

اقترب منها ، وفي يمينه وحدة :

— المسكه الاصلية .. شكلز ..

لم تلتفت اليه .

— مسكه شكلز ، يا آنسة ..

ادارت رأسها الى الجانب الاخر ! لن تشتري ، فيما يبدو . رفع يده الى ساعدها ، ولمس معطفها ، مانعهم ! التفتت اليه ، وقالت تساله :

— ماذا تريد ، يا صبي ؟

— أما تشتريين مسكه ؟

— لا !

— هذي شكلز الاصلية . خالية من الفش .. تسليك وقت الملل .

فتبسمت . وتناولتها منه . والقتها في حقيبتها . ودفعت اليه بالربع . وتحسس النقود في جيبه . وعد الوحدات المتبقية في الصندوق . انها عشرون . باع حتى الان سبعا . كسب سبعة فرنكات ، ودفعت له امرأة طيبة فرنكا زيادة ، فالكسب ثمانية . ولكن هذه الربع الزائدة ، انها من حق الشاب الاسمر الطيب . رآه في الصباح مع الواقفين . يلبس بذلة بنية اللون ويتنابط حقيبة . لا بد انه موظف . عرض عليه ان يشتري « شكلز » . فاعتذر بانه لايمضغها . ان الرجال دائما يعتنرون لـه

كذلك . فمضى عنه مدلا على بضاعته . لم يكن قد باع شيئا مما في صندوقه . في الصباح عادة لايشترى الناس شكلز . يكونون مسرعين الى اعمالهم . وقلما تخرج النساء صباحا . كانت تشغل عليه خاطره وقتها حبة شراء . مر في الصباح بدكان « ابو العبد » ، باع الشكلز بالجملة . كان صندوقه قد خلا في المساء الماضي تماما . طلب منه « دستين » . انه يعرف حسيها : ان له في كل يوم تقريبا دستين . ولكن لم يكن اليوم في دكان ابو العبد غير ستة وسبع وحدات . حسيها ابو العبد على الورق . وطلب منه خمس ليرات ونصفا . ترى ، احقا ثمن الوحدات خمس ونصف ؟ ذلك ماكان يشغل عليه خاطره فسي الصباح . فلما رأى الشاب الاسمر ، توسم فيه الطيبة . لايدري لم ! لعلها نظراته التي طمأنته اليه واعتذاره الرقيق بانه لايمضغ . وسرعان ماكر اليه يساله :

— استاذ ، اتعرف تحسب ؟؟

فطفرت من تحت شاربيه بسمة طيبة :

— نعم . أعرف .

— اذا كان ثمن « الوحدة » عشرين قرشا ، فما ثمن السبع والعشرين ؟ جعل الشاب يحسبها في عقله ثم قال :

— خمس ليرات و ... اربعون قرشا .

فما ملك ان صفر مفيظا من ابو العبد ، هذا الفشاش . لقد لعب عليه بعشرة قروش ، ربع وحدتين ! وساله الشاب عما يشغل ذهنه ؟ فاجاب :

— ابو العبد غشني . قبض مني خمس ليرات ونصفا . وما رد لي فرنكين !

فقال الشاب :

— عليك به . طالبه بهما . لعله اخطأ الحساب .

— ماأخطأ ، استاذ . استغل جهلي ، وسرقني . سرق مني ربع وحدتين .

— او تبيع بالوحدة فرنكا ؟

— فرنك واحد . اشترى الوحدة بعشرين قرشا ، وأبيعها برع .

— وكيف حال البيع معك ، يا ... ؟

— اسمي محمد . والله ، البيع ماهو شيء . النساء عدلان عن المضغ هذه الايام .

فضحك الشاب .

— ولماذا عدلن ؟

— يبدو انهن يفضلن الثروة !

— وكيف عرفت ؟

— لانهن لايشترين الشكلز !

فضحك الشاب حتى بانت نواجذه . وسر هو لضحكه . لعله يشتري منه وحدة بعد هذا .

- والرجال ؟ ا ليس منهن زبائن ، يامحمد ؟

- انهم لايمضفون . ولكن ربما اشترى الرجل وحده ودسها في جيبه .
- اليمضفصا ؟

- لا . ليهديها زوجها .

وكان الباص قد حط في الوقت . فطلع اليه الشاب في الزحمة ، ليستقر بجوار النافذة ويتطلع اليه ويبتسم . فدنا منه ، واشرب الى النافذة ، وقال كالهامس :

- استاذ ... اليس لك خطيبة تهديها شكلز ؟

فلمح بريقا في عينيه يومض . ثم ظللت وجهه سحابة . وقال :
- هات وحدة !

فمد اليه بالحال يده بوحدة . فسحبها منه ، ليناوله بدلا عنها نصف ليرة . فاخذها ، ودس يده في جيبه يبحث عن ربع بين نقوده وما كاد يرفع اليه بالربع يده ، حتى كان الباص قد تحرك ، ثم انطلق كالسهم .

الربع في جيبه الان . سيردها الى صاحبها ، لا بد . ولكن ، اما كان يستطيع ان يردها اليه لحظتها ؟ ؟ كان بوسعه ان يجري تحت النافذة ، او يتسلق سلم الباب قبل ان يقفل . كم من مرة فعلها . ولكنه ما اندفع الي ذلك . قصر بعض الشيء . لا يدري لم ! لعله ساورته رغبة غامضة بان يبقها في جيبه . ولكن ، ماكان بامكانه ان يتسلق الباب فسي الزحام . انه عازم على ردها الى الاستاذ . انه يترصد عودته . لا بد سيقبل الان في انصراف الموظفين . انه موظف
- عمي . كم الساعة ؟

سل الشيخ ساعته من زبانه . نظر اليها ، وقال :

- الثانية .

- الثانية ، تماما ؟

اعاد الرجل نظره الى الساعة :

- الثانية و ... ثلاث دقائق !

اثن ، فقد آن اوان انصراف الموظفين . تطلع الى بعيد ، الى المنحنى . ليس ثمة باص جديد . لا بد سيقبل بعد قليل . سيرد اليه ربه . ابدى نحوه اللطف والعطف . لن يفتصب له ربه . سيردها اليه . لقد حسب له الحسبة . ابو العبد غشه . سيطلبه غدا بالفرنكين . ربع وحدتين . باع حتى الان سبعا . بقي عشرون

- شكلز .. مسكه شكلز .. الوحدة بربع ..

بص بامراة ثخينة في ملاءة سوداء تحدث بصوت مسموع اخرى تحمل اغراضا .

- مسكه شكلز .. بربع ليرة ..

لم تلتفتا اليه . دنا منهما .

- مسكه شكلز ..

لم تردا . كانت الثخينة تقص خبر سلفتها التي اوغرت صدر حماتها عليها . رفع يده بوحدة وجعل يلوح بها قبالة وجهها :

- خالة .. مسكه شكلز .. طيبة .. الوحدة بربع ..

فقطعت حديثها فجأة . والتفتت اليه :

- امش من فدامي ، يامسوخ .. بلا مسكه ، بلا علاك !!

ارتد الى الوراء مجفلا ! لقد ارعبته ! ما بها ؟ لاتشتري ! من يجبرها ؟

رؤفه ليس عليها .. رؤفه على الله !

- مسكه شكلز ..

ها قد اقبل باص جديد . لعله فيه . لاريب فيه . هذا اوان انصرافهم . جعل يتطلع عبر النوافذ الى المقاعد . كلهم قيام . اشرب بقامته . وتطلع الى الباب الامامي ، حيث بدا يندفق سيل النازلين : اهلا ، الذي نزل ؟ لا . ولا الذي يليه . ولا ذاك الاخر ا . هوذا . ها قد نزل .. الشاب الاسمر الطيب ذو الشاربين الرفيعين .

- استاذ .. استاذ ...

لم يسمعه . جعل ينادي وهو يركض نحوه :

- مسكه شكلز ... شكلز ...

صار جنبه .

- مساء الخير ، استاذ .

فالتفت اليه . وارتسمت في الحال بسمه تحت شاربيه الرفيعين .

- اهلا ، محمد ..

سار الى جواره .

- كيف الحال ، استاذ ؟

- الحمد لله . كيف حالك انت ؟

- مليح .

- كم وحدة بعث ؟ هل بقي شيء من السبع والعشرين ؟

- لا ، استاذ ! السوق في الصباح تكون واقفة . بعد الظهر احسن !

ومد يده الى جيبه . تحسس قطع النقود . عثرت كفه على ربع .

امسكها باصبعيه . سل يده من جيبه .

- استاذ ... اليوم ما لحقت ارد لك الربع .. تحرك الباص ، فما

لحقت .

فاشقت شفتا الاستاذ عن بسمه :

- ابقها لك ، يامحمد .

لم يصدق !

- استاذ

- ابقها لك .

لكني .. لم ابع قط الوحدة بنصف ليرة ! لم يدفع لي احد نصف ليرة !

- ماعليه .. ابقها لك .

- الله يغلي لك خطيبتك . اتحبها كثيرا ، يااستاذ ؟

نظر اليه الاستاذ . لم يتكلم . ثم ربت ظهره ، وقال :

- مر بابو العبد . وطالبه بالفرنكين .

فانفك عنه وقد تذكر الفرنكين . سيطلب ابو العبد بالفرنكين ..

- مع السلامة ، استاذ . الله يدملك .

وفيما كان يغيب عنه الشاب في الزحام ، كان يتحسن الربع فسي كفه . اصبحت له حلالا . كم هو طيب الاستاذ ! لو كان لكل شاب خطيبة يهديها شكلز ، لراجت بضاعته ايما رواج . ربع ليرة يربح بالوحدة ! كم هذا رائع ! اللهم زد في عدد الطيبين . الخاطئين .

واذ عاد الى المظلة ، كانت دمعتان تترجرجان في موقيه . الا انه تماسك قليلا . ثم مالبت ان رفع صوته مناديا بحرارة :

- شكلز ... مسكه شكلز .. الوحدة بربع ..

فاضل السباعي

حلب

الشعب أحلى قصيدة !

« الى كمال عمار .. صديقي ، وصديق الناس »

★★

ان يوما يبدو مهموما جاءته الناس تخفف أحرانه
فيذوب أسى .. حبا ... ويرد جميلهم يكتب شعرا
... بركانا

لكن فوق البركان ترفرف واحة حب
كان ... وليت الشاعر ظل كما كان
فلقد دارت معه الازمان
خطفته الايدي الشريره

صار اجيرا
يكتب للسلطان ...
كم ملك أجّر شعره
فتخلت عنه الناس
فتخلّى من ساعتها عنه الاحساس
سقط بعين الناس
اما يكتب يكتب شعرا أجذب
يكتب شعرا ... صبارا جف
اولى ان يوضع هذا الشاعر في متحف !

★

فلاني صفت الشعر بسيطا كحياة الناس
وحزينا كحياة الناس
لكن يبحث عن أمل خلف الاحساس
ولاني ذات مساء في مقهى سمعت اذناي
اثنين بسيطين
كل " ردد شعري للآخر في حب
سأظل عنيدا
اكتب هذا الشعر بسيطا
وأظل سعيدا
ما دام الناس يشيلوني كالياقوتة
بدل القلب !

مجاهد عبد المنعم مجاهد

القاهرة

أغنيتي لكم: يا شعب (x)
أغنيتي لكم من هذا القلب
أغنيتي خرجت لكم في حب
يا شعبي يا أجمل أجمل ما اكتب
خرجت مني .. خرجت منكم .. عادت لي مثقلة بالحب

★

أعرفه كان حزينا
كان يحدثني عن شعب قتلوا أفراحه
عن شعب كسروا في الليل جناحه
لكني أحمل في شعري لهم: مصباحا
حتى أصنع لهم الأفراحا ...
أعرفه كان حزينا
صاغ الشعر عيونا ..
يكتب شعرا يخرج كالنار-
تتلقاه عيون الاحرار ..
صاغ الشعر من الناس
كانوا هم فيه الاحساس ...
ان انت سمعت له شعرا لرأيتهم بحرا تتلاطم فيه
الانفاس

أعرفه كان حزينا
يبكي من أجل الناس يصوغ لهم شعرا كالناس بسيطا
يحمل في أشعار جبالا
ويصوغ الشعر لهم موالا
حتى تحفظه الناس ...
شالته الناس كأغلى شيء في الاعماق
في كل صباح يتفتح في أعينهم ، في كل صباح ، في
ذهب الاحداق

(x) من ديوان «الشعب أحلى قصيدة» الذي يصدر قريبا

عبد الشعب

مَسْرَحِيَّةٌ فِي خَمْسَةِ فُصُوفٍ

ترجمة
عصام صفدي

بقلم
لهزليك ابسن



كان اول عهدي بهذه المسرحية يوم قرأتها باللغة الانجليزية وانا على مقعد الدراسة الجامعية . ولقد مرت بها اذ ذاك في جولة طويلة مع المسرحيات العالمية ، تبدأ بالمسرحية الاغريقية وتنتهي بننسي وليامز . وما انتهيت من قراءتها واخذت استمعيها في ذهني حتى تملكني شعور غامر بالنشوة ، نشوة اعتادت ان تتخذ طريقها الى شفاف قلبي كلما جلست اأمل جمالا بهرني : سواء اتخذ شكل قصيدة مجنحة ، او تسريل زي فتاة! ثم تركت الجامعة وما زلت اشعر بصدى المسرحية يتردد في قلبي . فعدت اليها وما تركتها الا وقد انتهيت من ترجمتها . وكنت اود لو انتهت مهمتي بانتهاء الترجمة ، ولكن «الآداب» تريد ان تكون للمسرحية مقدمة، واذا بي اعود للمسرحية من جديد ، والعودة تسرني وتسعدني ، اما كتابة المقدمة فاقول فيها ما قاله مالك في الخمر ، وما قاله الدكتور ستوكمان في الاغلبية المتراصة ، كما سترى .

فماذا تراني اقول لك ايها القاري العزيز في تقديم هذه المسرحية ؟ اقدم لك كاتبها ؟ انه كاتب نرويجي ولد في ١٨٢٨ وكتب آخر مسرحياته في ١٨٩٩ ومات في ١٩٠٦ . وقد قوبل بمواصف الاحتجاج والاستنكار حين نزل بمسرحياته الى ميدان المجتمع مهاجما مؤسساته البالية ، ولكن صوت العبقريّة الحقّة كان اقوى من مسرحيات الموت ، واذا بابسن يدفع المسرحية في اعظم نقطة تحول في تاريخها الحديث ، لا من ناحية الموضوع فحسب، بل من الناحية الفنية ايضا . فقد نزل بموضوعها كما مر الى رحاب الواقع ، ووقف مع المشاكل الاجتماعية وجها لوجه ، والقي في وجه الكثير من القيم الاجتماعية الف علامة استفهام ، وتعجب . اما من ناحية الشكل فقد استطاع ان يعطي المسرحية شكلا محددا ، يضع حدا للثرثرة التي طال امدها حول وحدات الزمان والمكان والموضوع ، وان يرتفع بهاجن مستوى الميول ودراما واضرابها الى مكائنها اللائقة . لست ادري ان تكن هذه السطور قد اعطتك فكرة عابرة عن المؤلف ، ولكنني افضل الف مرة ان تقرأ شيئا كتبه ابسن على ان تقرأ الف شيء كتب عنه .

ام تراني احذرك عن هذه المسرحية ؟ ولعل اول ما سيلفت انتباهك يا عزيزي القاري في هذه المسرحية تماسكها وبنائها الفني المتين . فهي وحدة متكاملة ، تتحرك من تلقاء ذاتها ، بلا معجزات خارجية او مفاجآت تخرج عن منطق التسلسل المسرحي . فلكل حدث جلور او تلميح او ظروف تبرره دون ان تطفئ تشوق القاري او المشاهد لتابعة المسرحية . ولكن هذا حديث يطول ، وساكفي بلفت النظر الى مظهر واحد من مظاهر هذا التماسك ، وهو تفاعل الاحداث والشخصيات في وحدة رافعة . واول ما تتجلى هذه الظاهرة في تنسيق العلاقات بين الشخصيات، تشابك هذه العلاقات وتعقدها . فهذه العلاقات تجعل كل شخصية من شخصيات المسرحية ضرورية لموضوعها ، وذات اثر فعال في تطور الشخصيات الاخرى ، وفي سير المسرحية ككل ، احداثها وشخصياتها ، الى الامام . وهذه العلاقات ايضا عرضة للتأثر باحداث الرواية ، وللتلون حسب انعكاساتها وهي تسير في خط التسلسل المسرحي . ورغم قلة احداث المسرحية ، فهي كافية لتسيير المسرحية ، ولتعميق مختلف اوجه تفاعلها مع الشخصيات . ويكسو المؤلف هذا كله ثوبا من الحوار الرائع ، اللاذع في سخريته ، والعميق في مرارته ، وهو ما يتميز به ابسن شاعر وناترا . والمسرحية كلها امثلة على هذا ، كما سيتضح اثناء قراءتها .

وربما تجد ايها القاري العزيز في هذه الرواية احداثا مرت بك وجوا عشت فيه ، واشخاصا التقيت بهم . فما اشبه اوضاع البلدة التي تدور فيها حوادث المسرحية باوضاع بلادنا . ستجد انك تعرف الكثيرين من امثال عمدة البلدة، وستعرف في هوفستاد على صحفيين يعيشون بيننا، بل وستجد انك تعرف الف نافع في بوق كنافخ البوق في الفصل الرابع من هذه المسرحية .

وبعد يا صديقي القاري ، فما اردت بهذا الحديث القصير الا ان نقطع وحشة الطريق حتى نصل الى باب المسرح، وانا حريص على ان اتركك تدخل وحدك، فما اريد ان اثرثر وانت تتبع المسرحية ، وكلي امل انك لن تشمر بالوحدة فستعيش مع اشخاص احياء سرعان ما تتعرف عليهم . عجل يا اخي ، اظنهم بدأوا يتناولون العشاء !

عصام صفدي

شخصيات المسرحية

الدكتور توماس ستوكمان : طبيب حمامات البلدية

السيدة ستوكمان : زوجته

بيترا : ابنتهما ، معلمة

ايلف : ابناهما ، عمر الاول ١٣ عاما والثاني ١٠ اعوام

مورتن : شقيق الدكتور الاكبر، عمدة البلدة ورئيس

بطرس ستوكمان : رئيس لجنة الحمامات ، الخ

مورتن كيل : رئيس الدبافين (والد السيدة ستوكمان بالتبني)

هوفستاد : محرر جريدة « مراسل الشعب »

بيليخ : مساعد المحرر

هورستر : قبطان سفينة

اسلاكسن : عامل مطبعة

المشركون في اجتماع المواطنين : رجال من طبقات ومراكز مختلفة

بعض النساء ، وجماعة من تلاميذ المدارس.

تجري احداث المسرحية في بلدة ساحلية في جنوب النرويج

الفصل الاول

(المنظر - مساء . غرفة الجلوس للدكتور ستوكمان . بسيطة الزخارف والاثاث ولكنها انيقة . يوجد بابان في الحائط الايمن ، يؤدي البعيد الى القاعة ، والقريب الى مكتبة الدكتور . ويوجد في الحائط المواجه ، مقابل باب القاعة ، باب يؤدي الى غرف المنزل الاخرى . وتنتصب المدفاة في منتصف هذا الحائط ، وامامها كنية توجد خلفها مرآة وامامها طاولة بيضاوية لها غطاء وعلى الطاولة مصباح مضاء له مظلة . وفي الحائط الخلفي باب مفتوح يؤدي الى غرفة الطعام ، يشاهد بيليج جالسا الى مائدة العشاء وفوطة على صدره . السيدة ستوكمان واقفة قرب المائدة ، تضع امامه طبقا فيه فخذ كبير من لحم البقر المشوي . المقاعد الاخرى حول الطاولة خالية . وتكاد الطاولة تكون في حالة فوضى ، وكأنها بعد وجبة) .

السيدة ستوكمان - اترى ان عليك ان تحتل عشاء باردا ، يا سيد بيليج ، اذا ما تأخرت ساعة .

بيليج (وهو ياكل) انه ممتاز - شكرا لك - عشاء من الدرجة الاولى . السيدة ستوكمان - انك تعلم ان ستوكمان يصر على انتظام مواعيد الوجبات

بيليج - اوه ، انا لا ابالي ابدا . واكاد اعتقد انني التذ بعشائي اكثر عندما اتناولوه هكذا ، منفردا دون ازعاج .

السيدة ستوكمان - اوه ، حسنا ، ان كنت تلتذ به - (تستدير نحو باب القاعة وترهف السمع نحوه) اظن ان السيد هوفستاد قادم هو الآخر .

بيليج - محتمل جدا .

(يدخل بطرس ستوكمان ، العمدة ، مرتديا معطفا وقبعته الرسمية ذات الشرائط الذهبية ، وهو يحمل عصا .)

العمدة - مساء الخير ، كاترين .

السيدة ستوكمان - (تتقدم في غرفة الجلوس) - آه ، مساء الخير - اهذا انت ؟ انه لطف منك ان تأتي لتزورنا !

العمدة - اتفق ان كنت مارا وهكذا (ينظر نحو غرفة الطعام) . ولكنني ارى ان عندك ضيوفا .

السيدة ستوكمان (متضايقة قليلا) - آه ، كلا - مجرد صدفه (بسرعة) الا تدخل وتناول عشاء بسيطا ؟

العمدة - انا ! لا ، شكرا لك . يا للمعجب - لحم ساخن في المساء! هذا لا يلائم معدتي .

السيدة ستوكمان - اوه ، ولكن مرة على سبيل الاستثناء العمدة - كلا ، كلا ، اشكر يا سيدتي ، انني اقتصر على الشاي والخبز والزبدة . فلأستمرار على هذا صحي اكثر ، واكثر توفيراً ، ايضا . السيدة ستوكمان (مبتسمة) - ينبغي الا تظن ان ايا منا ، توماس وانا مبسر

العمدة - اما انت فلست كذلك ، يا عزيزتي ، لن اظنك مبصرة (يشير الى مكتبة الدكتور) هل هو في البيت ؟

السيدة ستوكمان - لقد ذهب ليتمشى قليلا بعد العشاء - مع الاولاد . العمدة - اشك في ان هذا عمل لائق . (ينصت .) اخاله اتى الان . السيدة ستوكمان - لا ، ذلك ليس هو (يسمع نقر على الباب) .

ادخل !

(يدخل هوفستاد من القاعة) اوه ، انه السيد هوفستاد -

هوفستاد - ينبغي ان تعذرني ، لقد اخبرني عامل المطبعة . مساء الخير ، حضرة العمدة

العمدة (ينحني بفتور) . مساء الخير . لا ريب انك اتيت لشغل . هوفستاد - الى حد ما . انه يتعلق بمقال للجريدة

العمدة - هذا ما توقعت . سمعت ان شقيقي يكثر من الكتابة في « مراسل الشعب » .

هوفستاد - نعم . ومن لطفه انه يخص « مراسل لشعب » بما يكتب عندما يود الحديث في موضوع ما او آخر .

السيدة ستوكمان (مخاطبة هوفستاد) . ولكن ألا - ؟ (تشير الى غرفة الطعام)

العمدة - حسنا ، حسنا . لست الومه لانه يكتب لفئة من القراء يجدها اكثر تجاوبا معه . وانا شخصيا لا ارى شيئا يجعلني احمل لجريدتك اية نية سيئة ، سيد هوفستاد

هوفستاد - انني متفق معك تماما

العمدة - يمكن للمرء ان يقول ، بشكل عام ، ان روحا طيبة من التسامح المتبادل تسود بلدنا - روحا عامة رائعة . وذلك لان لنا مصلحة عظيمة واحدة تجمعنا معا - مصلحة يهتم بها كل مواطن سليم الادراك على السواء -

هوفستاد - نعم ، الحمامات

العمدة - بالضبط . حماماتنا الجديدة الممتازة . انتبه لكلماتي ، يا سيد هوفستاد . ستركز كل حياة البلدة في الحمامات ! لا يجوز ان نشك في هذا .

السيدة ستوكمان - هذا هو ما يقوله توماس

العمدة - ما اروع تطور المكان في العامين الماضيين ! لقد تواردت علينا العملة المتداولة وجاءت معها بالحياة والحركة . فأسعار البيوت والاراضي ترتفع كل يوم

هوفستاد - وخفت البطالة

العمدة - نعم ، هذا صحيح ايضا . لقد تضاعف عبء الضرائب عن الفقراء ، وهذا يسعد الطبقات المالكة ، وستزيد هذه السعادة ان كان صيف هذا العام جيدا حقا - فليتدفق الزوار - وليات عدد كبير من المرضى - فهذا يزيد الحمامات شهرة .

هوفستاد - وقد سمعت ان هناك بشائر تدل على هذا

العمدة - تبدو الامور مبشرة ، فالاستفسارات عن الغرف ونحوها - ما تزال تتدفق .

هوفستاد - سيكون مقال الدكتور في الوقت المناسب تماما .

العمدة - هل كتب شيئا في هذه الايام؟

هوفستاد - هذا مقال كتبه في الشتاء ووضح فيه ميزات الحمامات واحوال البلدة الصحية . وارجات نشره اذ ذاك .

العمدة - آه - بسبب بعض المتاعب ، على ما اعتقد ؟

هوفستاد - كلا ، على الاطلاق ، ولكنني ظننت ان من الافضل ان احتفظ به حتى الربيع ، عندما يلخذ الناس بالتطلع حولهم والتفكير بالاصطيااف

العمدة - لقد كنت مصيبا ، مصيبا جدا ، يا سيد هوفستاد

السيدة ستوكمان - نعم ، ان توماس فعلا لا يني عن الاهتمام بشؤون الحمامات .

العمدة - حسنا ، ولكن تذكر ان هذا واجبه فهو الطبيب المسؤول عن الحمامات .

هوفستاد - نعم ، وبالإضافة الى ذلك فقد كان هو في الحقيقة موجود الحمايات .

العمدة - أكان كذلك ؟ حقا ! يبدو لي ان اشخاصا معينين لهم هذا الرأي . ولكنني اعتقد انني ايضا كان لي دور متواضع في ذلك المشروع . السيدة ستوكمان - نعم ، هذا ما يقوله توماس دائما .

هوفستاد - لا يفكر احد بانكار ذلك ، حضرة العمدة . انت سرت الامر ووضعت على اساس عملي ، الجميع يعرفون هذا . وما عنيث سوى ان الفكرة الاصلية كانت للدكتور .

العمدة - نعم ، لقد كانت لآخي بالتأكيد أفكار مناسبة في ذلك الوقت - لسوء الحظ ! ولكن عندما يصل الامر الى مرحلة التحقيق ، سيد هوفستاد ، فاننا نحتاج الى رجال من نوع آخر . وكان ينبغي لي ان اعتقد انه في هذه الدار على الاقل -

السيدة ستوكمان - يا عزيزي بطرس -

هوفستاد - كيف يمكنك ان ... ؟

السيدة ستوكمان - لم لا تدخل يا سيد هوفستاد وتتناول عشاء . سيعود زوجي حالا بالتأكيد ...

هوفستاد - شكرا ، ربما مجرد لقيات (يدخل غرفة الطعام)

العمدة (بصوت منخفض) - من الغريب ان من يتحدرون مباشرة من طبقة الفلاحين لا يستطيعون قط ان يتغلبوا على افتقارهم لللباقة .

السيدة ستوكمان - ولكن لم تتضايق ؟ انت وتوماس تستطيعان حتما الاشتراك في الفخر كمشفيين .

العمدة - كان ينبغي ان اظن هذا ، ولكن يبدو ان بعض الناس لا يقتنعون بجزء من الفخر .

السيدة ستوكمان . يا للهراء ! انت وتوماس دائما على وفاء . (ترهف السمع) . هوذا ، اظنه اني . (تخرج وتفتح باب القاعة) .

الدكتور ستوكمان - (يضحك ويتكلم بصوت مرتفع من الخارج) . اليك بهذا الزائر الجديد ، كاترينا . اليس هذا رائعا ، اه ؟ ادخل ، حضرة القبطان هورستر . علق معطفك على ذلك المشجب . ماذا

الا ترتدي معطفا ؟ تصوري ، كاترينا ، لقد صادفته في الشارع واستطعت بصعوبة ان افنعه بالدخول . (يدخل القبطان هورستر الغرفة ويحيي

السيدة ستوكمان . ويتبعه الدكتور ستوكمان في الممر .) ادخلوا ايها الاولاد . انهم جائعون مرة اخرى ! اتبعني يا هورستر ، يجب ان تجرب

لحم البقر المشوي عندنا - (يدفع هورستر الى غرفة الطعام . ايلف ومورتن يتبعانها) .

السيدة ستوكمان - ولكن توماس ، ألا ترى ؟

الدكتور ستوكمان (يلتفت حوله) - اوه ، هل انت هنا ، بطرس ؟

(يذهب اليه ويصافحه) . هذا سار جدا .

العمدة - لسوء الحظ ، علي ان اذهب فورا -

الدكتور ستوكمان - هراء ! سنتناول بعض التودي (1) بعد دقيقة .

لملك لم تنسى التودي ، كاترينا ؟

السيدة ستوكمان - طبعاً لا ، ان الماء يغلي (تدخل غرفة الطعام)

العمدة - تودي ايضا - !

الدكتور ستوكمان - نعم ، اجلس ودعنا نسترح

العمدة - شكرا ، انا لا اشترك قط في حفلات الشرب المسائية

(1) شراب يتألف من مزيج من الويسكي ، او اي مشروب روحي اخر ، مع ماء ساخن وسكر (المرب) .

الدكتور ستوكمان - ولكن هذه ليست حفلة .

العمدة - لا ادري ماذا تكون سوى ذلك - (ينظر نحو غرفة الطعام)

من الغريب ان يتمكنوا من اكل كل ذلك الطعام .

الدكتور ستوكمان (يفرك يديه) - نعم الا يسر المرء ان يرى الصغار يأكلون ؟ دوما جائعون ! كذلك ينبغي ان يكونوا . انهم بحاجة الى لحم

جيد دسم لتقويتهم ! انهم هم الذين سيتصلون اضطرابات المستقبل يا بطرس .

العمدة - هل لي ان اسال ما الذي يراد « استئصاله » كما قلت؟ الدكتور ستوكمان عليك ان تسال الصغار عن ذلك عندما يحين الوقت

ونحن لن نشهد ذلك طبعاً . وهذا معقول - فانت وانا عجوزان رجعيان - العمدة - اسمع ، اسمع ! لا شك ان استعمال هذا التعبير مستهجن جدا

الدكتور ستوكمان - اوه ، يجب الا تهتم بثرثري ، يا بطرس . انني في حالة معنوية عالية ، كما ترى . انني اشعر بسعادة ، لا يمكن الافصاح

عنها ، في غمار هذه الحياة النامية المبرعمة . اليس رائعا هذا الوقت الذي نحياه ! يبدو ان عالما جديدا كاملا يتفتح حولنا .

العمدة - اعتقد هذا حقا ؟

الدكتور ستوكمان - طبعاً ، لا يمكنك ان تراه بنفس الوضوح الذي اراه به . لقد امضيت عمرك ماخوذاً في غمار هذا العصر ، وهذا يعيت

الحساسية . ولكن انا الذي اضطر ان يدفن كل تلك السنوات في ذلك الجحر الصغير في الشمال ، دون ان ارى من يقول لي كلمة تشجيع - كل

هذا يجعلني اشعر وكأنني سقطت فجأة في قلب احدي العواصم الصاخبة .

العمدة - حسناً ، احدي العواصم

الدكتور ستوكمان - اوه اعرف جيداً ان النطاق ضيق هنا اذا ما قورن باماكن اخرى عديدة . ولكن هنا توجد حياة - توجد تباشير - توجد

اشياء لا حصر لها يمكن العمل والنضال من اجلها ، وهذا هو الشيء الرئيسي . (ينادي .) كاترينا ، الم تردني اية رسالة ؟

السيدة ستوكمان (في غرفة الطعام) كلا ، ولا رسالة .

الدكتور ستوكمان - وبالإضافة الى ذلك فهناك دخل حسن ، بطرس هذا شيء يتعلم المرء ان يقدره اذا كان قد عاش على أجور لا تقني من

جوع -

العمدة - يا لله !

الدكتور ستوكمان - في الحقيقة انه يمكنني ان اخبرك اننا غالباً ما قضينا اوقاتنا عصيبة هناك . والان نستطيع ان نعيش كالامراء ! فاليوم،

مثلاً ، كان لدينا لحم بقر مشوي للفداء ، ولدينا بعضه للعشاء ايضا . الا تصيب منه شيئاً ؟ هلم - انظر اليه فقط ، وعلى اية حال -

العمدة - كلا ، كلا ، كلا على الاطلاق -

الدكتور ستوكمان - حسناً اذن ، انظر - الا ترى اننا اشترينا فطاء للطاولة ؟

العمدة - بلى ، لاحظت هذا .

الدكتور ستوكمان - ومظلة للمصباح ، ايضا . كل هذا بسبب توفير كاترينا . انها تجعل الغرفة مريحة ، اليس كذلك ؟ قف هنا لحظة . كلا

كلا ، كلا ليس هناك . هنا تماماً . نعم . الان ترى كيف انها تركز الضوء - وفي الحقيقة انني اعتقد ان لها تأثيراً فنياً . اليس كذلك ؟

العمدة - بلى ، عندما يتمكن المرء من توفير مثل هذه الكماليات - الدكتور ستوكمان - اوه ، بامكانني توفيرها الان . تقول كاترينا انني

الكسب قدر ما ننفق تقريبا .

العمدة - آه ، تقريبا

الدكتور ستوكمان - ولكن المتعلم يجب ان يعيش في مستوى ما . واعتقد تمام الاعتقاد ان الموظف العادي ينفق سنويا اكثر بكثير مما انفق . العمدة - نعم ، ربما . موظف - رجل في منصب له دخل جيد - الدكتور ستوكمان - حسنا اذن ، حتى اي تاجر عادي ! ان رجلا من هذا النوع ينفق عدة اضعاف -

العمدة - هذا يعتمد بالطبع على الظروف .

الدكتور ستوكمان - وعلى أية حال يا بطرس ، فانا حقا لا ابدد اية نقود . ولكني لا استطيع ان احرم نفسي بهجة اكرام اصدقائي . يجب ان يكونوا حولي . فبعد ان عشت كل تلك الفترة خارج العالم ، اعتبرها ضرورة من ضرورات الحياة ان يكون حولي شبان ، لامعون ، مرحون ، محبوبون للحرية، يؤوبون على العمل - وهذه هي حالهم جميعا - الجالسون هناك ياكلون بشهية . اود لو تعرف المزيد عن هوفستاد

العمدة - بهذه المناسبة ، اخبرني هوفستاد انه سينشر مقالا اخر لك .

الدكتور ستوكمان - مقالا لي ؟

العمدة - نعم ، عن الحمامات . مقالا كتبته انت في الشتاء الماضي .

الدكتور ستوكمان - ذلك المقال ! ولكني لا اريد نشره في الوقت الحاضر

العمدة - لم لا ؟ يبدو لي ان هذا انسب وقت له :

الدكتور ستوكمان : محتمل جدا - في ظروف عادية (يدرع الفرفة)

العمدة - (يلاحقه بعينيه) . وهل هناك ما هو غير عادي في الظروف

الحاضرة ؟ .

الدكتور ستوكمان (يتوقف ساكنا) - في الحقيقة انني لا استطيع

اخبارك الان ، يا بطرس ، وليس في هذه الامسية على أية حال . ربما

يوجد دليل على وجود الكثير مما هو غير عادي الان . ومن ناحية اخرى ،

ربما لا يوجد شيء على الاطلاق . ربما كان وهمي هو كل ما في الامر .

العمدة - في نعمتي انك محير . هل هناك ما تاتي به الريح ؟

أوجد شيء لا بد من ابقائي في الظلام فيما يتعلق به ؟ ينبغي ان اعتقد ،

ك رئيس للجنة الحمامات -

الدكتور ستوكمان - وانا ينبغي ان اعتقد انني - حسنا ، حسنا ،

لا تدعنا نشور يا بطرس .

العمدة - لا سمح الله ! انا لست معتادا ان « آثور » على حد قولك .

ولكن يجب ان اصر الاصرار كله على ضرورة اتخاذ وتنفيذ كل الترتيبات

بطريقة رسمية ، وعن طريق السلطات المختصة حقا . فليس يمكنني

الانحياز للوسائل اللتوية الاحتيالية .

الدكتور ستوكمان - وهل كنت قط مختصا في الوسائل اللتوية او

الاحتيالية ؟

العمدة - على أية حال ، ان لك ميلا فطريا للسفر في طريقك

الخاص . وهذا ايضا ، في الاوساط الحسنة التنظيم ، يكاد يكون غير

مسموح به . يجب ان يخضع الفرد نفسه للمجتمع ، او ، بدقة اكثر ،

للسلطات التي من واجبها ان تراقب رفاهية المجتمع .

الدكتور ستوكمان - ربما . ولكن ما علاقة هذا بي والعياذ بالله ؟

العمدة - لماذا ، هذا هو بالذات ما يبدو لي انك لن تتعلمه ، يا

عزيزي توماس . ولكن حذار ، سوف تضطر ان تدفع ثمن ذلك - عاجلا

ام آجلا . لقد حذرتك الان . وداعا .

الدكتور ستوكمان - هل فقدت عقلك ؟ انك على ضلال مبین -

العمدة - لست انا من يكون على ضلال مبین ، في اغلب الاحيان .

وبالاضافة الى ذلك ، علي ان احتج على - (ينحني نحو غرفة الطعام) .

وداعا ، يا عزيزتي . طاب مساؤكم ايها السادة . (يخرج)

السيدة ستوكمان (تدخل غرفة الجلوس) - هل ذهب ؟

الدكتور ستوكمان - نعم ، وفي مزاج سيء جدا .

السيدة ستوكمان - لماذا ، ماذا فعلت له ، يا عزيزي ؟

الدكتور ستوكمان - لا شيء اطلاقا وعلى كل فلا يستطيع ارغامني

على ان اوضح له كل شيء قبل الاوان .

السيدة ستوكمان - ماذا لديك مما يحتاج الى توضيح ؟

الدكتور ستوكمان - احم ، - لا تكثرني بذلك ، كاترينا - ممن

الغريب الا ياتي ساعي البريد .

(هوفستاد ، وييلخ ، وهورستر ينهضون عن المائدة ويدخلون غرفة

الجلوس ، يتبعهم ايلف ومورتن)

ييلخ (تمطيا) - آه ! فلأضرب حتى الموت ان لم يشعر المرء انه

رجل جديد بعد وجبة كهذه .

هوفستاد - ان العمدة لم يبد في احسن مزاج هذا المساء .

الدكتور ستوكمان - بسبب معدته ، ان هضمه ضعيف

هوفستاد - اخال ان هيئة « المراسل » هي ما يجده اصعب شيء

لمعدته .

السيدة ستوكمان - ظننت انكم على وفاق معتدل معه

هوفستاد - نعم ، ولكن ذلك نوع من الهدنة بيننا

ييلخ - الامر كذلك . هذه الكلمة تلخص الموقف

الدكتور ستوكمان - ينبغي ان نتذكر ان بطرس اعزب وحيدا ، يا للشيطان

المسكين ! ليس له بيت يسعد فيه ، عمل فحسب ، عمل . وبعد ذلك

ينهب ويصّب في جوفه كل ذلك الشاي الخفيف اللعين ! والان ، ضموا

الكراسي حول الطاولة ، يا اولاد . كاترينا ، ان نشرب التودي الان ؟

السيدة ستوكمان (تذهب نحو غرفة الطعام) - اني على وشك احضاره

الدكتور ستوكمان - وانت يا كابتن هورستر ، اجلس بجانبني على

الكنبة - انت ضيف نادر - اجلسوا ايها السادة ، اجلسوا .

(يجلسون حول الطاولة ، تحضر السيدة ستوكمان صينية عليها

ابريق ، وكؤوس ، وزجاجات مختومة ، الخ)

السيدة ستوكمان - هاكم : هذا عرق ، وهذا روم ، وها هو الكونياك .

والان ، تفضلوا .

الدكتور ستوكمان (يتناول كأسا) - وهذا ما سنفعله ، (يمزجون

التودي) . والان الي بالسيجار . ايلف ، اظنك تعرف اين هو الصندوق .

وانت يا مورتن ، ارجو ان تحضر لي غليوني . (يدخل الولدان الفرفة

الى اليمين) . لدي شك بان ايلف يختلس سيجارا بين الحين والآخر ،

ولكني انظاها باني لا الاحظ ذلك . (ينادي) وقبعة التدخين التنكرية ،

مورتن ! كاترينا ، الا يمكنك ان تجربيه اين تركتها ؟ آه ، لقد احضرها .

(يحضر الاولاد الاشياء المختلفة) . والان ، ايها الاصدقاء ، تفضلوا .

انني اتمسك بغليوني ، كما تعرفون ، - هذا الغليون كان معي في اكثر من

رحلة عاصفة ، هناك في الشمال (يقرعون الكؤوس) نخب صحتكم ! آه ،

ما اجمل ان يجلس المرء هنا مرتاحا ، آمننا الريح والطقس

السيدة ستوكمان (وهي تحيك) - هل ستبهر قريبا ، هورستر ؟

هورستر - آمل ان اكون مستعدا للابحار في الاسبوع المقبل .

- التتمة على الصفحة ٤٩ -

عدو الشعب

— تتمة المنشور على الصفحة ٢١ —

السيدة ستوكمان — وهل انت ذاهب الى امريكا ؟

هورستر — نعم ، ذلك هو المقصد .

بيلخ — ولكنك تفوت انتخاب مجلس البلدة الجديد

هورستر — هل ستجري انتخابات من جديد ؟

بيلخ — الا تعلم ذلك ؟

هورستر — كلا ، انا لا اهتم بهذه الامور .

بيلخ — ولكني اعتقد انك تولي الشؤون العامة اهتماما ؟

هورستر — كلا ، انا لا اعرف شيئا عنها .

بيلخ — سيان ، ولكن ينبغي للشخص ان يدلي بصوته على الاقل .

هورستر — حتى اولئك الذين لا يعرفون شيئا عن مجريات الامور ؟

بيلخ — لا يعرفون ؟ لماذا ، ماذا تعني بذلك ؟ المجتمع مثل السفينة : على كل شخص ان يضع يده على مقبض الدفة .

هورستر — قد يكون هذا صحيحا على الشاطئ ، اما في البحر فلا

يجدي ابدا .

هوفستاد — من الجدير بالملاحظة ضالة اهتمام البحارة بالشؤون العامة على وجه العموم .

بيلخ — غريب جدا

الدكتور ستوكمان — البحارة كالطيور العابرة ، فهم يشعرون ، اينما كانوا بانهم في موطنهم . ولذا ينبغي على الآخرين ان يكونوا اكثر نشاطا ، سيد هوفستاد . هل هناك ما هو ذو اهمية عامة في « مراسل الشعب » غدا ؟

هوفستاد — ليس من شيء يتعلق بشؤون البلدة . ولكنني افكر في نشر مقالك بعد غد .

الدكتور ستوكمان — لا ، لياخذه الشيطان — مقالتي ! اسمع ، ينبغي ان تؤجله .

هوفستاد — حقا ؟ اتفق انه وجد مكان كاف ، وينبغي ان اقول ان هذا الوقت هو الوقت المناسب له بالذات .

الدكتور ستوكمان — نعم ، نعم ، ربما تكون على حق ، ولكن يجب ان تؤجله ، على اية حال ، وسوف اشرح لك الامر عما قريب .

(تدخل بيترا من باب القاعة ، وهي مرتدية قبعة ومغطا ، وتحت ابطها عدد من دفاتر التمارين) .

بيترا — مساء الخير

الدكتور ستوكمان — مساء الخير ، بيترا ، اهذه انت ؟

(تحيات متبادلة . تضع بيترا مغطاها ، وقبعتها ، والدفاتر على كرسي قرب الباب)

بيترا — انتم جميعا تمنعون انفسكم هنا ، بينما اكبح في الخارج

الدكتور ستوكمان — حسنا اذن ، ها انت ايضا تقبلين لتمتعي نفسك .

بيلخ — هل امزج لك قليلا ؟

بيترا (تتقدم نحو الطاولة) اشكرك ، افضل ان امزج بنفسي — انت

دائما تجعله اقوى مما ينبغي . ولكنني نسيت ان لك معي رسالة يا ابت .

(تذهب الى الكرسي حيث وضعت اغراضها)

الدكتور ستوكمان — رسالة ؟ ممن ؟

بيترا (تبحث في جيب مغطاها) — لقد اخذتها من ساعي البريد في اللحظة التي كنت خارجة فيها

الدكتور ستوكمان (ينهض وينهب نحوها) — ولا تعطيني اياها الا الان ؟

بيترا — الحقيقة انه لم يكن لدي وقت لاعد واعطيك اياها ، ها هي .

الدكتور ستوكمان (ياخذ الرسالة) ارنيتها ، ارنيتها يا طفليتي

يقرا العنوان (نعم ، هذه هي — !

السيدة ستوكمان — هل هي الرسالة التي كنت شديد القلق بشأنها ،

توماس ؟

الدكتور ستوكمان — نعم ، هي . يجب ان اذهب حالا . اين ساجد

ضوءا يا كاترينا ؟ للمرة الثانية لا يوجد مصباح في غرفة الطالعة !

السيدة ستوكمان — بلى ، المصباح مضاء ، انه على المكتب

الدكتور ستوكمان — حسنا ، حسنا . اسمعوا لي دقيقة واحدة

(يذهب الى الغرفة الى اليمين)

بيترا — ماذا يمكن ان تكون ، اماء ؟

السيدة ستوكمان — لست ادري ، لقد كان في الايام القليلة الماضية

يراقب ساعي البريد باستمرار

بيلخ — ربما مريض من الريف

بيترا — يا لوالدي المسكين ! سرعان ما سيرهق نفسه (تمزج التودى) .

اه ، سيكون حسن المذاق !

هوفستاد — هل كنت تدرسين في المدرسة المسائية اليوم ايضا ؟

بيترا — (ترشف من كأسها) — ساعتان

بيلخ — واربع ساعات صباحا في المعهد

بيترا — (تجلس الى الطاولة) — بل خمس ساعات

السيدة ستوكمان — وارى ان معك تمارين للتصحيح هذا المساء

بيترا — نعم ، وما اكثرها

هورستر — يبدو لي ان لديك ، ايضا ، عملا كثيرا

بيترا — نعم ، ولكنني احبه . يشعر المرء بعده بتعب بهيج

بيلخ — اتحبين ذلك ؟

بيترا — نعم ، فيمكن للمرء عندئذ ان ينام نوما مريحا

مورتن — بيترا ، اظن انك مذنبة كبيرة ولا ريب

بيترا — مذنبة ؟؟

مورتن — نعم ، ان كنت تعملين بهذا الجد ، يقول السيد رولند ان

العمل عقاب للذنوبنا .

ايلف (باحتقار) — بش ! يا لك من سخي ان تصدق قولا كهذا .

السيدة ستوكمان — حسبك ، حسبك ، ايلف

بيلخ (ضاحكا) — عظيم ، عظيم !

هوفستاد — الا تود ان تعمل بمثل هذا الجد يا مورتن ؟

مورتن — كلا ، لا اود ذلك

هوفستاد — ماذا تريد ان تكون اذن ؟

مورتن — اريد ان اكون قرصانا

ايلف — ولكن ينبغي ان تكون وثيا اذ ذاك

مورتن — حسنا ، ساكون كذلك .

بيلخ — اتفق معك في ذلك يا مورتن ! انني اقول نفس الشيء ، تماما .

السيدة ستوكمان (تشير الى بيلخ) كلا ، كلا ، انني واثقة ان هذا

غير صحيح يا بيلخ

بيلخ - فلاضرب حتى الموت ان لم يكن كذلك . انني وثني ، واننا
فخور بذلك . وسوف ترين اننا جميعا نصبح وثنيين عما قريب
مورتن - وهل ستكون قادرين على ان تعمل ما نشاء عندئذ ؟
بيلخ - حسنا لا يخفي عليك يا مورتن ان -
السيدة ستوكمان - انهما الان ، ايها الولدان ، اني متأكدة ان لديكما
دروسا كي تحضراها للغد .

ايلف - هل لك ان تسمح لي بالبقاء لحظة اخرى ؟
السيدة ستوكمان - كلا ، عليك ان تذهب انت ايضا . اخرجنا ، كلاهما .
(يلقي الولدان تحية المساء ويلهبان الى الغرفة الى اليسار)
هوفستاد - احقا تعتقدين ان سماع تلك الاشياء يضر الاولاد ؟
السيدة ستوكمان - آه ، لست ادري ، انا لا احب ذلك
بيترا - ولكنني اعتقد انك مخطئة يا اماء في هذا
السيدة ستوكمان - ربما . ولكنني لا احب ذلك - ليس هنا في البيت
بيترا - ليس هناك نهاية للملق في البيت او المدرسة . على المرء
ان يلجم لسانه في البيت ، وان يقف في المدرسة ويلقي الاكاذيب على
الاطفال .

هورستر - هل تضطرين للكذب ؟
بيترا - نعم ، الا تعتقد اننا مجبرون ان نخبرهم اشياء واشياء
لا نؤمن بها نحن ؟
بيلخ - هذا صحيح جدا !
بيترا - فقط لو كنت استطيع ان انشيء مدرسة بنفسني ، لسيرتها
على اسس مختلفة تمام الاختلاف
بيلخ - لو كنت تستطيعين - !
هورستر - اذا كنت تفكرين جديا بهذا ، فانه يسرني ان اعطيك غرفة
في مسكني ، يا آنسة ستوكمان . فانت تعرفين ان بيت والدي القديم
يكاد يكون خاليا ، وهناك غرفة طعام واسعة جدا في الطابق الارضي
بيترا (ضاحكة) - آوه ، شكرا جزيلا - ولكنني اعتقد انه لن يكون
شيء من هذا القبيل .

هوفستاد - كلا ، يخيل لي انه انب للآنسة بيترا ان تتجه للصحافة .
وبهذه المناسبة ، هل توفر لديك وقت للاطلاع على الرواية الانجليزية التي
وعدت ان تترجمها لنا ؟
بيترا - لم يتوفر لدي وقت بعد . ولكنك ستأخذها في وقت مناسب .
(يخرج الدكتور ستوكمان من غرفته والرسالة مفتوحة في يده .)
الدكتور ستوكمان : (ملوحا بالرسالة) . يمكن القول ان هذا هو
النبا الذي سيثير البلدة !

بيلخ - نبا !
السيدة ستوكمان - اي نبا ؟
الدكتور ستوكمان - اكتشاف عظيم يا كاترينا !
هوفستاد - حقا ؟
السيدة ستوكمان - تم على يديك ؟
الدكتور ستوكمان - بالضبط - على يدي ! (يمشي جيئة وذهابا) .
ليستمرؤا الان في اتهام بالافكار الحمقاء والخيال العابت . ولكنهم
لن يجروؤا ! ها - ها ! اقول لكم انهم لن يجروؤا !
بيترا - اخبرنا ما الامر ، يا ابتاه ؟
الدكتور ستوكمان - حسنا ، حسنا ، اعطوني فرصة ، وسوف نسمعون
كل ما هنالك . آه لو كان بطرس هنا الان ! هذا يرينا كيف اننا ، معشر

الرجال ، نمضي في تكوين احكامنا اذ يكون كل منا في الحقيقة ضريرا
كالخلد .
هوفستاد - ماذا تعني ، دكتور ؟
الدكتور ستوكمان (يقف بجانب الطاولة) - اليس الراي العام هو ان
بلدنا مكان صحي ؟
هوفستاد - طبعا
الدكتور ستوكمان - مكان صحي فريد ، حقا - مكان يجب ان نظريه
بحرارة ، للرضى والصم
السيدة ستوكمان - عزيزي توماس
الدكتور ستوكمان - ونحن ، بالتأكيد ، لم نقصر في اطرائه وكيصل
المدبح له . لقد تغنيت بمدحه مرارا وتكرارا ، في « المراسل » وفي
الكراسات -
الدكتور ستوكمان - هذه الحمامات ، التي دعوتها نبض البلدة ،
وعصبتها الحيوي ، و - الشيطان يعلم ماذا ايضا -
هوفستاد - حسنا ، وماذا بعد هذا ؟
بيلخ - « قلب بلدنا النابض » كما قلت في احدى المناسبات الهامة
الدكتور ستوكمان - تماما ، حسنا ، هل تعرفون ما هي حقيقة تلك
الحمامات العظيمة الممتازة التي اطربناها ، والتي انفق الكثير من المال -
هل تعرفون ما هي ؟
هوفستاد - كلا ، وما هي ؟
السيدة ستوكمان - بالله نخبرنا
الدكتور ستوكمان - ان المكان كله جمر معد .
بيترا - الحمامات يا ابت ؟
السيدة ستوكمان (في نفس الوقت) حماماتنا !
هوفستاد (في نفس الوقت ايضا) ولكن ، دكتور - !
بيلخ - امر لا يصدق !
الدكتور ستوكمان - ان المكان كله قبر سام مزخرف ، وشديد الاذى،
فكل القاذورات الموجودة في وادي الطاحون - وهي المادة التي تبعث
رائحة كريهة جدا - تعدي مياه الانابيب الذاهبة الى غرفة مياه الاستشفاء
ونفس النفايات اللعينة السامة تنز قرب الشاطئ
هوفستاد - حيث يقع مكان الاستحمام ؟
الدكتور ستوكمان - بالضبط
هوفستاد - ولكن كيف تتأكد من كل هذا ، دكتور ؟
الدكتور ستوكمان - لقد درست الوضع كله بما استطيع من نزاهة ضمير
لقد كانت لي شكوك فيه منذ حين . فقد جاءتنا في العام الماضي بعض
حالات المرض الغريبة بين الزائرين - هجمات من التيفويد والحمى
المعدية -
السيدة ستوكمان - نعم اذكر ذلك
الدكتور ستوكمان - وقد حسبنا اذ ذاك ان الزائرين جاؤوا بالمعدوى
معهم ، بعدئذ ، في الشتاء الماضي ، بدأت اتساءل عن ذلك . وهكذا
شرعت بفحص المياه فحسا دقيقا جدا .
السيدة ستوكمان - هذا اذن ما كنت تجهد نفسك فيه !
الدكتور ستوكمان - نعم ، ربما تكونين على صواب اذ تقولين انني
اجهدت نفسي فيه ، كاترينا . ولكن الادوات العلمية الضرورية غير
متوفرة عندي هنا ، كما تعلمين ، وهكذا فقد ارسلت عينات من مياه
الشرب ومياه البحر للجامعة ، ليجري فحصها بدقة من قبل كيميائي.

هوفستاد - واستلمت تقريره ؟

الدكتور (يمد الرسالة) - هوذا ! وهو يثبت بلا جدال وجود مادة عضوية غفنة في المياه - ملايين النقايات . انها مؤذية جدا للصحة ، سواء في الاستعمال الداخلي او الخارجي .

السيدة ستوكمان - يا لها من نعمة تكشفها في الوقت المناسب !

الدكتور ستوكمان - نعم ، جميل ان تقولي هذا

هوفستاد - وماذا تنوي ان تفعل الان ، دكتور ؟

الدكتور ستوكمان - ساصح الاوضاع ، طبعا

هوفستاد - انت تعتقد ان هذا ممكن ؟

الدكتور ستوكمان - يجب ان يتم ، والا فستكون كل الحمامات عديمة الجدوى ، ومدمرة . ولكن لا ضير ، انني متأكد مما هو مطلوب .

السيدة ستوكمان - ولكن لماذا أبقيت هذا كله سرا ، يا عزيزي ؟

الدكتور ستوكمان - هل تفضلين لو اندفعت عبر البلدة مثرثرا عن ذلك ، قبل ان أكون متأكدا تماما ؟ كلا ، شكرا لك ، لست مجنوننا الى هذا الحد .

بيترا - ولكن لنا في البيت -

الدكتور ستوكمان - لم يكن بإمكانني ان اقول كلمة واحدة لاي كائن حي . ولكن يمكنكم ان تذهبوا الى الغريراء غدا -

السيدة ستوكمان - أوه ، توماس !

الدكتور ستوكمان - حسنا ، عند والدك . سيجد المعجوز ما يدهشه ! انه يعتقد ان دماغي ليس سليما تماما - نعم ، وقد لاحظت ان آخرين كثيرين لهم نفس الاعتقاد . اما الان ، فسيري هؤلاء الطيبون - نعم ، سيرون الان ! (يمشي جيئة وذهابا وهو يفرك يديه) أية بلبله ستحدث في البلدة ، يا كاترينا ! فكري في ذلك ! ينبغي ان توضع كل أنابيب المياه من جديد .

هوفستاد (ناهضا) - كل أنابيب المياه ؟

الدكتور ستوكمان - طبعا ان منفذ المياه منخفض جدا ، ويجب ان يرفع كثيرا

بيترا - لقد كنت مصيبا اذن

الدكتور ستوكمان - نعم ، هل تذكرين ، بيترا ، لقد عارضت خططهم عند بدء العمل . ولكن احدا لم يستمع لي حينئذ . الان ، تاكدي انني ساصليهم نيران مدفعيتي - لقد أعددت تقريرا للجنة الحمامات ، لقد كان معدا وجاهزا منذ اسبوع ، كنت انتظر نتيجة التحليل . (يشير الى الرسالة) . اما الان فسيكون عندهم حالا . (يدخل غرفته ويعود وفي يده اوراق) . انظري ! أربعة اوراق مملوءة تماما ! وسأضع التقرير معها . جريدة يا كاترينا . اعطيني شيئا الفها به . هذا حسن ! اعطيني اياها (يضرب الارض بقدمه) - ما اسمها والعياذ بالله ؟ - اعطيها للخادمة ، واخبريها ان تاخذها للعمدة حالا .

(تخرج السيدة ستوكمان عبر غرفة الطعام ومعها الرزمة .)

بيترا - ماذا تتوقع ان يقول عمي بطرس ، يا ابتاه ؟

الدكتور ستوكمان - ماذا سيقول ؟ من المحتمل ان يسره اخراج هذه الحقيقة الى النور .

هوفستاد - من المرغوب فيه كثيرا ان يعرف الشعب شيئا عن الموضوع فوراً .

الدكتور ستوكمان - نعم ، بكل تأكيد

السيدة ستوكمان (تعود) - لقد ذهبت بها

بيلسخ - فلاضرب حتى الموت ان لم تصبح الرجل الاول في البلدة ، دكتور !

الدكتور ستوكمان (يمشي جيئة وذهابا بادي السرور) . أوه ، هراء! وعلى كل حال فانا لم أقم بشيء اكثر من واجبي . لقد كنت سعيد الحظ بالعثور على كنز ، وهذا كل ما هنالك . ولكن سيان ؟

بيلسخ - هوفستاد ، الا ترى انه ينبغي للبلدة ان تقيم احتفالا بالمشاعل على شرف الدكتور ستوكمان ؟

هوفستاد - سأقترح هذا بالتأكيد .

بيلسخ - سأقنع أسلاكس بذلك .

الدكتور ستوكمان - كلا ، يا اصدقائي الاعزاء ، دعوا هذا الكلام الفارغ جانبا . لا اريد ان اسمع شيئا من هذا القبيل . واذا شئت لجنة الحمامات ان تزيد راتبني ، فلن أقبل ذلك . اني اقول لك يا كاترينا اني لن أقبل ذلك .

السيدة ستوكمان - انك مصيب تماما ، توماس .

بيترا (ترفع كأسها) . نخب صحتك ، يا والدي !

هوفستاد وبيلسخ - صحتك ، صحتك ، دكتور !

هورستر (يقرع بكاس الدكتور) أمل الا ينالك سوى السعادة من جراء اكتشافك .

الدكتور ستوكمان - شكرا ، شكرا ، يا اصدقائي الاعزاء ! كم انا سعيد يا لها من نعمة ان تشعر انك اهل للخير من بلدتك ومواطنيك . مرحي، كاترينا ! (يضع ذراعيه حول عنقها ويجعلها تدور معه . السيدة ستوكمان تصرخ وتقاوم ضاحكة . الجميع يضحكون ، ويصفقون ، ويهتفون للدكتور . يمد الاولاد رؤوسهم من الباب .)

الفصل الثاني

(المنظر ذاته - باب غرفة الطعام مغلق - صباحا)

السيدة ستوكمان (تأتي من غرفة الطعام ومعها رسالة مختومة ، تذهب الى ابعاد باب الى اليمين . وتنظر الى الداخل) . هل انت هنا ، توماس؟ الدكتور ستوكمان (من الداخل) - نعم ، لقد وصلت الان . (يدخل) ماذا هنالك ؟

السيدة ستوكمان - رسالة من شقيقك . (تعطيه اياها)
الدكتور ستوكمان - فلنر (يفض المظف ويقرأ) « اعيد لك طيه التقرير الذي أرسلته - » (يستمر في القراءة ، متمتعا لنفسه .) احم -
السيدة ستوكمان - حسنا ، ماذا يقول ؟
الدكتور ستوكمان (يضع الورقة في جيبه) . لا شيء ، غير انه سيحضر بنفسه ظهرا .

السيدة ستوكمان - اذن حاول جهدا ان تبقى في البيت .
الدكتور ستوكمان - سألتبر الامر ، لقد انتهت زيارتي الصباحية .
السيدة ستوكمان - انني توافقة لمعرفة وجهة نظره في الامر
الدكتور ستوكمان - سترين انه لن يكون مسرورا كثيرا لاني انا الذي قمت بالاكشاف ، وليس هو بنفسه .

السيدة ستوكمان - هذا هو بالضبط ما أخشاه .

الدكتور ستوكمان - وبالطبع فسيكون مسرورا في أعماقه ، ولكن بطرس - لا يزال ، وبشكل مؤسف ، غير راغب ان يعمل احد سواه من اجل مصلحة البلدة .

السيدة ستوكمان - لعلك تتساهل قليلا يا توماس وتشركه في هذا الشرف . الا يمكن ان يبدو الامر وكأنه هو الذي اوقفك على هذا

الدكتور ستوكمان - ممكن جدا، فانا لا ابالي . فقط لو أستطيع تصحيح
الاضلاع - (يمد مورتن كيل المعجوز رأسه من باب القاعة ويسأل بخبث)
مورتن كيل - اصحيح - اصحيح ؟

السيدة ستوكمان (تتجه اليه) ابتاه - اهنا انت ؟

الدكتور ستوكمان - أهلا وسهلا يا عماء ! صباح الخير ، صباح الخير .
السيدة ستوكمان - تفضل

مورتن كيل - اذا كان ذلك صحيحا دخلت ، وان لم يكن فانا خارج ثانية
الدكتور ستوكمان - ما الذي تريده ان يكون صحيحا ؟

مورتن كيل - مسألة منشآت المياه . هل هي صحيحة ؟

الدكتور ستوكمان - طبعا صحيحة . ولكن كيف سمعت ذلك ؟

مورتن كيل (يدخل) - زارني بيترا وهي في طريقها الى المدرسة -
الدكتور ستوكمان - هل فعلت ذلك ؟

مورتن كيل - نعم ، نعم - واخبرني - ظننت انها تهزأ بي ! ولكن ذلك
ليس من عادة بيترا ابدا .

الدكتور ستوكمان - حقا ، لا ، وكيف تفكر في ذلك ؟

مورتن كيل - من الافضل الا يثق المرء بأحد ، والا فقد يجد نفسه
مجنونا قبل ان يدرك أين هو . واذا فالامر صحيح ، على كل حال ؟

الدكتور ستوكمان - بكل تأكيد . اجلس يا عماء . (يجلسه على الكنبه)
والان ، اليس ذلك نعمة حقيقية للبلدة - ؟

مورتن كيل (كاتما ضحكة) - نعمة للبلدة ؟

الدكتور ستوكمان - نعم ، اكتشافي للامر في الوقت المناسب

مورتن كيل (كما في السابق) - بلى بلى ، بلى ! - حسنا ، ما فكرت
قط انك الرجل الذي سيجر رجل شقيقه بالذات بهذا الشكل .

الدكتور ستوكمان - اجر رجله !

السيدة ستوكمان - ماذا ، يا والدي العزيز -

مورتن كيل (يضع يديه وذقنه على طرف عصاه وينظر بخبث الى
الدكتور) . مرة ثانية ، ماذا في الامر ؟ اليس ان بعض الحيوانات دخلت
انايب المياه ؟

الدكتور ستوكمان - بلى ، حيوانات نقاعية .

مورتن كيل - وان عددا من هذه الحيوانات قد دخل ، اسراب كاملة
منها ، كما قالت بيترا .

الدكتور ستوكمان - بالتأكيد ، مئات الالوف

مورتن كيل - ولكن لا يستطيع احد رؤيتها - اليس كذلك ؟

الدكتور ستوكمان - صحيح ، لا يستطيع احد رؤيتها .

مورتن كيل (بضحكة هادئة ، مكتومة) . فليعلنني الله ان لم يكن هذا
احسن ما سمعته منك حتى الان .

الدكتور ستوكمان - ماذا تعني ؟

مورتن كيل - ولكن شيئا من هذا القبيل لن يخدم العمدة قط .

الدكتور ستوكمان - حسنا ، هذا ما ستراه .

مورتن كيل - انظنه سيكون غيبا الى هذا الحد ؟

الدكتور ستوكمان - أمل ان البلدة كلها ستكون غيبية الى هذا الحد .
مورتن كيل - البلدة كلها ! حسنا ، ليس هذا بشيء سيء . ولكن

هذا هو ما يستحقه اهل البلدة ، سوف تلقنهم درسا . ارادوا ان يكونوا
اشد ذكاء منا معشر الشيوخ . لقد طردوني من المجلس البلدي . نعم ؛
طردوني كالكلب ، ذلك هو ما فعلوه . ولكن جاء دورهم الان . جر

الدكتور ستوكمان - ولكني في الواقع ، يا عمي -

مورتن كيل - جر أرجلهم ! (ينهض) اذا استطعت ان تجعل العمدة
وعصابته يلقون نفس المصير ، فساعطي للفقراء مائة ريال على الفور .

الدكتور ستوكمان - هذا لطف منك !!

مورتن كيل - ليس لدي طبعاً مال كثير ابعثه ، ولكن اذا نجحت في
ذلك فانهي ساندرك الفقراء في عيد الميلاد ، حتى حدود خمسين ريالا .

(يدخل هوفستاد من القاعة)

هوفستاد - اسعدتم صباحا ! (يصمت) أوه ! معذرة -

الدكتور ستوكمان - لا بأس عليك . تفضل ، تفضل

مورتن كيل (يضحك بهدوء مرة اخرى) - هل هو ايضا مشترك في
القضية ؟

هوفستاد - ماذا تعني ؟

الدكتور ستوكمان - نعم ، هو طبعا مشترك

مورتن كيل - كان ينبغي ان اعرف ذلك ! يجب ان يصل الامر الى
الصحف . انت لها ستوكمان ! أعمالا فكركما ، انني ذاهب .

الدكتور ستوكمان - لا تذهب ، لا تذهب الان يا عماء .

مورتن كيل - كلا ، اني ذاهب الان . استمر في هذه الجيلة الشيطانية
حتى النهاية ، ولن تخسرهما ، ولالمن ان خسرتها !

(يخرج ، وترافقه السيدة ستوكمان الى القاعة)

الدكتور ستوكمان (ضاحكا) تصور ، ان هذا المعجوز لا يصدق كلمة
من كل هذا عن منشآت المياه .

هوفستاد - هل كان ذلك ما - ؟

الدكتور ستوكمان - نعم ، ذلك هو ما كان يتحدث عنه . وربما جئت
للامر نفسه ؟

هوفستاد - نعم ، هل لديك لحظة فراغ ، دكتور ؟

الدكتور ستوكمان - كما تشاء ، يا عزيزي

هوفستاد - هل اتصل بك العمدة ؟

الدكتور ستوكمان - كلا سيأتي فيما بعد .

هوفستاد - لقد كنت افكر في القضية منذ مساء امس .

الدكتور ستوكمان - حسنا ؟

هوفستاد - يبدو امر منشآت المياه بالنسبة لك ، كطبيب وعالم ، قضية
مزعزولة . ولكن ربما لم يخطر لك ان عددا كبيرا من الاشياء الاخرى
يرتبط به

الدكتور ستوكمان - حقا ! وكيف ؟ لنجلس يا عزيزي - كلا ، هناك
على الكنبه . (يجلس هوفستاد على الكنبه ، والدكتور على كرسي مريح
عند الطرف الاخر من الطاولة) .

الدكتور ستوكمان - حسنا ، انقصد ان - ؟

هوفستاد - قلت بالامس ان الماء ملوث بقاذورات من التربة .

الدكتور ستوكمان - نعم ، بلا شك ، يأتي الضرر من المستنقع السام
في وادي الطاحون .

هوفستاد - ولكن اتسمح لي ، اظنه يأتي من مستنقع مختلف جدا ،
دكتور

الدكتور ستوكمان - واي مستنقع هذا ؟

هوفستاد - المستنقع الذي تتأكل فيه كل حياة البلدة

الدكتور ستوكمان - اعوذ بالله ، سيد هوفستاد ! أية فكرة هذه التي خطرت لك ؟

هوفستاد - لقد انجرفت شؤون البلدة كلها بالتدريج في أيدي حفنة من البيروقراطيين -

الدكتور ستوكمان - حسبك، فليسوا جميعا بيروقراطيين

هوفستاد - كلا ، ان غير البيروقراطيين اصدقاء ومؤيدون للبيروقراطيين، اننا في مخالب حفنة من الاغنياء ، من ابناء العائلات العريقة في البلدة ، ومن ذوي المناصب .

الدكتور ستوكمان - نعم ، ولكنهم ايضا رجال قديرون وذوو بصيرة .

هوفستاد - هل اظهروا مقدرة وبصيرة عندما وضعوا انابيب المياه حيث هي الان ؟

الدكتور ستوكمان - كلا ، لقد كان ذلك عملا سخيفا ، بالطبع . ولكنه سبتحج الان .

هو فستاد - هل نظن ان الامور ستجري بهذه السهولة ؟

الدكتور ستوكمان - بسهولة اولا ، لا بد من عمل ذلك .

هوفستاد - نعم ، اذا استعملت الصحافة نفوذها .

الدكتور ستوكمان - هذا غير ضروري مطلقا ، انني متأكد ان شقيقي - هوفستاد - اعذرني يا دكتور ، ولكن ينبغي ان احيطك علما بانني افكر في تبني القضية .

الدكتور ستوكمان - في الجريدة ؟

هوفستاد - نعم . عندما استلمت « مراسل الشعب » ، كنت مصمما ان احطم حلقة الاغنياء المجائز ، العنيدون الذين يمسكون بكل شيء في أيديهم .

الدكتور ستوكمان - ولكنك اخبرتني بنفسك عما نتج عن ذلك . لقد كدت تحطم الجريدة .

هوفستاد - نعم ، كنا مضطرين ان نتكلم ، حينئذ ، هذا صحيح . كان يمكن ان يفشل مشروع الحمامات لو طرد هؤلاء الاشخاص ، أما الان فالحمامات حقيقة واقعة ، ونحن نستطيع ان نتقدم بدون هذه الشخصيات الضخمة .

الدكتور ستوكمان - نعم ، نتقدم بدونهم ، ولكننا لا نزال مدين لهم بالكثير .

هوفستاد - سنعتزف بذلك كما ينبغي . ولكن صحفيا له مثل اتجاهاتي الديموقراطية لا يسهل ان يسهل ان يترك فرصة كهذه تنزلق خلال أصابعه . علينا ان ندمر مفهوم العصمة الرسمية . يجب ان نتخلص من هذه السخافة ، وكل الخرافات الاخرى .

الدكتور ستوكمان - انا معك من كل قلبي في هذا ، سيد هوفستاد . ان كان هناك خرافة فابعد بها !

هوفستاد - انني آسف لهاجمة العمدة ، فهو شقيقك . ولكنك تؤمن معي ان الحقيقة فوق كل الاعتبارات .

الدكتور ستوكمان - طبعاً ، (بقوة) ومع ذلك - ! ومع ذلك - !

هوفستاد - ينبغي الا تسيء الظن بي ، فلست ذا مصلحة شخصية ولست اشد طموحا من سواي .

الدكتور ستوكمان - لماذا يا عزيزي - من يقول انك كذلك ؟

هوفستاد - انني انحدر من اصل متواضع ، كما تعلم ، واتيحت لي فرص كافية لارى ما الذي تحتاجه الطبقات الدنيا حقاً . وذلك ان يكون لها نصيب في ادارة الشؤون العامة . هذا هو ما يطور مقدراتها ومعرفتها

وأحترامها لذاتها -

الدكتور ستوكمان - انني ادرك ذلك تماما .

هوفستاد - نعم ، واعتقد ان الصحفي يتحمل مسؤولية ثقيلة اذا ترك فرصة ساحة لتحرير الجماهير المظلومة والمضطهدة تفلت منه . انني اعرف جيداً ان الاوليفارشية عندنا ستشهر بي كمرض ، والى اخر ما هنالك، ولكن ماذا يصيرني ؟ ان كان ضميري مرتاحا -

الدكتور ستوكمان - بالضبط ، بالضبط يا عزيزي . ومع ذلك - يا للشيطان - ! (يسمع نقر على الباب) . تفضل !

(يظهر اسلاكسن ، عامل المطبعة ، من الباب المؤدي للغاعة . يرتدي ملابس سوداء متواضعة ولكنها محترمة ، يضع ربطة عنق بيضاء ، متفحفا قليلا ، وهو يرتدي قفازات وفي يده قبعة حريرية) .

اسلاكسن (بنحي) - ارجو أن تعذرني ، دكتور ، لتجروني -

الدكتور ستوكمان - (بنهض) - اهلا بك ! اهلا انت ، اسلاكسن !

اسلاكسن - نعم ، دكتور

هوفستاد (بنهض) - اتريدني ، اسلاكسن ؟

اسلاكسن - كلا ، كلا على الاطلاق . لم أكن اعرف انك هنا . انني اريد الدكتور -

الدكتور ستوكمان - حسنا ، ماذا يمكنني ان أفعل من اجلك ؟

اسلاكسن - هل صحيح ما اخبرني السيد بيليج ، انك تنوي تحسين منشآت المياه ؟

الدكتور ستوكمان - نعم ، من اجل الحمامات .

اسلاكسن - طبعاً ، طبعاً ، اذن لقد جئت لاعلم لكم انني ادعم الحركة بكل قوتي .

هوفستاد - (مخاطباً الدكتور) أرايت !

الدكتور ستوكمان - كم انا ممتن لك ،

اسلاكسن - فليس يصيرك ان ندعمك ، نحن رجال الطبقة الوسطى الدنيا، اننا نشكل ما يمكن ان تدعوه اقلية متراصة في البلدة - اذا اخترنا هذا وعظيم ان تكون الاغلبية بجانبك ، دكتور .

الدكتور ستوكمان - لا شك ، لا شك ، ولكني لا انصو اية احتياطات خاصة تكون ضرورية في هذه الحالة . فاعتقد ان قضية واضحة ومباشرة كهذه -

اسلاكسن - نعم ، ولكن هذا لا يصير ، على أية حال . انني اعرف السلطات المحلية جيداً - فالسلطات الحالية ليست على استعداد لان تتبنى اقتراحات من خارجها . ولذا لا ارى ضيراً في ان نقوم بنوع ما من التظاهرات .

هوفستاد - هذا ، بالضبط، هو رأيي

الدكتور ستوكمان - هل تقول نظاهرة ؟ ولكن كيف ستظاهرون ؟

اسلاكسن - طبعاً بكثير من الاعتدال ، دكتور . فانا دوما اصر على الاعتدال ، لان الاعتدال هو اول فضائل المواطن - وهذا ما اعتقده شخصياً .

الدكتور ستوكمان - انك معروف بهذا لدى الجميع ، سيد اسلاكسن . اسلاكسن - نعم ، اعتقد ان اعتدالي معترف به عامة . وقضية منشآت المياه هذه هامة جداً بالنسبة لنا معشر رجال الطبقة الوسطى الدنيا . كما انه يمكن القول بان الحمامات تبشر بان تصبح منجم ذهب دائم للبلدة . يجب ان نعتمد جميعاً في معيشتنا على الحمامات ، وخاصة نحن ملاكي الدور . ولهذا نريد ان ندعم اقتراحك بكل ما نستطيع ،

وبما انني رئيس جمعية اصحاب الدور -

الدكتور ستوكمان - حسنا ؟

اسلاكسن - وبما انني عضو عامل في جماعة منع المسكرات - ولا يخفي عليك ، يا دكتور ، انني من انصار - منع المسكرات
الدكتور ستوكمان - بكل تأكيد ، بكل تأكيد .

اسلاكسن - حسنا ، تدرك اذن اني على اتصال مع اناس كثيرين جدا . ولا كنت معروفا بانني مواطن حكيم ومطيع للقانون ، كما قلت بنفسك ، فان لي نفوذا معيناً في البلدة ، واقتضى على بعض السلطة بيدي - مع اني اقول ما لا ينبغي قوله ...

الدكتور ستوكمان - اعرف هذا معرفة جيدة ، سيد اسلاكسن . اسلاكسن - حسنا ، يتضح لك اذن انه سيكون من السهل علي ان انظم اجتماعا ان اقتضت الضرورة ذلك .

الدكتور ستوكمان - اجتماعا ؟

اسلاكسن - نعم ، نوع من توجيه الشكر لك من قبل المواطنين ، بسبب اشتغالك في امر له مثل هذه الفائدة العامة . ويجب ان ينظم طبعاً بما يمكن من الاعتدال ، حتى لا يسيء الى السلطات والاحزاب الحاكمة . وفي اعتقادي ان احداً لن يستطيع ان يسيء تقدير هذا ، ان حرصنا على ذلك الاعتدال .

هوفستاد - حتى ولو فرضنا ان هذا لن يعجبهم -

اسلاكسن - كلا ، كلا ، لاساءة للسلطات القائمة ، سيد هوفستاد . لا معارضة لقوم يمكنهم ان ينتزعوا المبادرة من ايدينا مرة ثانية وبسهولة . لقد ذقت ما فيه الكفاية من ذلك في الماضي ، ولا يمكن ان يثمر خيراً ابداً . ولكن احداً لا يستطيع ان يعارض المواطن اذ يعبر عن رايه بحرية واعتدال .

الدكتور ستوكمان - (ملوحاً بيده) . ليس بوسعي ان اخبرك يا عزيزي اسلاكسن ، كم انا مبتهج من صميم قلبي لاني اجد كل هذا التأييد من مواطني . انني سعيد جداً سعيد جداً ! هلم ، ستشرب كأساً من الخمرة الاسبانية ، اليس كذلك ؟

اسلاكسن - كلا ، اشكرك ، انا لا امس المشروبات الروحية ابداً .

الدكتور ستوكمان - حسنا ، كأس من البيرة - ما قولك في ذلك ؟

اسلاكسن - شكراً ، ولا هذا ايضا . لا اتناول شيئاً في هذا الوقت المبكر من النهار . والان ساقوم بجولة في البلدة ، واتحدث لبعض ملاكي الدور ، واعد الراي العام .

الدكتور ستوكمان - انك في غاية اللطف ، سيد اسلاكسن ، ولكنني ، في الواقع ، لا استطيع ان اتصور ان كل هذه الاجراءات ضرورية . فالامر يبدو لي في غاية البساطة والبدهية .

اسلاكسن - السلطات تتحرك ببطء دائماً ، دكتور - ولست اقصد ، لا قدر - الله - ان الومها لهذا -

هوفستاد - سنجعلهم يتحركون غداً ، في الجريدة يا سيد اسلاكسن اسلاكسن - لا عنف ، سيد هوفستاد . تقدم باعتدال ، والا فلن تنال منهم شيئاً . تلك نصيحتي ، لقد جمعت التجربة من مدرسة الحياة الان ينبغي ان اودعكم ، دكتور . ويمكنك الان ان تدرك اننا ، نحن رجال الطبقة الوسطى الدنيا ، الى جانبك ، صلدون كالجدار . ان الاغلبية المتراصة معك .

الدكتور ستوكمان - شكراً جزيلاً ، يا عزيزي السيد اسلاكسن .

(يمد يده) وداعاً ، وداعاً .

اسلاكسن - حسنا

(ينحني ويخرج . يرافقه الدكتور ستوكمان الى القاعة)

هوفستاد (بينما يعود الدكتور) . ما قولك في ذلك ، دكتور ؟ الا تعتقد ان هذا هو الوقت المناسب لتحدث هزة قوية في كل هذا الجبن والتردد والميوعة ؟

الدكتور ستوكمان - اتقصد اسلاكسن ؟

هوفستاد - نعم ، ذلك ما اقصده . انه شخص مؤدب كثيراً ، ولكنه احد اولئك الفارقين في المستقبل . ومعظم الناس هنا مثله تماماً ، انهم يتذبذبون ويتارجحون ابداً من جانب الى اخر ، لقد استولى عليهم الحذر والشك فباتوا لا يجرؤون على اتخاذ خطوة حاسمة .

الدكتور ستوكمان - نعم ، ولكن يبدو لي ان اسلاكسن حسن النية . هوفستاد - هناك شيء واحد اقدره اكثر من ذلك ، واعني ان يعتمد الرجل على نفسه ويثق بها .

الدكتور ستوكمان - انت على صواب في هذا

هوفستاد - ولذا فاني سأتتهز هذه الفرصة واجرب ان اسكب شيئاً من الحزم في نياتهم الحسنة ، ولو مرة على سبيل الاستثناء . يجب ان تجتث عبادة السلطة من هذه البلدة . يجب ان يدرك كل ناخب بوضوح هذه الغلظة العظيمة ، التي ليس لها ما يبررها ، في منشآت المياه . الدكتور ستوكمان - حسناً جداً - اذا كنت تعتقد ان هذا في مصلحة المجتمع ، فليكن ، ولكن ليس قبل ان اتحدث الى شقيقي .

هوفستاد - وعلى اية حال ، فسأكتب افتتاحية الجريدة ، في هذه الاثناء . وان لم يشأ العملة ان يتبنى القضية

الدكتور ستوكمان - ولكن كيف يمكنك ان تتصور انه سيرفض ؟

هوفستاد - ليس هذا بالمستحيل تصوره . ويعتد

الدكتور ستوكمان - حسناً اذن ، اعدك - ، في تلك الحالة يمكنك ان تطبع مقالتي - انشره بنصه الكامل

هوفستاد - هل لي ان افعل ذلك ؟ هل هذا وعد ؟

الدكتور ستوكمان (يسلمه المقال) . ها هو ، خذ معك . ولن يضرك ان تقرأه ، ويمكن ان تعيده لي فيما بعد .

هوفستاد - حسناً جداً ، سأفعل ذلك ، والان وداعاً ، دكتور .

الدكتور ستوكمان - وداعاً ، وداعاً ، ستري ان الامر سيسير بسهولة - سيد هوفستاد - بأسهل ما يمكن .

هوفستاد - احم - ستري (ينحني ويخرج ماراً بالقاعة)

الدكتور ستوكمان - (يذهب نحو باب غرفة الطعام وينظر الى الداخل) كاترينا ! اهلاً ، بيترا ، هل عدت ؟

بيترا - (تدخل) - نعم ، لقد عدت توا من المدرسة .

السيدة ستوكمان - (تدخل) - الم يات بعد ؟

الدكتور ستوكمان - بطرس ؟ كلا ، ولكن كنت في حديث طويل مع هوفستاد - انه متحمس كثيراً لاكتشافني . فقد اتضح ان اهميته اشمئ كثيراً مما كنت اظن اولا . وهكذا فقد وضع جريدته تحت تصرفي ، اذا ما احتجت اليها .

السيدة ستوكمان - انظن انك ستكون في حاجة لها ؟

الدكتور ستوكمان - ابداً ! ولكن ، في الوقت نفسه ، لا يسع المرء الا ان يفخر ان عرف ان الصحافة المستنيرة ، والمستقلة تقف الى جانبه .

وما قولك في ان رئيس جمعية ملاكي الدور زارني ايضا ؟

- التتمة على الصفحة ٧٥ -

عدو الشعب

— تتمة المنشور على الصفحة ٥٤ —

السيدة ستوكمان — حقا ؟ وماذا يريد ؟

الدكتور ستوكمان — ان يؤكد لي تاييده . سيقفون جميعا الى جانبي حين الضرورة . اترفين من يقف من ورائي ، كاترينا ؟

السيدة ستوكمان — كلا ، فما وراءك ؟

الدكتور ستوكمان — الاغلبية المتراصة !

السيدة ستوكمان — وهل ذلك مفيد لك ، توماس ؟

الدكتور ستوكمان — طبعاً ، اظننا ستكون مفيدة (يفرك يديه بينما يسبح جيئةً وذهاباً .) يا الهي ! اية غبطة هذه التي تقمر المرء اذ يكون

في مثل هذا الانسجام الاخوي مع ابناء بلده

بيترا — وان يفعل الكثير مما هو خير ومفيد ، يا ابتاه !

الدكتور ستوكمان — وكل ذلك في سبيل بلده ، ايضاً !

السيدة ستوكمان — هوذا الجرس

الدكتور ستوكمان — لا بد ان ذلك بطرس (يسمع نقر على الباب)

تفضل ! (يدخل العمدة ستوكمان من القاعة)

العمدة — صباح الخير

الدكتور ستوكمان — اني مسرور لرؤيتك ، بطرس

السيدة ستوكمان — صباح الخير ، كيف حالك يا عزيزي ؟

العمدة — شكراً ، بين بين . (يخاطب الدكتور) . استلمت مساء

امس ، وبعد ساعات الدوام ، مذكرة منك عن حالة المياه في الحمامات .

الدكتور ستوكمان — نعم ، وهل قرأتها ؟

العمدة — نعم قرأتها

الدكتور ستوكمان — وما رأيك في القضية ؟

العمدة — احم (ينظر من طرف عينه)

السيدة ستوكمان — تعالي ، بيترا

(تدخل هي وبيترا الفرقة الى اليسار)

العمدة (بعد برهة) — هل كان من الضروري ان تقوم بكل هذه

الابحاث دون علمي ؟

الدكتور ستوكمان — نعم ، حتى تاكدت تمام التاكيد ، انا —

العمدة — وهل انت متأكد تمام التاكيد الان ؟

الدكتور ستوكمان — لا بد ان مذكرتي اقنعتك بذلك

العمدة — وهل تنوي رفع هذه المذكرة الى لجنة الحمامات كوثيقة

رسمية ؟

الدكتور ستوكمان — طبعاً ، يجب ان يتم شيء بهذا الخصوص ،

ويسرعة ...

العمدة — انك تستعمل ، في مذكرتك ، كمادتك ، تعبيرات قوية .

وتقول ، الى جانب اشياء اخرى ، ان ما نقدمه لزوارنا هو سم بطيء .

الدكتور ستوكمان — وماذا يمكن ان يقال سوى ذلك؟ حسبك ان تنامل —

ماء سام سواء في الاستعمال الداخلي او الخارجي! ونقدم هذا لمرضى

مساكين يؤمنون حماماتنا وكلهم ثقة ، ويدفعون لنا بسخاء لكي نشفيهم !

العمدة — وتعلن بعدئذ استنتاجك باننا يجب ان نبني مصرفاً ليحمل

الشوائب المزعومة من وادي الطاحون ، وان نعيد وضع كل انابيب المياه

من جديد .

الدكتور ستوكمان — نعم ، وهل تستطيع ان تقترح خطة اخرى ؟ انا لا اعرف سواها ،

العمدة — لقد اختلفت حجة لزيارة مهندس البلدة هذا الصباح ،

و — بلهجة شبه حادة — ذكرت هذه التغييرات كاشياء قد تضطر لبحثها

في المستقبل .

الدكتور ستوكمان — في المستقبل !

العمدة — لقد ابتسم طبعاً لما ظنه تبذيراً مني . هل كلفت نفسك

عناء التفكير بما ستحتاجه تغييراتك المقترحة من نفقات ؟ استنتجت مما

قاله المهندس ان التكاليف قد تبلغ عدة مئات الالوف من الريالات .

الدكتور ستوكمان — الى هذا الحد ؟

العمدة — نعم ، ولكن هذا ليس بأسوأ ما في الامر . فقد يستغرق

العمل عامين على الاقل .

الدكتور ستوكمان — عامين ! اتقصد عامين كاملين ؟

العمدة — على الاقل ، وماذا تفعل بالحمامات في تلك الاثناء ؟

هل تقفلها ؟ لا بد من ذلك . وهل تظن ان احدا سيأتي ، ان ذاع في

الخارج ان المياه كانت موبوءة ؟

الدكتور ستوكمان — ولكن المياه موبوءة ، بطرس

العمدة — وكل ذلك الان ، والان بالضبط ، فيما تزدهر الحمامات !

هناك بلدان مجاورة ، ايضاً ، ولا تموزها الزايا لتحتل مكانها كمصحات .

الا تعتقد انها ستبادر فوراً الى العمل على تحويل تيار الزوار اليها .

انها ستقوم بذلك دون ريب ، وماذا يحل بنا ؟ ربما تضطر ان نهمل

إقرأ

حتى الحمامة

بقلم اميل خليل بريس

قصة الفن القصصي العربي
والانحياز الأدبي في لبنان

المؤسسة الأهلية للطباعة والنشر

الشروع الذي كلف الكثير ، وبدا تكون قد دمرت بلدتك !

الدكتور ستوكمان - انا - دمرت !

العمدة - لن يكون للبلدة مستقبل يستحق الذكر الا عن طريق الحمامات . وانت بالتأكيد تعرف هذا كما اعرفه انا

الدكتور ستوكمان - ما الذي ينبغي عمله اذن ؟

العمدة - لم انجح في اقناع نفسي بان حالة المياه في الحمامات هي بالخطورة التي تصفها في مذكرتك .

الدكتور ستوكمان - بل هي كذلك - بل واسوأ ، او قد تصبح أسوأ في الصيف ، حين يحل الحر . انني اعتقد انك تبالح كثيرا . ينبغي على الطبيب الكفو ان يعرف الخطوات التي يتخذها - ينبغي ان يكون قادرا على ازالة المؤثرات الضارة ، وان يجابه مفعولها حين تصبح ملموسة بوضوح .

الدكتور ستوكمان - حقا ؟ وبعثد ؟

العمدة - ان منشآت المياه الموجودة هي حقيقة واقعة ، ويجب ان ينظر اليها من هذه الزاوية . ولكن حين يمر الزمن ، فربما تصبح اللجنة ميالة لادخال اصلاحات معينة ، بدون تفضيات مادية غير معقولة .

الدكتور ستوكمان - وهل تتصور انه يمكنني ان اكون شريكا في خدعة كهذه ؟

العمدة - خدعة ؟

روايات الليالي

الحارث الأكبر الغساني

اميل حبشي الأتق

رواية تاريخية أرتية غرامية

بطولة
جسارة
وشاعة
الكاظم
امانة
اغراض

حياة أعظم ملوك الفساسنة
صور رائعة عن عزة العرب وعظمت
النفوس والحب الطاهر العبري ...
أخطر مؤامرة قام بها أحد عظماء
دولة من أجل فتاة

ادركو

عالم خفي ومالك بين يديكم

الثمن ٥٠٠ غل

٤٥٠ صفحت

نشر في دار مكتبة الاندلس - بيروت

الدكتور ستوكمان - نعم ، ستكون خدعة - خيانة ، كذبة ، جريمة
سافرة ضد الشعب ، وضد المجتمع كله !

العمدة - لم اتمكن ، كما سبق وذكرت ، من اقناع نفسي ان هناك
حقا مثل ذلك الخطر الوشيك .

الدكتور ستوكمان - بل لقد تمكنت من ذلك ! لا بد وان تكون قد
اقتنعت ! اني اعرف ان عرضي للقضية واضح ومقنع للغاية . وانت
تفهمه جيدا ، ولكنك لا تريد التسليم بذلك ، فقد كنت انت الذي اصر
على ان تكون بنات الحمامات ومنشآت المياه في مكانها الحالي ، وتلك
هي الفلطة اللينة التي لا تريد الاعتراف بها . بشو ! اتظن انني لا
ادرك حقيقتك ؟

العمدة - حتى وان كان الامر كذلك ؟ ان كنت شديد الحرص على
سمعتي ، فاني افعل ذلك من اجل مصلحة البلدة . فانا
لا استطيع توجيه الامور وادارتها بطريقة تؤدي للمصلحة العامة ان لم
يكن لي سلطة اخلاقية . ولذا ، ولبوعات اخرى ، فانه امر على جانب
عظيم من الاهمية لي الا تقدم مذكرتك للجنة الحمامات . يجب ان توقفها ،
من اجل مصلحة المجموع . سأطرح القضية للبحث فيما بعد ، وسنبذل
اقصى الجهود ، بهدوء ، ولكن يجب الا تصل الى آذان الشعب كلمة
او همسة عن هذا الامر الشؤوم .

الدكتور ستوكمان - ولكن لا يمكن منعها الان ، يا عزيزي

العمدة - يجب منعها ، وستمنع

الدكتور ستوكمان - لا يمكن ، اؤكد لك ، فقد سبق وعرفها كثيرون .
العمدة - عرفها كثيرون ! من ؟ أولئك الاشخاص في «مراسل الشعب» ؟
الدكتور ستوكمان - نعم ، انهم يعرفون - فيجب على الصحافة
المتحررة ، المستقلة ان تنتبه جيدا من انك تقوم بواجبك .

العمدة (بعد برهة قصيرة) - انت متهور بشكل غريب ، توماس ،
انم تقدر ما ستكون نتائج هذا عليك ؟

الدكتور ستوكمان - نتائج ؟ - نتائج هذا علي ؟

العمدة - نعم ، عليك وعلى ذوبك

الدكتور ستوكمان - ما الذي تعنيه واليماذ بالله ؟

العمدة - اعتقد انني سلكت دوما معك مسلك الاخ - وكنت دوما على
استعداد لم يد المساعدة لك .

الدكتور ستوكمان - نعم ، لقد فعلت ، وانا اشكرك على ذلك .

العمدة - انا لا اطلب شكرا . فاني كنت في الواقع مرغما ، الى حد
ما ، ان افعل ما فعلت - من اجل نفسي . كنت امل دوما انني سأتتمكن
من ابقائك في القيد قليلا ، ان ساعدت في تحسين وضعك المالي .

الدكتور ستوكمان - ماذا ! اذن كان ذلك من اجل مصلحتك انت فحسب
العمدة - قلت الى حد ما . فانه لمؤلم لشخص في مركز رسمي ، ان
يعرض اقرب اقربائه نفسه للهوان مرة اخرى .

الدكتور ستوكمان - وهل تظنني افعل ذلك ؟

العمدة - نعم ، لسوء الحظ انك تفعل ، دون ان تدري ان لك روحا
شكسة ، وجموحة ، وثورية . ثم ان لك ميلا مستهجننا للاندفاع في كل
مناسبة . ممكنة ام غير ممكنة . فانك ما تكاد تجد فكرة حتى تكتب ،
بالضرورة ، مقالا للجريدة او كراسا كاملا عنها .

الدكتور ستوكمان - ليس من واجب المواطن ، حين يدرك فكرة
جديدة ، ان يوصلها للجمهور !

العمدة - ليس الجمهور بحاجة للافكار الجديدة . فالجمهور على

ما يرام بالأفكار القديمة، الصالحة، المعترف بها والتي هي لديه من قبل.
الدكتور ستوكمان - اتقول هذا علنا !

العمدة - نعم، فينبغي ان احدثك بصراحة ولو مرة على سبيل
الاستثناء . لقد حاولت ، حتى الآن ، ان اتجنب ذلك ، لانني اعرف انك
سريع الفيق ، اما الآن فيجب ان اخبرك بالحقيقة ، توماس . فليس
لديك فكرة عن مدى الاساءة التي يجربها فضولك عليك . انك تشكو من
السلطات ، نعم ، من الحكومة نفسها - وتحقرها وتدعي انك قد أهنت ،
واضطهدت . ولكن ما الذي تتوقعه غير ذلك ، بطبعك هذا الذي لا يطاق؟
الدكتور ستوكمان - حقا ! فانا اذن لا اطاق ، هل انا؟

العمدة - نعم، توماس ، انت رجل لا يطاق العمل معك . اعرف ذلك
من التجربة . فليس لديك اعتبار لأي شخص ، او لأي شيء ، ويسدو
انك تنسى ان عليك ان تشكرني على منصبك كطبيب للحمامات -
الدكتور ستوكمان - لقد كان المنصب من حق ، وليس من حق سواي!
فقد كنت اول من اكتشف امكانيات البلدة كمصح مياه معدنية ، انا
وحدي عرفت ذلك ، حينئذ ، ثم ناضلت سنوات من اجل فكري هذه
دون مساعدة من احد ، ولقد كتبت وكتبت -

العمدة - لا شك ، ولكن الوقت المناسب لم يكن قد حل اذ ذاك ،
وفي تلك الزاوية المنعزلة عن العالم ، لم يكن في وسعك ان تحكم على
ذلك . اما وقد حلت اللحظة المناسبة ، فقد تمهدت ، واخرين ، الامر
الدكتور ستوكمان - نعم ، ثم افسدتم خطني القويمة . والان نرى أية
جماعة من المدعين كنتم !

العمدة - كل ما استطيع ان اراه انك تبحث من جديد عن منفذ
للمشاكسة . تريد ان تشن هجوما على رؤسائك - هذه عادة قديمة من
عادتك . انت لا تستطيع احتمال سلطة اعلى منك ، وتظر بريرة الى
كل من يحتل وظيفة اعلى من وظيفتك ، وتمتبره عدوا شخصيا - وبعدئذ
لا يهكم اي نوع من السلاح تستعمل ضده . ولكني الان اوضحت لك
مدى ما تعرض له البلدة من خطر ، وما اعرض له انا . ولذلك احذرك ،
توماس ، انني متشدد في الطلب الذي سأطلبه منك .

الدكتور ستوكمان - اي طلب ؟

العمدة - لم يكن لديك ادراك يمكنك من الثروة للغير عن هذه المسألة
الدقيقة ، التي كان يجب ان تبقى سرا رسميا ، لذلك فلا يمكن اخمادها
الآن ، وستصل الاشاعات من جميع الانواع الى الخارج ، وسيخترع رجال
السوء اضافات شتى اليها . فذلك ، سيكون من الضروري لك ان تنفي
كل تلك الاشاعات علنا .

الدكتور ستوكمان - انا ! وكيف ؟ اني لا افهمك !

العمدة - نحن ننتظر انك ، بعد بحث اوسع ، ستتوصل الى نتيجة
ان الامر ليس وشيك الخطورة وليس ملحا كما تصورت في البداية .

الدكتور ستوكمان - انتم اذن تتوقعون هذا ؟

العمدة - واكثر من هذا ، فانا نتوقع ان تعبر عن ثقتك بان لجنة
الحمامات ستنفذ (بدقة ونزاهة) كل الاجراءات لاصلاح اية نقائص
محتملة .

الدكتور ستوكمان - ولكن لن يكون بامكانكم القيام بذلك ، طالما انكم
ماضون في الترميم والترقيع ، اني اخبرك ، بطرس ، وانه اعتقادي
الثابت ، المخلص -

العمدة - لا يحق لك ، كموظف ، ان تحمل اعتقادا شخصيا

الدكتور ستوكمان (يجفل) - لا يحق لي ان - ؟

العمدة - قلت كموظف . اما بصفتك الخاصة ، فذلك مسألة اخرى
طبعا . واما كمرووس في الحمامات ، فليس لك الحق في ان تعبر عن
أي اعتقاد يخالف اعتقاد رؤسائك .

الدكتور ستوكمان - هذا اكثر مما يطاق ! انا طبيب ، وعالم ، ولا املك
الحق ان - !

العمدة - ليست القضية المطروحة للبحث قضية علمية خالصة ، انها
قضية معقدة ، فان لها جانبا فنيا واخر اقتصاديا .

الدكتور ستوكمان - وما يعنيني من ذلك والعياذ بالله ! ينبغي
ان تكون لي حرية التعبير عن رأيي في أي موضوع كان .

العمدة - لك ذلك - ان كان الامر لا يتعلق بالحمامات . فنحن
نمنعك من التدخل بشؤونها .

الدكتور ستوكمان - (يصرخ) - تمنعون - ! انتم ! حفنة من -

العمدة - انا امنع ذلك - انا رئيسك ، عندما اصدر امرا فما عليك
الا ان تمتثل له !

الدكتور ستوكمان - (يضبط نفسه) بشرفي ، لو لم تكن شقيقي ،
يا بطرس -

بيترا (تفتح الباب بعنف) - والدي ، لن تخضع لهذا !

السيدة ستوكمان - (تتبعها) - بيترا ، بيترا

العمدة - اه ! اذن كنتمما تصفيان !

السيدة ستوكمان - ان الحاجز رقيق جدا ، فلم يكن بد -

بيترا - بل وقفت واصفيت متمدة .

العمدة - حسنا ، وعلى وجه العموم ، فلست بأسف -

الدكتور ستوكمان - (يقترب منه اكثر) . لقد تحدثت لي عن المنع
والطاعة -

العمدة - لقد ارغمتني على اتخاذ تلك اللهجة .

الدكتور ستوكمان - وهل علي ان الصق الكذبة بنفسني في تصريح عام؟

العمدة - نحن نعتبر اصدارك لتقرير بالمعاني المشار اليها ضرورة ملحة.

الدكتور ستوكمان - وان لم اطع ؟

العمدة - حينئذ سنصدر بانفسنا بلاغا يطمنن الجمهور .

الدكتور ستوكمان - حسنا ، عظيم ، عندئذ ساكتب ضدكم . سوف

اتمسك بوجهة نظري واثبت انني انا على صواب ، وانكم على خطأ .
وماذا تفعلون عندها ؟

العمدة - عندها لن استطيع ان امنع فصلك .

الدكتور ستوكمان - ماذا ؟

بيترا - ابتاه ! فصل !

السيدة ستوكمان - فصل !

العمدة - فصلك من الحمامات . سأضطر ان اقترح بان يعطى لك
اشعار سريع ، وبالا يكون لك اية صلة بالحمامات منذ ذلك الحين .

الدكتور ستوكمان - اتجرؤ على ذلك !

العمدة - انت من يلعب لعبة الجراة

بيترا - عماه ، هذه طريقة مشينة لمعاملة رجل كوالدي !.

السيدة ستوكمان - اهديني ، بيترا .

العمدة (ينظر الى بيترا) - آها ! اذن لكم آراؤكم المسبقة ! بالتأكيد،

بالتأكيد ! (يخاطب السيدة ستوكمان) عزيزتي ، المفروض انك اكثر

اعضاء هذه الاسرة تعقلا . استعملي كل نفوذك لدى زوجك ، وحاولي ان

تجعليه يتبين ما يجره هذا على عائلته -

الدكتور ستوكمان - عائلتي تعينني وحدي !

العمدة - اقول على عائلته وعلى البلدة التي يعيش فيها .

الدكتور ستوكمان - أنا من يضع مصلحة البلدة الحقيقية في اعماق قلبه ! سافضح آثامكم التي ستظهر للنور عاجلا او آجلا . أه ! وسترى فيما اذا كنت أحب بلدي.

العمدة - انت الذي تريد ان تسد المنبع الرئيسي لازدهار البلدة ، بضائك الاعمى .

الدكتور ستوكمان - ذلك المنبع مسموم ، يا رجل ! هل انت مجنون؟ اننا نعيش على التجارة بالقائورات والفساد ! وكل حياتنا الاجتماعية المزدهرة تستمد نسفها من كذبة !

العمدة - اوهام كسلي - او اسوأ من هذا . ان من يوزع جزافا تلميحات مشيئة لموطنه كهذه ، لا بد وان يكون عدوا للمجتمع .

الدكتور ستوكمان (يذهب نحوه) . أتجرؤ ان - !

السيدة ستوكمان (تلقي بنفسها بينهما) توماس !

بيترا - (تمسك ذراع والدها) احتفظ بهدوئك ، يا ابت !

العمدة - لن اجمل نفسي عرضة للعنف . لقد حذرناك الان . فتأمل فيما هو مناسب لك ولعائلتك . وداعا . (يذهب)

الدكتور ستوكمان (يمشي جيئة وذهابا) . وانا علي ان انحمل معاملة كهذه ! وفي بيتي ، كاترينا ! ما قولك في ذلك !

السيدة ستوكمان - في الحقيقة ، ان هذا عار ولعنة ، توماس -

بيترا - ليتني تمكنت من القبض على عمي - !

الدكتور ستوكمان - انها غلطتي - كان ينبغي ان افهم منذ امد بعيد - وان اكثر عن اسناني - وان استعملها ايضا ! - يدعوني عدوا للمجتمع ! انا ! لن انحمل هذا ! واقسم بالسماء ، لن انحمل !

السيدة ستوكمان - ولكن شقيقك له السلطة ، على كل يا عزيزي الدكتور ستوكمان - نعم ، ولكن انا لي الحق .

السيدة ستوكمان - نعم ، الحق ، الحق ! ماجدوى ان يكون معك الحق ان لم تكن لك قوة ؟

بيترا - امه - كيف يمكنك ان تقولي هذا ؟

الدكتور ستوكمان - ماذا ! اليس يجدي ان يكون الحق الى جانب المرء في مجتمع حر ؟ اية فكرة سخيفة ، كاترينا ! وبالإضافة الى ذلك - ليست الصحافة الحرة المستقلة امامي - والاغلبية المتراسة من ورائي ؟ تلك قوة كافية ، فيما اعتقد !

السيدة ستوكمان - ماذا ، يا للسماء ، توماس ! انت بالتأكيد لاتفكر في - ؟

الدكتور ستوكمان - مالم الذي لا افكر فيه ؟

السيدة ستوكمان - اعني وقوفك ضد اخيك .

الدكتور ستوكمان - وماذا تريدني ان افعل ، ان لم اتمسك بما هو حق وحقيقي ؟

بيترا - نعم ، هذا ما اود معرفته ؟

السيدة ستوكمان - ولكن لن يكون لهذا اية فائدة . ان لم يريدوا ، لم يريدوا .

الدكتور ستوكمان - هو - كاترينا ! انتظري قليلا وسترين ماذا قدرت اخوض معاركي حتى النهاية .

السيدة ستوكمان - حتى نهاية وقوع الفصل ، ذلك هو ماسيحدث .

الدكتور ستوكمان - لا بأس ، ساكون ، على اية حال ، قد قمت بواجبي

نحو الجمهور ، ونحو المجتمع - انا الذي ادعى عدوا للمجتمع !

السيدة ستوكمان - ولكن نحو عائلتك ، توماس ؟ نحننا في البيت ؟ اتظن ذلك قياما بواجبك نحو اولئك الذين يعتمدون عليك ؟

بيترا - لاتفكري بنا اولا على الدوام ، امه .

السيدة ستوكمان - نعم من السهل عليك ان تتعديني ؟ فبامكانك ان تصمدي وحدك ان دعت الحاجة - . ولكن تذكر الاولاد ، توماس ، وفكر قليلا بنفسك ايضا ، وبني -

الدكتور ستوكمان - لابد انك فقدت قواك العقلية ، كاترينا ! لو كان لي ان اكون جباناً مسكيناً بان اخضع لبطرس. هذا ولعصائته اللعينة - اتكون لي ساعة سعيدة واحدة في كل حياتي ؟

السيدة ستوكمان - لا اعرف ذلك ؟ ولكن وقانا الله السعادة التي ستكون لنا جميعا اذا اصررت على تحديهم . سنصبح عندئذ من جديد بلا مورد رزق ، وبلا دخل منتظم . كنت قد ظننت اننا اكتفينا بما كان من ذلك في الماضي . تذكر تلك الايام ، توماس ؟ فكر فيما يعنيه هذا كله . الدكتور ستوكمان (في صراع نفسي ، ويضبط على يديه) . وهذا هو مايجره هؤلاء المنطرسون على شخص حر وشريف ! اليس هذا مربعا ، كاترينا !

السيدة ستوكمان - بلى ، لاشك ان معاملتهم لك مغزية . ولكن يعلم الله ان هناك ظلماً ليس على المرء الا ان يخضع له في هذه الحياة . - هاهم الاولاد ، توماس . انظر اليهم ! ماذا سيحل بهم ؟ اوه ، كلا ، كلا ! لن يكون لك ابدا قلب -

(يكون ايلف ومورتن قد دخلا اثناء حديثهما ، ومعهما كتبهما المدرسية .)

الدكتور ستوكمان - الاولاد - ! (بنوية من الصلابة والحزم .) لن احني رقبتني للغير قط ، ولو دمرت الارض كلها .

(يذهب الى غرفته .)

السيدة ستوكمان (تتبعه) - توماس - ماذا ستفعل ؟

الدكتور ستوكمان (عند الباب) - اريد ان يكون لي الحق في مواجهة اولادي بجرأة عندما يصبحون رجالا احرارا .

(يدخل غرفته .)

السيدة ستوكمان (تنفجر باكية) - آه ، ليساعدنا الله جميعا !

بيترا - والدي مخلص حتى اعماقه . ولن يستسلم قط !

(يتساءل الولدان عما يعنيه كل ذلك ، بيترا تشير لهما ان يمتنا !)

ضيف من الشرق

مجموعة قصص

للقصاص العربي

فاضل السباعي

الثمن ١٥ قرشا لبنانيا

صدر حديثا

عن دار الاداب - بيروت

في الشعر ...

بقلم محيى الدين صبحي

يعانيها اكثر من مرتين او ثلاثا ، اولها رجفة بلوغ المراهقة واكتشاف العضوية انها اهل لان تحفظ الحياة ثم تورثها فهي فرحة بامكان خلق . وما اظنه قد خلق ، ذلك الرجل الذي يعيش الحياة - الشعر معيشة يومية ، لان الحياة - الشعر تنفي الصدا الذي تفرزه الحياة اليومية ولان الحياة الشعر تكسر القضبان الحديدية للعادات التي تسير عليها الحياة اليومية ، فهي ضد سيزيف في رتابة عمله ، وهي اذا تناولتها خلقتها خلقا جديدا . وهي لذلك ترفض الكليشيهات والتعبيرات الجاهزة . ومتى فقدت الحياة - الشعر اطارها المبتكر ووضعت في قوالب صنعها الآخرون اختنقت وماتت فليس فيها حد وسط : اما ان تكون محدثة كلها او لا تكون قط ، وهذا لا ينفي ارتباطها بماضي الابداع في وسطها كالنبته الفينانة في غابة قديمة العهد تمتص من ثراها ما يكفل لها الحياة ويكفي اورادها ان تزدهر وثمارها ان تينع . وسلوكها ينسجم مع ماهيتها لذلك ليس لوحها زمان موقوت ولا اغراء مرصود ، والذين يستدعون الخمر العتيق او فخذين علبتين ويقدمونهما ضحية على مذبح الالهام مثلهم في ذلك كمثل الضارعين الى السماء بذبيحتهم كي تنزل عليهم المطر او المن والسلوى : لا احد يعبأ بهم وانما تعبأ السماء وساعة الوحي بمن يصونون الخير في قنوات ويعملون على ابقاء الخصب أيام المحل وفي السنوات العجاف .

والشعر مثل قطعة من الماس بين الحصى ، تظل كدرة كابية حتى تصقل وتشذب فتغدو جوهرة يأخذ بريقها بالابصار ، فاذا طرحها الجوهري الى السوق تناولها ناقد بصير وراح يعرض محاسنها ويقربها بمقارنتها بغيرها حتى تغدو مجلوة كأنما الف خيال براها . فاذا وصلت الى القاريء كانت تثير من رف اردانها أجواء من العطر والسحر والفنج فتدفعه الى ما تريد من المعجزات بعد ان تذهله وتطير بلبه فكل قيمة الشعر تكمن في ايجائته : انه حافز ومثير .

وذوو الجناح المهيض وحدهم يعالجون النظم - رب لا تغفر لهم - بأفكار المباديء والنظريات ووقائع الحوادث والمناسبات فيطمرهم ركام اوراقهم ويموت قصيدهم ساعة يولد لارتباطه بجزئي سريخ نسيانه ، فهم منفصلون عما هو خالد مطلق او ابدى . أنهم يأملون بقسوة مثلمة

الشعر .. غيضان قلب من يأس ، خفق جوارح في فرحة عرمة . غناء شاعر القى بنفسه بين أحضان الوجود في أمل . صرخة خائب في وجه الحياة بلذتها والمها : باطل الاباطيل . الكل باطل .

انه تلك الاحساسات الصغيرة بما يدرك بالحس والفكر كالزمن وبشرة رائقة النعومة ، وهو شامل لما بين الفكر والحس من عمليات رمزية وجذبية مثل ذكرى تستيقظ في النفس من رسالة زرقاء الى درب قتل فيه صديق . وهو التقاط زئبقيات هاربة مثل عين محيرة النظرات او نشوة نغم يتخايل لنا من البعيد البعيد .. وهو حديث هامس متسائل عن كل غامض غير محدود مثل شكوك عابد في الرب . وهو استقرار عميق في نفس متأمل رواقى يستشرف العالم من عل كما انه طفرة متحمس لخلق عالم جديد . فهو يتناول كل شيء له هوية وكل ما يمر في نفس الانسان ويحدث لها رعشة توسع اتصالها بالكون او تعمق احساسها بالحياة . وكيثونته تأتي من هذا التفاعل بين الانساني ونصف الانساني . انه مركب ثالث مثل الماء . ويمكننا ان نمضي بعيدا في مقارنة الشعر بالماء ، فكما ان الماء بهيط من هتون الحزن او يتفجر عيونا من باطن التراب فان الشعر يستوحي من الخير والمثل ومن الحمأ والجريمة . وفي الاساطير اصل الحياة ماء وهو عامل على انعاشها فكذلك اصل الاداب الشعر وهو ينعشها دائما بما فيه من رموز واشارات . والقوم ينتشرون حول نهر يلخص حياتهم ويختصرها وملحمة من الشعر تكشف حياة أمة وتركز معنى صراعها .. واخيرا فالماء كثير ولكن العذب الفرات نادر نفيس ، وكذلك فالتيمة والمفردة والابدة بين القصائد كنسبة النبع الى المحيط العظيم . ومسيل الماء يسقي عديدا من الاقطار ، والشعر كالسحاب شيء عالمي يسمو على الحدود وما يعتم شاعر القبيلة ان يصبح شاعر الامة والانسانية كلها .

وما دامت للشعر هذه الصلة الوثيقة بالحياة ، فالحياة - الشعر تستوحي كل جليل وجميل وسوالبهما ، وبقدر صلتها بهذه العناصر وفرة وبقوة تزداد الحياة - الشعر نماء وخصوبة ، على اننا لا يهوز لنا تفاؤل في قضية انتشار الحياة - الشعر بين الناس ، لحاجة الاحساس فيها الى رهاقة نفس وذكاء قلب ومضاء فهم . والعادي الجلف لا

الطائر المغفر

من هناك .. من الارض السليبة
من الشمال .. هذا الطائر المغفر ..

حط على نافذتي ، .. طير جريح اخضر
دماه من جناحه .. على الحديد .. تقطر
من الشمال .. حيث اطياف الاماني تخطر
وحيث .. احشاء الصخور ، بالحنين تزهر
حيث الربى تحكي الروايات .. ويشدو غنتر
من الشمال .. حيث ايام الشباب تقبر
وحيث يدفن الصبا .. هناك حيث يقهر
من الشمال من ذرى .. تاقى اليها الانسر
قد عشن البقي لها .. وافرخ المستعمر
والليل فوق صدرها ، .. ليل كئيب اغبر
من الشمال حيث اجناد الفساد عسكروا
وحيث اشيع الاذى بالمكرمات استهتروا
من الشمال .. حط هذا الطائر المغفر
الرياح من ورائه .. والعاصفات تزار
والموت ، والليل الرهيب .. والاذى والعسكر
مشرد مثلي .. ومثل والدي .. محير

يا طائرا يزقو .. على نافذتي ويزفر
ويضرب الحديد من آلامه وينقر
الليل مهما أمتد .. لابلد الفداة يقهر
والظالمون فسي غد .. اعلامهم تكسر
وانت .. انت .. من جديد في الفضاء تصغر
وتملأ الدنيا ... غناء طائري وتسحر
فالفجر من جناحك .. الدامي غدا سيظهر
وفوق كل ارضا ... نور الصباح ينشر

هارون هاشم رشيد

غزة : فلسطين

مثل سيد محدث نعمة لم يتعلم ان يشعر الاخرين حوله
بانسانيتهم لانه لا يشعر بكرامته . اما السيد العريق
في شاعريته فانه قريب منك ، قريب اليك ، تبلغ كلماته
فؤادك دون ان يكلمك الا وحيا ويفهمك واجبك دون ان
يذكره لك تماما ، بل انك لتحتاج الى العمل فهو قد اثار
فاعليتك نحوه ، وحفزك الى تغيير حياتك الراكدة والى تغيير
العالم من حولك . انك محتاج لان تقلب الاوضاع بثورة لاهبة
وان تأخذ فتاتك بين اضلاعك لتبوح لها بما ترددت في
قوله مرارا .. لقد خلقت من جديد فانك نائر وانت قديس
وانت عاشق . انك - بعد قراءة الشعر - انسان جديد ،
فقد خلق الشاعر منك بطلا !

وانت مهما فعلت ترجع اليه متسائلا : هل فعلت
حقا ما يريد ؟ ذلك ان الشعر الجيد مثل الحلوة الذكية لا
تعطي كل ما عندها من المرة الاولى .

.. اما وقد اصبحت بطلا فانت اخو سفر جواب آفاق ،
تكتشف كل يوم معنى وفتنة وجمالا . والقراءات المتتالية
تزيد الاثر عمقا في نفسك حتى تنعق فيه وتصبح قصيدة
على شفاه الناس زدها انت من معانيك ابعادا ، فالبذرة
الاصيلة لا تنمو الا في الارض الخصبة ، واذا كان الشعر
رقصا فان تلقيه وتذوقه طيران بأجنحة ليلية .

والشعر يتأطر بالحاضر ان كان الشاعر مستغرقا في
عصره وحضارة عصره ، ويستشرف المستقبل في شفافية
العارف التنبيء وحماسة الهادم المتمرد ، او يتبنى مشكلة
خالدة تنبثق من طبيعة الحياة والانسان كالموت او الفيرة ،
وهو في كل الحالات يعيش حياته وفق افكاره ، فهو في
الحقيقة الانسان - المثال ، وهو افكار تسير بين الناس
على صورة انسان . وما هم الا يقرها الآخرون ؟ تراهم
عاشوا الحياة كما تمثلها ؟ وهل كشفت لهم الحجب ؟

والزمان حاكم عادل لا يعبط احدا ولا يغصبه حقه
فما دام كل شاعر يعبر عن ناحية انسانية ، وما دامت
كل حضارة تلتزم زاوية انسانية فانها لا بد ان تحتضن
من يقف موقفها ، كذلك احتضنت الحضارة الانكليزية
الخيال قبل ان يولد فيها اليوت . وهكذا . ففي الطبيعة
لا يفنى شيء ولكن - في الحق - تولد اشياء كثيرة وجديدة
جدة انتصارات الانسان على نفسه وتقاليده ومجتمعه
والطبيعة التي حوله . ان طبيعة الحياة لا تتغير كثيرا ، او
قل لم يتسن لانسان ان يشهد الفارق بين انسان العصر
الحجري وانسان العصر اللذي . لكن يتاح لكل انسان ان
يشهد في عمره القصير تغير الحياة نفسها من حوله وفي
اعماقه كلما حققت الجماعة حلما من احلام الانسان الراقد
في اعماقها . وهل مراودة الشمس وتركيب العناصر والغاء
المسافات واختصار الزمان الا موضوعات ملحمية من نتاج
اخيلة الشعراء والحالمين الطامحين ؟

محيي الدين صبحي

الطائر المغفر

من هناك .. من الارض السليبة
من الشمال .. هذا الطائر المغفر ..

حط على نافذتي ، .. طير جريح اخضر
دماه من جناحه .. على الحديد .. تقطر
من الشمال .. حيث اطياف الاماني تخطر
وحيث .. احشاء الصخور ، بالحنين تزهر
حيث الربى تحكي الروايات .. ويشدو غنتر
من الشمال .. حيث ايام الشباب تقبر
وحيث يدفن الصبا .. هناك حيث يقهر
من الشمال من ذرى .. تاقى اليها الانسر
قد عشن البقي لها .. وافرخ المستعمر
والليل فوق صدرها ، .. ليل كئيب اغبر
من الشمال حيث اجناد الفساد عسكروا
وحيث اشيع الاذى بالمكرمات استهتروا
من الشمال .. حط هذا الطائر المغفر
الرياح من ورائه .. والعاصفات تزار
والموت ، والليل الرهيب .. والاذى والعسكر
مشرد مثلي .. ومثل والدي .. محير

يا طائرا يزقو .. على نافذتي ويزفر
ويضرب الحديد من آلامه وينقر
الليل مهما أمتد .. لابلد الفداة يقهر
والظالمون فسي غد .. اعلامهم تكسر
وانت .. انت .. من جديد في الفضاء تصغر
وتملأ الدنيا ... غناء طائري وتسحر
فال فجر من جناحك .. الدامي غدا سيظهر
وفوق كل ارضا ... نور الصباح ينشر

هارون هاشم رشيد

غزة : فلسطين

مثل سيد محدث نعمة لم يتعلم ان يشعر الاخرين حوله
بانسانيتهم لانه لا يشعر بكرامته . اما السيد العريق
في شاعريته فانه قريب منك ، قريب اليك ، تبلغ كلماته
فؤادك دون ان يكلمك الا وحيا ويفهمك واجبك دون ان
يذكره لك تماما ، بل انك لتحتاج الى العمل فهو قد اثار
فاعليتك نحوه ، وحفزك الى تغيير حياتك الراكدة والى تغيير
العالم من حولك . انك محتاج لان تقلب الاوضاع بثورة لاهبة
وان تأخذ فتاتك بين اضلاعك لتبوح لها بما ترددت في
قوله مرارا .. لقد خلقت من جديد فانك نائر وانت قديس
وانت عاشق . انك - بعد قراءة الشعر - انسان جديد ،
فقد خلق الشاعر منك بطلا !

وانت مهما فعلت ترجع اليه متسائلا : هل فعلت
حقا ما يريد ؟ ذلك ان الشعر الجيد مثل الحلوة الذكية لا
تعطي كل ما عندها من المرة الاولى .

.. اما وقد اصبحت بطلا فانت اخو سفر جواب آفاق ،
تكتشف كل يوم معنى وفتنة وجمالا . والقراءات المتتالية
تزيد الاثر عمقا في نفسك حتى تنعق فيه وتصبح قصيدة
على شفاه الناس زدها انت من معانيك ابعادا ، فالبذرة
الاصيلية لا تنمو الا في الارض الخصبة ، واذا كان الشعر
رقصا فان تلقيه وتذوقه طيران بأجنحة ليلية .

والشعر يتأطر بالحاضر ان كان الشاعر مستغرقا في
عصره وحضارة عصره ، ويستشرف المستقبل في شفافية
العارف التنبيء وحماسة الهادم المتمرد ، او يتبنى مشكلة
خالدة تنبثق من طبيعة الحياة والانسان كالموت او الفيرة ،
وهو في كل الحالات يعيش حياته وفق افكاره ، فهو في
الحقيقة الانسان - المثال ، وهو افكار تسير بين الناس
على صورة انسان . وما هم الا يقرها الآخرون ؟ تراهم
عاشوا الحياة كما تمثلها ؟ وهل كشفت لهم الحجب ؟

والزمان حاكم عادل لا يعبط احدا ولا يغصبه حقه
فما دام كل شاعر يعبر عن ناحية انسانية ، وما دامت
كل حضارة تلتزم زاوية انسانية فانها لا بد ان تحتضن
من يقف موقفها ، كذلك احتضنت الحضارة الانكليزية
الخيال قبل ان يولد فيها اليوت . وهكذا . ففي الطبيعة
لا يفنى شيء ولكن - في الحق - تولد اشياء كثيرة جديدة
جدة انتصارات الانسان على نفسه وتقاليده ومجتمعه
والطبيعة التي حوله . ان طبيعة الحياة لا تتغير كثيرا ، او
قل لم يتسن لانسان ان يشهد الفارق بين انسان العصر
الحجري وانسان العصر اللذي . لكن يتاح لكل انسان ان
يشهد في عمره القصير تغير الحياة نفسها من حوله وفي
اعماقه كلما حققت الجماعة حلما من احلام الانسان الراقد
في اعماقها . وهل مراودة الشمس وتركيب العناصر والغاء
المسافات واختصار الزمان الا موضوعات ملحمية من نتاج
اخيلة الشعراء والحالمين الطامحين ؟

محيي الدين صبحي

هول تاريخنا في اسبانيا

بقلم الدكتور خالد م. صوفي

(مراكش) خاصة تحت الحكم العربي منذ ان وصل عقبة بن نافع الى شواطئ المحيط الاطلسي وخاض البحر بفرسه قائلا : « يارب لولا هذا البحر الخضم لمضيت في البلاد مجاهدا في سبيلك ، انشر دينك المين رافعا راية الاسلام فوق كل مكان حصين استمضى على جبابرة الاقدمين » ، ولا مجال ايضا لان اتكلم باسهاب عن حالة اسبانيا السياسية والاقتصادية والعسكرية انذاك اذ ليس هذا هو مابغته في مقالتي هذه ولذلك اكتفي بالقول ان دوافع الانسياح في اوربا عن طريق اسبانيا تجمعت لدى المسؤولين العرب في الوقت الذي كان فيه موسى بن نصير يحكم شمالي افريقيا بتفويض من الخليفة الاموي الوليد بن عبد الملك وفي الوقت الذي كانت فيه اسبانيا تحكم من قبل قائد قوطي اسمه رودريك . لم يكن رودريك قديم العهد بالملك اذ لم يكن قد مضى على انتزاعه العرش من اصحابه الشرعيين اكثر من سنة كان قبلها قائدا عاديا لفيره من قواد الاشراف في الجيش الاسباني . وقد انتزع رودريك العرش من سلفه بدعوى القضاء على الفساد والفوضى واعادة الهدوء والطمانينة والعدل الى النفوس لكنه ماعتم ان انغمس هو بدوره في ابهة الملك وترفه وملذاته تاركا بذلك المجال لاعدائه من انصار الملك المخلوع للتامر صده والعمل على اسقاطه والانتقام منه .

وكان هناك على الشاطئ الجنوبي من مضيق جبل طارق في أقصى الشمال من مراكش مدينة صغيره تدعى سبتة كانت لا تزال هي الوحيدة التابعة لاسبانيا بين مدن شمالي افريقيا كلها . واما حاكم هذه المدينة من قبل رودريك فقد كان يدعى « يولييان » وكان من انصار الملك القديم وينتمي الى الحزب المعادي للعرش . كان هذا الحاكم يبذل ما في وسعه لمقاومة العرب ومنعهم من الاستيلاء على اخر معقل لاسبانيا في شمالي افريقيا ، وهو مدينة سبتة كما قدمت . ولم يكن خلافه الشديد مع مليكه الاسباني وانتمائه بشكل متطرف الى الحزب المعارض ليدفعه الى خيانة وطنه لو لم تحدث حادثة تجمع الروايات العربية على انها كانت الى جانب العوامل السياسية ، السبب المباشر في احتلال العرب لاسبانيا .

كان من عادة الاشراف في العصور الوسطى ارسال بناتهم الى البلاط كي يتلقين هناك دروسا في التربية الاجتماعية ويرين عن كثب حياة الطبقة الارستقراطية في بلادهم . وكان لحاكم سبتة المذكور يولييان فتاة رائعة الجمال اسمها « فلورندا » ارسلها هو ايضا بدوره الى بلاط الملك رودريك كي تقضي فيه ردها من الزمن كوصيفة للملكة . وقد استرعى جمالها انظار ملك اسبانيا رودريك فشغلت فكره ولم يعد يستطيع التفكير الا بها ، فاخذ يتقرب منها شيئا فشيئا حتى توطدت الصلات بين الاثنين فا قدم على اغتصابها وانتهاك عفافها ثم اعرض عنها . سمع يولييان والد فلورندا وحاكم سبتة بالخبر فثار ثأرته خاصة وانه من اعداء الملك السياسيين وصمم على الانتقام لشرف ابنته مهما كلفه ذلك غاليا . ومن اجل الوصول الى هدفه لم ير حاكم سبتة حلفاء

حدثت الانطلاقة العربية الاسلامية في اوائل القرن السابع الميلادي ، فخرجت القبائل العربية من صحرائها وانقضت على البلاد المجاورة فاحتلتها ودخلت في حوزة الدولة الناشئة الجديدة معظم املاك الامبراطوريتين الرومانية والفارسية ، اللتين ماعتمتا ان تداعتا امام قوى العرب والاسلام فامتد نفوذ الامبراطورية الجديدة من الشام الى المحيط الاطلسي ، وسيطر العرب على قسم من بلاد السند والهند . بل اضطر ملك الصين ان يطلب منهم الصلح حين استطاع قتيبة بن مسلمة الباهلي الوصول الى كاشغر عاصمة التركستان الصينية . هذا ولم تنج اراضي روسيا الحالية نفسها من غزو العرب اذ احتلوا مدة من الزمن ، الاراضي الواقعة بين نهري سيحون وجيحون فسي التركستان الروسية .

وهكذا قبل ان يمضي قرن واحد على بدء انسياح العرب وظهور الراية الاسلامية ، اصبحت معظم قارتي اسيا وافريقيا خاضعة للفتح العربي . بيد ان الفاتحين الجند كانوا يفتقدون برسالة سامية الهية جعلتهم لا يقنعون بالسيطرة على القارتين المذكورتين وانما ارادوا مسد سيطرتهم الى القارة الثالثة الهامة انذاك : اوربا .

كانت الامبراطورية العربية تتصل حينذاك باوربا من الجهتين الغربية والشرقية . اما اتصالها بها من الغرب فقد كان عن طريق المغرب (مراكش) واما من الشرق فقد كان عن طريق اسيا الصغرى والقسطنطينية . لكن لا بد ان اذكر هنا ان القسطنطينية كانت تابعة انذاك للامبراطورية الرومانية الشرقية (بيزنطا) . ولذلك كان يعمل في نفوس الخلفاء المسلمين رغبة شديدة في احتلال هذه المدينة التاريخية النعمة كي يوجهوا ضربة قاضية الى الامبراطورية البيزنطية ، ويضعوا ايديهم على تلك المدينة الضخمة التي كانت تعتبر المفتاح الرئيسي للقارة الاوروبية . اختمرت فكرة القسطنطينية في نفس اول خلفاء بني امية ، معاوية بن ابي سفيان ، فامر بتنفيذها حالا ، ولكن الحصار البري - البحري الذي فرضه الجيش العربي على المدينة لم يكلل بالنجاح رغم الحصار الطويل لاسوارها ، وذلك بسبب مناعتها وقوة الدفاع عنها . ثم نام المشروع حوالي نصف قرن تقريبا حتى عاد فبعث على يدي الخليفة سليمان بن عبد الملك الذي جهز اسطولا ضخما وامره بالاستيلاء على عاصمة بيزنطا . ولكن في هذه المرة ايضا استطاعت النار الفريغورية ان ترغم المحاصرين على التراجع . ومع ان القوى العربية كانت تبدي في كل مرة عزيمة وجلدا وتغانيا في الحصار الا ان النجاح لم يحالفها فسي كلتا المرتين ، وفشل مشروع الخلافة في التوسع في اوربا عن طريق الشرق .

بضعة سنوات قبل ان يحدث حصار القسطنطينية الثاني ونظرا لعدم تأكيد العرب من استطاعتهم النفوذ الى اوربا عن طريق الشرق اخذ بعض المسؤولين بينهم يفكرون في تنفيذ ذلك من الناحية الغربية اعني : اسبانيا . ولا مجال هنا لان اعرض الوضع في شمالي افريقيا وفي المغرب

المائدة غنمها الرومان من المشرق او بيت المقدس في بعض فزواتهم ثم نقلوها الى روما فغنمها القوط حين افتتحوا روما ونقلوها الى اسبانيا حيث عثر عليها العرب .

واستمر طارق في سيره حتى اشرف على ميناء « خيخون » Jijon في اقصى الشمال فرداه عباب المحيط عن التقدم فعاد الى طليطلة حيث تلقى اوامر موسى بوقف الفتح .

لن اتابع هنا كلامي عن تطور الحكم العربي في اسبانيا لانه لامجال كذلك في هذا المقال الضيق وانما اريد ان اخلص الى القول بان العرب بعد ان توطد ملكهم في ربوع اسبانيا واختلطوا باهل البلاد المفتوحة وامتزجوا بهم امتزاجا تاما عن طريق التزاوج والتقارب والتجارة والثقافة ... انشأوا في تلك البلاد حضارة مزدهرة رائعة فاقت كل حضارة اخرى في العالم انذاك .

ان الدولة العربية التي اسسها موسى وطارق في اسبانيا والتي ساعد على تثبيت اسسها بعض الولاة الذين اتوا بعدها امثال السمع بن مالك الخولاني وعبد الرحمن الفافقي ويوسف بن عبيد الرحمن الفهري وغيرهم والتي وصلت الى اوج عزها ومجدها وازدهارها في عهد خلفاء عبد الرحمن الداخل الاموي ، ان هذه الدولة العربية في اسبانيا هي التي نقلت الى الغرب حضارة العرب وهي التي سمحت للاروبيين بالاطلاع على الكنوز العلمية العربية والاغتراف منها ومحاولة تقليدها دون ان يتوصلوا الى ذلك حتى اوائل عصر النهضة في القرن السادس عشر الميلادي .

ان المصادر التاريخية القديمة العربية منها والاجنبية تفيض بذكر تقدم العلوم والفنون والمعارف العربية في العصور الوسطى فتظهر لنا كيف انهم استطاعوا ان يسودوا العالم سياسيا واقتصاديا وفكريا حقبة من الزمن لا تقل عن السبعة قرون ، بين القرن السابع والقرن الرابع عشر ، وكيف انه في الوقت الذي كان فيه عرب الاندلس يكتبون اروع المؤلفات العلمية والفلسفية والادبية كان معاصريهم شارلمان يحاول ان يتعلم القراءة والكتابة ، وكيف انه في الوقت الذي كانت قرطبة فيه محط امال العلماء والادباء من جميع انحاء العالم ونهاية مطافهم ومقصدهم من كل حذب وصوب ، كانت اوربا حينذاك غارقة في ظلام الجهل والتأخر يتنازع السيطرة عليها قبائل متوحشة من الغال والجرمان والسكسون وغيرهم . لا يبقون من الحياة سوى الفتح والتدمير والسلب والنهب ، اللهم الا بعض اثار المدينة التي بقيت في القسطنطينية وبعض اجزاء ايطاليا .

ربما شغل امراء العرب الاولون في الاندلس عن البناء والعمران والزخرفة باخماد الثورات وتوطيد الحكم ، ولكن ما ان وصل عبد الرحمن الاول الاموي وانتصر على الصعوبات التي كانت تواجهه في الاندلس واسس ملكا ثابتا له ولاحفاده من بعده حتى اتبع سياسة البناء والعمران وتشجيع الادب والعلم . وكان من اروع مآثره بناء الجامع الاموي في قرطبة ، هذا الجامع الذي كان ولا يزال يعتبر درة من درر البناء في العصور الوسطى والحديثة معا .

✱

وقد هبطت الى قرطبة في سنة ١٩٥٦ ، وكانت تلك هي المرة الاولى التي يتاح لي فيها زيارة الاندلس ، اذ زرتها بعد ذلك عدة مرات بين سنة ١٩٥٦ - ١٩٥٩ وكانت جل رغبتني منصب على مشاهدة مآثره العرب من الآثار الخالدة في تلك المدينة العظيمة التي كانت تعد نصف مليون نسمة على الاقل والتي بقيت عاصمة للعرب

اقوياء يستطيع ان يستعمرهم ويستعديهم على ملكه الظالم سوى العرب ، فما عثم ان اتصل بوالدهم موسى بن نصير وعرض عليه مساعدته لاجتياز مضيق جبل طارق وغزو شبه الجزيرة اليبيرية . اغلب الفن ان يوليان وحلفاءه من اعداء الملك رودريك لم يقصدوا بدعوة موسى ان يمتلك العرب اسبانيا وان يحكموها بل كان مشروعه ان يستعينوا بالعرب على محاربة المفتصب واسقاطه واستخلاص الملك لانفسهم .

على اي حال رحب الوالي العربي بعرض يوليان وارسل الى الوليد بن عبد الملك في دمشق يخبره بالامر ويستأذنه في القيام بتلك العملية الحربية الهامة . تردد الخليفة الوليد في بادئ الامر ثم اذن له ان يفعل بعد ان ياخذ كل الاحتياطات الممكنة حتى لا تكون خدعة من يوليان يريد بها تفرير العرب والقضاء على نفوذهم في تلك المنطقة .

كان موسى متندا حكيما فلم يشأ ان يخاطر منذ اللحظة الاولى بالاسطول والجيش العربيين فاكتفى بارسال حملة صغيرة مؤلفة من خمسمائة جندي بقيادة طريف بن مالك سنة ٩١ هـ (٧١٠ م) على اربع من سفن يوليان نفسه ومعهم ادلاء من القوط . نزلت الحملة في اقصى الجنوب من اسبانيا في نقطة تدعى الجزيرة الخضراء واستولى العرب على كثير من الاموال ثم عادوا دون ان يتوغلوا داخل البلاد لان غاية الحملة كانت غاية استطلاعية .

قد اثبتت هذه الحملة لموسى امرين هما اولا ضعف قوى الدفاع في الاندلس . وثانيا صدق يوليان في حلفه للعرب .

حينذاك اعد موسى الحملة الكبرى لغزو اسبانيا وسلم قيادتها الى طارق بن زياد حاكم مدينة طنجة انذاك . واستطاع هذا المولى الاسود طارق بحفنة من الجنود لا يتجاوز عدد افرادها عشر الجيش القوطي الذي اشتبك معه ان يخط في كتاب القدر صفحة خالدة من البطولة والجرأة والاقدام .

لم يكن مع طارق سوى سبعة الاف من الجنود بينما كان رودريك يقود حوالي مائة الف من الجند المدربين النظاميين . وراى طارق بان الفرق شاسع بين عند جنده وعدد جنود الاعداء فارسل الى موسى يستنجد به حملة جديدة فارسل اليه هذا خمسة الاف جندي جديد انضموا الى سابقهم فاصبح عدد الجيش العربي اثني عشر الف مقاتل ، استطاعوا التغلب على عشرة اضعافهم تقريبا في المعركة الهائلة التي جرت عند « نهر وادي لكة » Guadalete والتي دامت سبعة ايام وانتهت بهزيمة القوط هزيمة منكرة واختفاء ملكهم رودريك دون ان يعرف مصيره بعد ذلك .

وقد قال بعضهم ان رودريك مات مدافعا عن عرشه وامته بينما ذكر البعض الاخر انه فر عقب الهزيمة على ظهر جواده ولكنه غرق في مياه النهر وعثر على جواده وسرجه الذهبي دون ان يعثر على جثته . والمهم ان العرب قد انتصروا ومات عدوهم رودريك فنسج الاسبان الاساطير حول شخصيته وطلوا يرددون مدة من الزمن انه لم يمت وانه سيعود لينقذ البلاد من ايدي الفاتحين العرب .

بعد معركة نهر وادي لكة لم يلق العرب المسلمون صعوبات كبيرة في الفتح فاستطاعوا في بضعة اشهر ان يستولوا على سائر المدن الاسبانية ووصل طارق الى جبال استورياس فعبورها وانتهى الى مدينة المائدة خلفها فعثر هناك على مائدة سليمان بن داود وهي خضراء من زبرجد حافظتها منها وارجلها لثلاثة وخمس وستون . ويقال ان هذه

ماينوف على اربعة قرون واحتفظت بمركزها حتى بعد زوال الخلافة الاموية منها .

كان اول ما فكرت به هو النهاب لمشاهدة الجامع الذي بدأ بناءه عبد الرحمن الداخل في سنة ١٦٨ هـ (٧٨٤ م) واتمه بعده خلفاؤه من الامويين . ولم احتج الى السير اكثر من بضعة دقائق من وسط المدينة حتى وجدت نفسي وجها لوجه امام اروع جامع بني في العالم الاسلامي حتى يومنا هذا .

يشغل الجامع مساحة واسعة تقدر بنحو ثلاثين الف متر مربع على الاقل ، وله واحد وعشرون بابا طليت بالنحاس الاصفر اللامع ، وفي داخله الف ومائتان وتسعون عمودا من الرمر المصقول ، قد اجريت الفضة في حيطان محرابه المزين بالسيفساء . كان يتسع الجامع لعدد ضخم جدا من المصلين ويحيط به عدد من المآذن . اما المنبر فقد صنع من العاج ونفيس الخشب ، وهو مؤلف من ستة وثلاثين الف قطعة منفصلة . اما الماء فكان يصل اليه من الجبال الى الينابيع التي اعدت لوضوء المصلين وكانت هذه الينابيع تنظف بمائها ليلا ونهارا .

لو اردت ان استرسل في سرد الاحصاءات عن المسجد الجامع الاموي في قرطبة ، لملأت بذلك الصفحات ولكن يهمني اكثر من ذلك ان اكتفي بذكر ما بقي اليوم من ذلك الجامع . فالابواب قد بقي معظمها حتى يومنا هذا محافظا على الوانه وجماله ، والاعمدة لا زالت موجودة لم ينقص منها شيء ، والحرايب لازال على روعته التي تأخذ بمجامع القلوب ، وسقف الجامع لازال تحفة من تحف فن البناء في العصر الوسيط ، والزجاج الفاخر الذي استحضره صناع ماهرون من بيزنطة لازال يلعب لعان الجواهر واشجار البرتقال المورقة في صحن الجامع لا زالت تسير امتداد

هل قرأت

ديواني الشاعرتين الكبيرتين

نازك الملائكة وفدوى طوقان ؟

قرارة الموجة

وجدتها

اطلبهما من

دار الآداب

الاعمدة ... ولكن شوه ذلك كله بتحويل هذا الجامع الى كاتدرائية كبيرة وضع في وسطها الهيكل الاكبر والصليان والشموع فجرد الجامع من صفته الاساسية على الرغم من ان عددا جما من العلماء والمواطنين الاسبان انتقدوا ذلك وفضلوا الاحتفاظ بهذا اثر الفني الرائع . وقد وفقت اشاهد عظمة ذلك المسجد وجماله وروعة بنائه ودقة زخرفته فعادت بي الذكرى الى ايام مجد العرب وازدهار قرطبة وتخللت كيف ان التفرقة والانانية والمصالح الخاصة قضت على الدولة العربية في تلك الربوع .

لم يكن المسجد الجامع هو الشيء الوحيد الذي تركه العرب شاهدا على حضارتهم اذ ان مدينة الزهراء التي بناها عبد الرحمن الناصر في احد ارباض قرطبة ليجعلها عاصمة جديدة لملكه بنتت عواصم العالم كلها واصبحت انذاك اية من آيات الله .

لن افيض فيما كانت عليه الزهراء من العز والروعة والسؤدد والعظمة والجمال ، بل اكتفي بالقول بانني رايتها وتجولت فيها واطلعت على ما بقي منها فلم ار فيها الشيء الكثير اذ ان عروس الاندلس قد اندثرت اندثارا يكاد يكون شاملا ولم يبق منها الا الشكل العام وبعض الجدران المتداعية وبعض البلاطات الجميلة التي كانت تزين افناها وبعض الاوائل والادوات التي تثر عليها مصلحة الآثار الاسبانية التي تنقب في تلك الاطلال ولكن هذا القليل الذي رايت افرح نفسي مع ذلك لانني كنت اطل بام عيني على عاصمة عبد الرحمن الناصر عاصمة الحضارة في العالم انسذاك .

انتقلت بعد ذلك الى اشبيلية فكان اول ما وقعت عليه عيني من المدينة مثمنتها الشامخة المسماة « الخيرالدا » Jiralda

وهي مثمنة المسجد الجامع الذي بناه خليفة الموحدين ابو يعقوب يوسف سلطان المغرب والاندلس في سنة ٥٦٨ هـ (١١٧٢ م) اثناء اقامته في اشبيلية . وقد خرج هذا المسجد بعد بنائه تحفة في الاتقان والجمال واشتهر خاصة بمنارته الدائرية الصيت « الخيرالدا » .

لما سقطت اشبيلية في يد النصارى سنة ٦٤٦ هـ (١٢٤٨ م) حول مسجدها الى كنيسة فهم معظمه ولم يبق منه الا نوى صحنه الذي يوجد في وسطه نافورة اندلسية ، وباب الجامع الرئيسي الواقع في شمالي الصحن والذي لازال يحتفظ بزخارفه البرونزية الاسلامية وقد نقش على كل من قبضتيه الضخمتين مايتي : « بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد » .

اما المثمنة « الخيرالدا » فقد بقيت على ماكانت عليه ، وبلغ ارتفاعها ستة وتسعين مترا يصعد اليها من الداخل بواسطة مساطب منحدرية مرصوفة باجر تبلغ حوالي الثلاثين ولكل مسطبة شباك صغير يطل على الخارج وقد زينت واجهاتها بنقوش عربية ومغربية بديعة .

صعدت الى اعلاها واشرفت على مدينة اشبيلية التي تعتبر الآن رابع مدينة في اسبانيا وتجمع بين القديم والحديث فشاهدت منها القصر الرائع الذي بناه المعتمد ابن عباد الى جانب المسجد الجامع والذي لازال موجودا محافظا على زخارفه ونقوشه وكتابته العربية والوانه وطابعه وروعته

لم اترك رؤية القصر تفوتني طبعاً ، ولا ابالغ اذا قلت انني اعجبت به اعجابي بقصر الحمراء في غرناطة فيما بعد وخاصة البهو الرائع المسمى ببهو السفراء .

اما البرج الثمن الذهبي الذي يقع على شاطئ نهر الوادي الكبير

الذي يخترق مدينة اشبيلية في وسطها فهو من بقايا اسوار المدينة العربية وقد حول الان الى متحف صغير جميل يجلب اليه الكثير من السائحين .

ثم ماذا اقول عن غرناطة وقصر الحمراء وجنة العريف ؟ لم اتخيل نفسي وانا في غرناطة الا في مدينة شرقية بحتة تكتنفها مسحة اوربية انما تحتفظ بمضى احيائها بطابع اندلسي غالب يعيد الى الازهان حياة المدينة وشكلها منذ الف سنة خلت .

السواح كثر في غرناطة كما في مدن الاندلس الاخرى الهامة . ففنادقها وشوارعها ومخازنها مكتظة بهم وكلهم يتجهون نحو الآثار العربية الخالدة وبالدرجة الاولى نحو قصر الحمراء وقصر جنة العريف والحدائق المحيطة بهما .

ان السلطان يوسف ابي الحجاج اعظم سلاطين بني نصر هو الذي بنى قصر الحمراء في سنة ٧٤٩ هـ (١٣٤٨ م) ، وقد بناه على هضبة مرتفعة تطل على غرناطة كلها تقريبا .

كنت وانا اصعد الهضبة متجها اليه اشعر بشعور من الفبطة والفرح يعتمل في نفسي لانني قادم على رؤية ذلك اثر العربي الرائع الذي يشهد على سمو الفن الاندلسي وعلو مكانته في العصر الوسيط .

مئات بل الوف بل عشرات الالوف من السواح يقصدون يوميا ذلك القصر الاتري العظيم ويقفون ايا كانت جنسيتهم ، مشدوهين امام تلك النقوش وتلك الافايرز الرخامية وتلك الابهاء الواسعة والساحات الكبيرة والاعمدة المرمرية اللطيفة والبرك الجميلة النوافير المختلفة الاشكال ، والقبب المزينة المرتفعة ، والزخارف الفريدة من نوعها ، والاروقة المتعددة الطويلة ، والاسود التي تزار كلما مر بها الهواء وتصب من افواهها ماء عذبا قراحا ... يقف كل اولئك السائحين ويتأملون تلك الروائع العربية فيعجبون من صناعتها الذين بلغوا منذ اكثر من الف سنة ذلك الشاؤ من الحضارة والمدنية .

لقد شعرت ايها القارئ العزيز وانا اتجول في فناء الريحان وفي بهو السفراء وفي قاعة الإختين وفي فناء الاسود وفي قاعة بني سراج وفي قاعة الملوك ... وفي قصر جنة العريف المجاور لقصر الحمراء وفي الحدائق الملكية المحيطة بكل هذا ، شعرت وانا اتجول ضمن مجموعة السواح الذين كانوا يزورون القصر انذاك ، بالفبطة والفخر والعزة تملأ جوانحي وانا استمع الى شرح الدليل يقص علينا قصة ذلك القصر ويشرح لنا قصة بناء كل حجرة من حجره واسم الملك او المهندس العربي الذي اشرف على بنائها ، شعرت بالسعادة لكوني عربيا وتمنيت ضمنا ان يعلم الباقون بانني عربي اذ كنت متاكدا ان نظرتهم الي حينذاك سيسوبها كثير من الاعجاب والاكبار لكوني حفيدا من احفاد بناء قصر الحمراء .

اما الابراج المحيطة بالقصر فلا زالت كما كانت عليه واشهرها برج قمارش وبرج السيدات وبرج الاكام وبرج الاسيره وبرج الاميرات وبرج الماء وغيرها ...

ليست هذه هي الآثار العربية الوحيدة الباقية في غرناطة بل هناك في كل زاوية من زوايا المدينة اثر اندلسي باق ولو بصورة جزئية كما هو الامر في قصر شنيل الذي نرى على مدخله اية قرانية هي « لا غالب الا الله » شعار ملوك بني نصر طوال حكمهم ، وقد نقش ايضا في عقد المدخل ما ياتي :

ياثقتي ياألمي انت الرجاء انت الولي

فيا للنبي الرسلي اختم بخير عملي

لو اردت ان احدثكم عن طليطلة ، واثارها وعن سرقسطة وقصر الجعفر فيها وعن مالقه وقصبتها وعن الرية وقلعتها وعن رنده والقنطرة العربية فيها وعن مدينة طريف وحصنها وعن الجزيرة الخضراء والآثار العربية المتفرقة الباقية فيها وعن المدن الاسبانية الباقية لطال بي البحث وتشعب .

ولذلك فاني انتقل الى القول بان هذه القرون الثمانية تقريبا التي قضاها العرب مابين سنة ٩١ هـ - ٨٩٨ هـ (٧١١ - ١٤٩٢ م) ، في هذا الجزء الهام من اوربا ، والآثار الملموسة الخالدة التي تركوها فيها ليس فقط على صفحات الكتب انما على اديم الارض ايضا ، هذه الآثار التي لازالت قائمة مزهوة بنفسها وبيانيها والتي تجلب لاسبانيا عددا لا يستغف به من السواح الاجانب من اقصى اقطار العالم ، هذه الفترة وهذه الآثار تستحق من كل مواطن عربي الاهتمام بتاريخها وبنشأتها لانني اقول مع الاسف ان المهتمين بالتاريخ الاندلسي هم قلائل مع ما لهذا التاريخ من اهمية ومن قيمة في الحضارة العالمية ، فلو اراد القارئ العربي الرجوع الى مصدر علمي حديث لتاريخ العرب في اسبانيا لما استطاع ان يجد على ماعتقد سوى النذر اليسير جدا من المؤلفات ، مما لا يكفي ابدا لائقاء ضوء على هذه الحقبة الطويلة المجيدة التي قضاها العرب في شبه الجزيرة اليبيرية وخاصة الفترة المتاخرة فترة ملوك الطوائف في الاندلس الذين كانت حالهم تشبه الى حد ما حالة الدول العربية في الوقت الحاضر التي هي اشد ما تكون حاجة للاعتبار بما جرى منذ الف سنة بالاندلس لتوحد الصف وتجمع شملها في دولة قوية يستحيل على الدول الكبرى معها النفوذ الى قلبها والتدخل في شؤونها .

وانه لما يحز في النفس ان يضطر القارئ العربي الى الرجوع الى الكتب الاسبانية او الاجنبية بصورة عامة كي يطلع على تاريخ العرب في اسبانيا مع ان من صنعه احق بكتابته من غيرهم .

هذا والادب الاندلسي الرقيق الرفيع الذي يملأ صفحات الكتب الادبية والتاريخية القديمة لا يستحق عناية اقل من التاريخ الاندلسي . كما ان الآثار الباقية في انحاء اسبانيا كلها لما يشجع على الاهتمام بدراسة هذه الفترة من مختلف النواحي ، والاطلاع خاصة على المؤلفات القيمة الرائعة التي تركها العرب الذين عاشوا هناك والذي لا زال قسم وافر منها محفوظا في دير الاسكوريال قرب مدريد وفي الجمع التاريخي الملكي الاسباني وفي مدرسة الدراسات العربية في مدريد وفي مكتبات المستشرقين في غرناطة وطليطلة وغيرها كي توفي هذه الفترة حقها المفووت من الدراسة ويصبح بمتناول الجميع الاطلاع على فترة من ماضيهم كان اسلافهم فيها اسيااد العالم حفارا وسياسيا وعسكريا .

خالد الصوفي

كتابان خطيران

عارنا في الجزائر : لجان بول سارتر
الجلادون : لهنري اليخ

ترجمة عايذة وسهيل ادريس

دار الاداب

لقد جرّوه بالأمس
لقد جرّوه
على مرأى من الشمس
وما ذكروا
بأنّ عيون محرومين تنتظر
فقد يأتي
وفي كفيه بعض الخبز والحلوى
وفي عينيه
حنان غامر يبعث في اعماقهم سلوى

لقد جرّوه
وقالوا في سبيل الخبز والحب
قتلناه
وساروا ينقلون الرعب من درب إلى درب
ومن دار إلى دار
« قتلناه »
سحقناه مع العار .

وكانت شمس آذار
تطوف بيوت اخوتنا التي ظلمت بلا نار ...
خلال سنين ... لم تحمل سنا ضوء حواشيها
لتخرج كل من فيها
لتسمعهم صراخ الموت ... تدعوهم لرؤياه
يهبّ على القرى فكان أكداً من السحب
تفيض على ذرى « أرجيش » لا تنفك تأتينا
وتنهمر
إلى ان تجعل الوديان تياراً بتيار
تنام على هدير الصخر محمواً من التعب
لتمنح نهرنا « الظمان » ما ضمت مجاريها
لترفده بإعصار
أنا من ذرى « أرجيش » كالطوفان ينحدر

تَكُونُ الذئبَ مَرَّ بِالْأَمْسِ

«الى الرفيق اتس ... الذي جرته
العصابات في شوارع البصرة العربية »

ليترك كل ما شادته اجيال بأيديها
حطاماً... بعض آثار
فلا نخل... ولا ثمر

وَضُمْتُ وحشة الصمت
مدينتنا... وألقت فوق كل « زرائب القصب »
وكل « مضارب العرب »
ستاراً من رؤى الموت
يسير بتمتات الخوف من بيت إلى بيت
أخي أمّاهُ هل يأتي...!
أحس بأنهم جرّوه .
أحسّ بأنهم ضحّوه
لرب ما عرفناه
وأنا قد تركناه

تدوس الأرجل العفنت في تيه بقاياهُ...
كانّ خيول « هولوكو » على الأبواب ؛ والتتر
وحوش يستثير الجوع شهوتها فيزجها
لتأكل كل ما ابقت عهود الجوع والنصب
وتنثر في مياه النهر كل خزائن الكُتب
وتتركنا على الأطلال نكيها

أيأتي أرضنا التتر
وتموز على الابواب ينتظر
سلال الخبز في كفيه والأزهار والثمر
ونحن نعدّ للأطفال... للمرضى... عطاياه
ننسيهم بما انتظروا
ببقياه
فبالأمس
رأيناهُ

يمرّ على النخيل ومن جوار « عرائش العنب »
مجردتين كفّاهُ
ودامعتين عيناه
يجرّ خطاه في ربواتنا... في زيّ مغترب
ويهمس للصغار غداً سأتيكم بأزهاري

غدا تنهل في بغداد مثل نيازك الشهب
و « دجلة » حينما تنهل اكداس من السحب
على « أرجيش » ترفده بما جادت أعاليها
كتائب من بني العرب
تلاقت من ربي « وهران » من « صنعاء » من « حلب »
لتبني مسجداً هدمته طغمة فاتح ضاري
وترجع للخزائن ما أضاعته من الكُتب

أنا اسمع صوت الموت في الدرب
« قتلناه »

سحقناه مع العار
يطوف الحيّ من دار إلى دار
قتلناه

لينعم بعده الباكون بالخبز وبالخب
واسمع صوت صارخة...

أخي جرّوه أمّاهُ
وتموز على الابواب ، ائفال عطاياه
ينقّط في البراعم كل ما حملته كفّاهُ
من الاطياب يعطيها

مواسم ليس يعرفها عراق الجوع والرعب
ولا حملت لمثل ثمارها أيام مرضاهُ
لقد كنّا نريد لقاء زائرنا... وإياه
ولكنّا فقدناه...
فقدناه...!

أحسّ بأنّ تموز الذي قد مرّ بالأمس
بلا دفء... بلا ضوء... بلا شمس
مجردتين كفّاهُ
ودامعتين عيناه
يجرّ خطاه في ربواتنا، في زيّ مغترب...
كأنّا ما سألناه

عن الشوفان والرطب
سيحمل في غد ليوتنا أشهى هداياه...
الكويت

ناجي علوش

الشمس باردة في خط الاستواء !

قصته بقلم جنان الكسان

اعجيني رجل ولد فيه مع ميلاد هذه الكلمات ، كان دائما يدللني بكلمات رفيقة .. كان يجعلني دائما لا ارى في معنى وجودي الا معنى حمسي لا مبال انطلق فيه متواكلا . كنت اتوقع ان يعانقني ويقبلني بحنان ، وببكي ، ويقول لي : حاول ان تعود نفسك على حياة الجندي يولدي ، انها حياة قاسية ولكنها ستنتهي .

لكنه لم يفعل شيئا من هذا ، لقد قال كلماته تلك وربت على كتفي بهمة شاب معتد بقوته ، لقد شعرت يومذاك باعتزاز كبير ، شعرت بدماء حارة تتدفق في عروقي ورأسي ، ويقبلي بكبر ويكبر ، حتى خيل لي اني لحظتها ان في وسعي ان اوقف القطار بسبابة يدي .

في المعسكر ، قالوا عني في الايام الاولى اني جندي جبان ... اهانة قاسية جاءت كانها ضربة مطرقة هائلة ارتج لها كياني وزاغت عينايا فبدت امامهما الرؤى باهتة مهزوزة ... وانزويت في « البلوكوس » افتش عن الجبن في ذاتي فلا اجد له خلا سوى انطواني على نفسي واجتراري ذكريات المدينة ، وصور التجهيز ، ودار البقاء ، ومقهى السلوان ، وخمارة ابي ابراهيم وشلة الرفاق ، وساقى « ثروة » الثاثرين ابدا على حرير ثيابها الداخلية .

ووجدتني حبيس ذاتي ، حبيس هذه الذكريات التي ماتنك تسلب ارادتي فاذا انا ادور معها وادور ... وادور .. « جندي جبان » !

كنت لم اخض معركة بعد ، ولم يعجم عود شجاعتي ، ففيم الاهانة ؟ حاولت جاهدا ان اقنع رفاقي ورؤسائي بانني لست جباناً ، وان تهتمهم باطلة ، ولكني عبثا كنت احاول ، وادركت الفرق بين حياتي في المدينة وحياتي في الخطوط . في المدينة كنت ارد التهم بتزييف الحقائق ، باجتراح موهوم ، ابدية بافتعال امام الكاذبين والحاسدين ، فيصدفني الناس .. امي كانت تفعل هذا .. كانت تقول لجارتنا ام سهيلة عندما تسالها كم تقدر لها من العمر : لا اظنك تتجاوزين الثلاثين ، فتشيع ابتسامة رضى عريضة على وجه ام سهيلة طيلة الجلسة ، حتى اذا انصرفت وثرت على مراة امي ربتت بيدها على خدي وهي تقول : انت لاتصرف الحياة بعد .. يجب ان تسامر الناس لكي تستطيع ان تعيش بين الناس . واذل في انطواني ، احتل ركننا منزويا في البلوكوس وانا سادر في استعادة ذكرياتي في المدينة اجترها مع جرعات الشاي الاسود الثقيل ، ولعنة الكلمة ، جبان تصطرع في نفسي بعنف وانا انظر الى وجوه رفاقي سعيد ، وعاش ، وسمعان ، وسملمان القصير ذي السحنة الصفراء والاسنان الكبيرة وهو يضح في المكان ويصيح قبل وبعد كل جملة « يا قرد » ، ثم يخرج من جيبه كتابا اصفر يقرأ فيه سيرة الزير وابي زيد الهلالي .

كم كرهت هؤلاء في اول عهدي بالمعسكر ، شمعت بخيوط النقمسة تتدافع من كياني ليلتف كل منها على واحد منهم ، وكان يتراى لي

اني اختنق ..

ضيق عجيب يشد اضلاع صدري الى داخل .. خيبة كبيرة احسها دوامة عنيفة انداح فيها بيأس ، والعينان الاسرتان في وجه « ثروة » تلوح فيهما سخرية متعبة .. متعبة ..

هناك لم اكن هكذا ، واحلامي كانت تقطع كل المفاوز وتتحدى جبالا وتلالا وسهوبا ، وتظل في اطلالة عالية كصهيل الخيل المتمرد وقد حطمت عناد قمة . اشعر اليوم انني انتهيت من حيث كان علي ان ابدا .. انني عاجز تماما عن قلب مفهوم بدايتي ونهايتي في مدينتي هذه الكبيرة التي اصاعتني .. انا لست بطلا فيها .. هناك قالوا عني اني بطل ، ولكن للبطولة هنا مفهوما اخر ، لا اصلح له وفي قلبي هذه الطيبة البليدة التي ترتش معها الخاطرات الحلوة في عيني وعروقي ثم تموت بسرعة ..

مدينتي بدأت تخيفني .. تثير القرف في نفسي تشعرنني بضياح كبير لا اجد منفذا للتخلص منه .. لم تكن هكذا قبل ان اغادرها الى هناك ، كانت في نظري عجوزا فاتنة ، افتن من الصبايا ، اقبل عليها بنهم وامتنع كل ذرات فتنتها . لم اكن اعرف حقيقتها قبل ، كنت انسانا بلا تجارب عميقة لاعرف الا مدرسة التجهيز ، وخمارة ابي ابراهيم ، ودار البقاء ، وشلة الرفاق التي التقى ببعض افرادها في احد الاماكن او القاهم مجتمعين في مقهى السلوان يقتلون الوقت - وانا بينهم - في لعب الكونكان ..

ابي اخطأ في تدليلي .. هذا ما ادركته الان ، وكذلك امي ، واخشي سميحة ، و « ثروة » جعلتني العن الان تلوي جسدها الثعابي كلما نار بياض ساقها على حرير ثيابها الداخلية . البارحة بصقت في وجهها طردتها من غرفتي ، اردت عبثا ان تملا فراغ قلبي ، كنت من قبل تثيرني بثني جسدها الثعابي ، اما اليوم فقد اثار في هي الاخرى القرف ، ماذا تختلف عن رابحة التي ازورها في دار البقاء ؟

انها نهاية عجيبة هذه التي وصلت اليها ، تذكرني ببداية سابقة مضادة لها في المفهوم وفي المسار الذي سلكته وفي نوع ايلولتها .. بداية وعيي على حقيقة المدينة وحقيقة الحياة ، يوم غادرت هذه المدينة الى الخطوط الامامية للحدود في الجنوب .

البداية .. يوم وقف والدي المعجوز بقامة منتصب في المحطة قبل ان اصعد الى القطار ، يشد على يدي ويقول : هذه الارض قد رعتك يا ولدي حتى اصبحت هذا الرجل الذي يقف امامي ، لقد امضيت انا في الجندي عشرين سنة ، حاربت في ميسلون والقوطة وجبل العرب والدرنديل وفلسطين ، وكنت دائما اعرف واجبي ، وعليك انت ان تعرف واجبك اليوم في حياتك الجديدة .

وسار القطار .. وانزويت في مكاني افكر في كلمات ابي ، لقد

من الخيط الذي يلتف حول سليمان ، اغلظ تلك الخيوط ، واشدها قسوة ،
واقدر على هصر رقبته المعروفة .

.. جيان .. جيان ..

وصحت به : لماذا ياسليمان .. لماذا تهينني ؟

.. جيان .. جيان .. جيان !

لم اكن اتصور ان لكفي كل هذه القوة الا عندما رايت سليمان يتداعى
على نفسه ويسقط ، ولولا ان انقذه مني العريف ناصر في اخر
لحظة ، لاجهزت عليه .

وقال الملازم عدنان امر السرية : لماذا ضربت رفيقك ؟

.....

.. قلت لك لماذا ضربته ؟

.. لانه اهانتني .

.. ماذا قال لك ؟

.. قال انني جيان .

.. ولكنك اخطأت في عمك ، سارفع تقريراً بسجنك ثلاثة ايام
مع طلب الزيادة . وحاول ان تكون قدوة بين رفاقك ، انت تهرب من
التدريب ، وتتمارض ولا تحاول ان تتسلق التل معهم ، وتدعي دائماً
ان حذاءك غير مريح ، تلج في طلب الماذونية لتزور اهلك ، هذه
الاشياء ، وان كانت لاتدل على الجبن الحقيقي الا انها ليست من صفات
الجندي ، هل فهمت ؟ اذهب الان ، وحاول الا تثبت لي ماينتفعك
به رفاقك .

واصبحت بطيلاً ...

قال لي كل من في القطاع : « انت بطل » .. كان اولهم سليمان ..
لاول مرة لم يزد كلمة « ياقد » على جملة قالها ..
وعبثاً حاولت ان افنع رؤسائي ورفاقي انني لست بطلاً ، وان ماقت
به يستطيع ان يقوم به اي واحد منهم .. لقد استكوني غير مقتنعين
وقال الملازم عدنان ، واكد على ذلك الرئيس شوكت : لاشك ان كل اخوانك
الجنود بواسل شجعان ، ولكن للبطولة معنى آخر في الميدان .

كان امر السرية قد قال لنا في اجتماع مفاجيء : امامنا عمل خطير
يجب ان يتم ، يجب ان يتطوع احدكم لينسف الجسر .
« كان الجسر عقدة مواصلات العدو » .

وفي صباح اليوم التالي كان خير تسليي الى مراكز العدو ونسفي
للجسر ، حديث الخطوط على طولها .

واصبحت سعيداً .. كدت ان ابكي من فرحي عندما علق امر الفوج
على صدري وساما وقرا على الجنود ثناء القيادة العليا . وبعدها ، تكامل
ايماني بالقيم الحققة ، وكفرت بفلسفة امي وام سهيلة والـ الف واحدة
من امثالهما .. الحقيقة وحدها اقنعتني بانها فوق التهم الباطلة .

اني اختنق ..

كنت انذاك اكثر سعادة ، وفي عروقي كنت استشعر استمراراً حاراً
لتوئب دافق ، كنت اشعر بنفسي اكاد الامس حدود المطلق من السعادة
عندما اتعد بثياب الميدان على العشب ، وجهي الى الارض امرغه في
قطرات الندى الباردة اللامعة على السوق الصغيرة ، وذهن صاف
خال من خواطر المدينة التي عدت احيائها اليوم واقعا يجعلها تتسلق
جبهتي بفنك ، ثم تتساقط كالمقارب الميتة ..

مدينتي كلها ، العجوز الفاتنة كنت اقبل عليها بنهم وامتنع كل
ذرات فتنها اصبحت امامي كومة من الافخاذ المريضة العارية يتسلقها دود
كثير ملون ، يحك جلدها بقسوة ثم يزرق فيه لعاباً ساماً ..

وانوارها .. انوارها التي كانت تبهرنني في الامسيات الدافئة . اصبحت
بدورها كومة من عيون عفاريت وقحة تبعث نورا يتراقص بجنون فوق
الواجهات ، او يجثم ببلاهة على اعمدة طويلة ..

وشلة الاصدقاء ، ندماء المدرسة والخمارة والقهى ودار البغاء ، اصبحت
امقتهم .. اصبحت غريباً فيهم ، بدأت احس بتفاهة تمزقني فسي
قهقهاتهم الجوفاء وهي تنفجر في وجهي حمقاء ، بلا رجولة .

كلهم ، بدوا امامي اقزاماً مشوهين ضاعوا في ثيابهم وفي اشياهم
الآخرى السخيفة ، اليوم - وانا بينهم - تمنيت لو وقفوا امامي رتلاً
لاكيل لهم ، واحدا تلو الآخر صفعات قوية ، حانقة .

لماذا يضيعون عن الحقيقة ؟ لماذا لايتخلون عن ايمانهم بفلسفة امي
وام سهيلة ، سامي ميسر قال لي منذ يومين : انك كنت في حالة سكر
عندما تسللت ونسفت الجسر .

ونعيم ظل يدافع ساعة وهو يفاضل بين جسدي رابحة وكاميليا اجمل
امراتين في دار البغاء ، ثم ينفلت الي فجأة ويقول : اسمع يا « بطل »
لولا ان ابي دفع لي بدل خدمة العلم تقودا لسبقتك الى هذه البطولة ،
ولكن حظك اقوى ..

واحاول ان اصدق كلامه ، واحترم له عزمه على الاقتراب من
الحقيقة ، ولكنه سرعان مايفجر بين اشداده ضحكة سمجة ينهار معها
الهرم الذي بنيت له ، فاذا هو قزم امام الحقيقة العملاقة .

واسائل نفسي : هل انا مريض ؟ الم اعد اصلح للحياة بين الناس ؟
واتذكر قول امي « يجب ان تسامر الناس لكي تستطيع ان تعيش
بين الناس » ..

ولكن ، لماذا لا يسامرني الناس بدلاً من ان اسامرهم .. انا عرفت
الحقيقة ، وهم غافلون عنها ، فلماذا اشد نفسي الى الارض بكلمة
انهزامية : « مسامرة » ؟

« يا مدينتي » !

يافاتنة احببتك لانني لم اكن اعرف منها غير فتنها .. انك تشيرين
الان في نفسي القرف .. اشعر انني انتهيت فيك حيث كان علي ان ابدأ
لقد ضعت في ثناياك العفنة ، وصدمتني مراعاة عجيبة في نفوس
اناسك .. انا لست بطلاً فيك ، فابطالك مزيفون ، وللبطولة فسي
قاموسك العجيب معنى مضحك ، سخيف .

لن اجملك تهزئين بي اكثر .. ساذب الى هناك .. الى الخطوط
الامامية ، فقد سئمت المفاهيم المفلوطة وسئمت الضياع ..
.. « يا مدينتي .. سارحل .. لانني لا اريد ان اؤمن بعد اليوم
ان الشمس محرقة في القطب الشمالي .

جان الكسان

دمشق

من « جمعية الادباء العرب »

طبعت على مطابع :

دار الفد للطباعة والنشر

تلفون ٢٢٩٢١

الفارس المصلوب

في ذكرى ميلاد

ولا طسوانيت .. ان الشعب اعصار
يساومون .. فاقبال .. واديسار
نهر من النار .. لم تسمع به النار
« تفديك ياوطن الاحرار .. احرار »
ونحن في زحمة الاقدار .. اقدار
الا وفي ارضنا .. فجر .. ونسوار

لازحف بعد .. ولا ذل ، ولا عسار
الفتحون .. على ابوابنا وقفوا
غورو هناك .. وشعبي في انتفاضة
فأرجف البغي .. مدعورا لصرختهم :
ايبيرون ... وقتلانا جدار دم
اقوى من الليل قتلانا .. فما هدت

عيناه في الدرب تغلي فيهما النار
نهاية الشوط .. مضممار .. فمضممار
وجن في جنبات السدار .. قيثار
وعريدت برحيق الجرح ... ازهار
يسدور فيها بعرس المجد .. سمار

الفارس الاسمر المخبوب .. ما برحت
يا فارس الوطن المصلوب .. قد ازفت
فذاك قلبي .. ترجل .. فالصليب هوى
ترنحت بالدم المهرق .. اوديعة
واخصب الحب في عينيك .. قافية

شمس اللصوص .. وهذا الليل ينهار
يقودها في دروب المجد .. احرار
دم الضحايا .. يقاسي الرعب .. جزار
والفأس في ظمأ .. والشعب هدار

يا اخوتي في ربي الاوراس .. قد افلت
عمان .. حطمت الاصفاد .. وانطلقت
وفي شوارع بغداد .. التي شربت
لن يرفع الصنم المأجور هامته

مخضب .. يعربي الوجه .. فسوار
بقصة يرتوي من نارها الشار
فوق الجزائر .. قديسون .. ثوار

على صخور بلادي يستجير دم
دم .. يعربد في اقصاد شاربته
عن الف « غورو » و « هولكو » اطاح بهم

ارض المروبة معقودا له الفسار
يهزها في يد التاريخ .. « ذيقار »
« الشعب اكبر .. ان الشعب اعصار »

يايوم ثورتنا الكبرى يهل على
وتنتشي راية بيضاء خافقة
فترجع الصرخة الحمراء هادرة :

فارس قويدر

دمشق

هؤلاء علماء السلام موكب ..

بقلم غالي مكري

بغواء حين يحيون أو يفكرون على القمة أو الذروة . فهم نيتشه في جنونه القدس يحيل عمره الى مفامرة فلسفية، ويدعونا الى ان نسلخ من رواسب الخرافات الماضية ، ونتولى بأنفسنا مصر مستقبلا . وهم دستوفسكي في حبه الغامر للبشر ، والاحساس الديني الذي تنذبذب به اوتار نفسه . وهم غاندي الذي يكافح امبراطورية سوداء بكلمات عذبة من الطهر والشرف ، فيخجل منه العالم ويسلم باستقلال الهند .

* واما الطراز الثاني ، فهو أولئك الذين اعطوه منهجا للحياة . فهم جوته الذي عاش طالبا مدى حياته ، يمتص وجدانه كافة التجارب والحبرات في ميادين العلم والثقافة والادب والسياسة . وهم برناردشو يجعل من ادبه كفاحا للظلم والاستبداد والدناءة والقبح . وهم ويلز يرفع الصحافة الى مقام الفلسفة ، فيدرس شئون العالم في تدوين بشري جديد .

* واما الطراز الثالث ، فهو أولئك الذين امدوه بالمعارف الخصبة والافكار الحوامل . مثل فكرة التطور التي احدثت له مركبات ثقافية كانها العقد النفسية في الرقص تداب في تفرع ، ولكن مع التسلسل والتستر . ولقد استطاعت هذه الفكرة الداروينية ان تجعل من حياته استطلاعا دائما . وهم فرويد الذي ساعده في تشریح النفس البشرية ، وهم اليوت سميث الذي فتح له ابواب الحضارة الانسانية .

يقول سلامه موسى « هؤلاء علموني . اكسبوني الحياة الغالية التي عاشوها على القيم ابحاعات كانها صلوات بالقلب . او اعطوني منهجا اميش به عيشة الخدمة والكرامة والشرف مع الرضى بالتضحية . او غرسوا في ذهني غراسا صالحة تنمو وتفرع كانها نبت ينير خلايا المخ ويسطع انوارا تقشع ظلام الجهل »

عار العائلة

والعلم الاول في حياة سلامه موسى هو داروين . واللقاء الاول بين التلميذ واستاذة حدث منذ نصف قرن . كان عمر سلامه حينذاك عشرين عاما . شاب شرقي انخمت ذهنه فلسفات الشرق وغيبياه ، فهرب الى اوربا ، عساه ان يستنشق هواء جديدا . وهناك التقى بداروين . كان عمر كتابه « اصل الانواع » نصف قرن . وعشر الشاب المصري على الهواء الجديد الذي ملا رئتي اوربا في ذلك الحين باسم «التطور» .

شيئان هامان عن داروين يتوضيحا في كتابه : اولهما « معارف » تكاد تكون جقائق عن اصل الانواع في الحيوان والنبات ، وانها جميعا تعود الى اصل واحد ، او اصول قليلة . وثانيهما « منهج للدراسة » هو ان الاستقرار لا تعرفه الطبيعة ، وان الانسان والحيوان والنبات في تغير مستمر .

وقد فرضت هذه النظرية نفسها على كافة ميادين الحياة . اذ لم يقف داروين عند حد اكتشاف النظرية ، فقد سبقه الى ذلك بصورة غير دقيقة وولاس وجده (1) . ولكن داروين انتهى الى تعليل التطور، بتنازع

كتاب « هؤلاء علموني » هدية سلامة موسى للنقاد . انه الاضواء والظلال والخطوط التي اسهمت في رسم خريطة حياته . وهو يصدر الكتاب بمباراة جوته « كن رجلا ولا تتبع خطواتي » مدلا على انه ، وان كان قد تربى وتعلم على ايدي هؤلاء العظماء ، الا انه كان مستقلا في اختيار طريقه الخاص . وفي ذلك يقول ، ان المؤلف العظيم ، لا يدعنا نرى الدنيا بعينه ، ونشهد على الناس والاشياء بضمير . وانما هو الذي يعلمنا الاستقلال رائيين ومشاهدين في آن واحد ، وان كانت رؤيته قد فتحت بصيرتنا .

وسلامه موسى يرى ان المؤلفين هم الذين يغيرون العالم . وتعريفه للمؤلف هو انه الانسان الذي لا يتحفظا بضجة مفتعلة من الزخارف اللغوية المبهرجة ، وانما هو الذي يصنع شيئا من اجل تطوير حياتنا وتغييرها . هو الذي يوظفنا على معنى جديد او ينبه وعينا على فكرة جديدة . ولا ريب ان جولة سلامه في اوربا اكسبته هذا التعريف . فقد سافر اليها في وقت كان الشرق فيه ينعم برقدة عميقة ، اما اوربا فكانت تفتأ بثورات متوالية في العلم والصناعة والتاريخ . وربما كانت نظرية التطور واصل الانسان هي البذرة الاولى التي التقت بها روح الشاب المصري ، وانبثت فيما بعد فلسفة حياته القائلة بان التطور ليس قاصرا على الجانب البيولوجي من الانسان ، وانما التطور يشمل التاريخ والاخلاق والاقتصاد ايضا . ويرز هنا الفكر الانجليزي هربرت سبنسر جيا واضحا

والكتاب الذي يفخر سلامه بتأليفه هو « حياته » ، ولذلك نرى ان جميع الذين علموه ، لم يعزلوا حياتهم عن مؤلفاتهم ، بل كانت هذه الحياة في الاغلب هي مؤلفهم الاول .

وحين يقول سلامه موسى ان المؤلفين يغيرون الدنيا ، فهو لا يقصد ان الافراد يبدلون وجه التاريخ، بل يستهدف العكس تماما . فالسياسة والعسكريون في نظره لا يصنعون تاريخ البشر بسياساتهم وحروبهم . والناس فقط ، بنفاعلهم الحي مع الظروف المحيطة بهم ، هم الذين يصنعون تاريخ انفسهم . ففي الحربين العالميتين ، لم يرجع السبب في اشعالهما الا الى اختراع الالة البخارية ، التي لم يكن توصل جيمس واط الى التفكير في اختراعها الا تعبيرا عن حاجة اجتماعية نشأت خلال ظروف تاريخية معينة . وهذه الالة عمت بدورها الانتاج الكبير في الصناعة وفي ظل النظام الاقتصادي الاستغلالي الذي كان سائدا في ذلك الحين على اوربا ، كان الانتاج الكبير يدفع الدول الاحتكارية الى الحرب والاستعمار . « والدلالة هنا ان السياسي والعسكري قد سار كلاهما في اثر الفكر او المخترع الذي انبعث الى التفكير والاختراع بقوات اجتماعية اخرى »

وحين يتأمل سلامة الشخصيات العظيمة التي اثرت في حياته تفسيرا او توجيها ، ويبحث عن القوة الجذبية التي ربطته بهم ، يجد انها ثلاثة طرز .

* واما الطراز الاول ، فهو أولئك الذين تتسم حياتهم او مؤلفاتهم

(1) جد داروين

البقاء الموجود في الطبيعة ، فالقوى يبقى ، اما الضعيف فموامل ضعفه مكفلة بافئانه . ومن هنا تتطور الحياة نحو الافضل - اي للقوى . وتسلمت هذه النظرية - كما قلت - على كافة ميادين النشاط الانساني . فالتقها رواد الفلسفة الاستعمارية في ميدان السياسة ، وبسروا بواسطتها استغلالهم للشعوب الضعيفة . وفي الاخلاق لم يصبح مهذبا من يعطي الفقير قرشا او من يهب المريض علاجاً . وفي الفلسفة اصبح الحكم للصفوة الممتازة .

وبادر الى تأكيد هذا التفسير الملتوى لنظرية داروين ، قسيس انجليزي يدعى مالتس قال ان الناس يتوالدون حسب نظام تصاعفي ١٦٤٨،٨٤٤،٢ الخ بينما المحصولات لا تنتج الا على نظام حسابي ٢٤١،٢٤١،٢ الخ فاذا عاش الناس بلا مرض او جوع او حرب ما استطاعت المحصولات ان تكفي هذه الملايين المهولة . وقد فات الفكر المتشائم ان التقدم العلمي لن يتيح لرقعة الارض فرصة السيادة . كما اننا حين ننقل نظرية بيولوجية - كنظرية التطور - الى بقية العلوم الاخرى يجب ان نراعي بدقة ووعي طبيعة تلك العلوم في اختلافها الحاسم عن علم البيولوجيا .

وعظمة داروين هنا هي النظرية نفسها ، التي عثر الدهن البشري بواسطتها على مفتاح العالم . وقد حمل داروين - عن جدارة - عبء النقلة التاريخية من التسليم الغيبي للموجودات ، الى الحقيقة العلمية لهذه الموجودات ، وهي انها في تطور مستمر غير مستقر ، وتفجرت بالتالي في اعماقنا شهوة البحث والاستفسار والقلق والكشف وعدم الرضا والاطمئنان المؤمن الى عقائد الاولين .

ويقول سلامه موسى ص ٢٩ « لا اعرف كاتباً تأثرت منه اكثر مما تأثرت من داروين . فانه اعطاني القلب الذي اذن به احيانا ، واهينا اهدم به التقاليد . وجعل التطور مزاجاً تفكيرياً ونفسياً عندي ، بل جعله عقيدتي البشرية النائية عن الغيبيات . وقد اصبحت اقيس الامم بمقدار تطورها ، واقيس آمالي الاجتماعية بمقدار ما اجد من قدرة على التطور . ذلك ان التطور في اساسه منطق علمي ، ولكنه استحالة عندي الى عقيدة قلبية واذن يجب ان اعد داروين المعلم الاول الذي علمني » . وهذا حق . فالقلب الانساني في حاجة دائماً الى الدين . وحين القى سلامه موسى ، وراء ظهره ، بالمفهوم الغيبي للدين ، احس بالقلق . ثم اعاد له داروين نفته في الانسان واحترامه للحياة ، بالمفهوم البشري للدين .

✱

وكان لامارل - قبل داروين - قد علل التطور بالعادات البيئية ، اي ان الوسط المحيط بالكائن الحي من طعام واعاءد ومناخ يؤثر في تركيبه العضوي ، فيغيره الى شكل يتلاءم مع الوسط . فاذا جاء نسله ورث هذا التغير . وتتراكم التغيرات على مدى الاجيال بالمثلث والالوف ، فتظهر سلالات جديدة تختلف عن اسلافها . ثم تتراكم التغيرات في هذه السلالات حتى تفصل ما بينها وبين الاسلاف ، وتصبح السلالات القريبة انواعاً مستقلة . وقد سلم داروين بهذا التعليل مع تمسكه بتنازع البقاء ، حتى جاء وايزمان - الفكر الالمانى - فعارض لامارل قائلاً ان الصفات جميعها وراثية ، وان الوسط لا يؤثر اطلاقاً في الكائن الحي . والتقى بذلك مع نظرة الراهب مندل . وقد اخذ سلامه موسى برأي وايزمان فترة طويلة ، يصف نفسه خلالها بأنه « فسد » ذهنياً . فما دامت الوراثة ثابتة وتتحكم في الوجودات ، فلا ضرورة لبقاء الضعفاء والمرضى والمتأخرين .

والتجربة العلمية فقط هي التي ارغمت سلامه موسى ان يسلم

لوايزمان . والتجربة العلمية ايضا هي التي ازاحت عنه هذا الكابوس حين وقع في يده كتاب « وود جونس » في العادة والوراثة . وقد اثبت فيه ان الوسط يؤثر في الكائن الحي تأثيراً مباشراً في تكوين العادة التي ثورت بتعاقب الاجيال .

وقد شجنت نظرية وايزمان - قبل انهيارها - نفس سلامه موسى بالريبة والقلق . اذ وجد - على ضوء هذه النظرية - ان اصلاح الوسط والبيئة ضرب من العبث ، كما ان جمود الوراثة في نقل الصفات ، اصبح قريب الشبه جداً من الغيبيات والقدرية . وهما شيان نزعتهما جنورهما من اعماق سلامه نظرية التطور . ومن هنا يكرر دائماً ان وايزمان هو الرجل الذي افسد ذهنه .

وليس غريباً ان تترجم افكار وايزمان الى الفلسفة الالمانية على يدي نيتشه . وليس غريباً اذن ان يكون المقال الاول لسلامه موسى عن « نيتشه وابن الانسان » (١) . وكانت اوربا في ذلك الوقت تظلي بنظرية التطور . فالمسيحيون يحاربون المول الذي يهدم « القاعدة الاصلية » للدين ، والملاحدون يهدمون التسليم الغيبي للمسيحية ولكنهم يجمعون على ان الاخلاق المسيحية هي الاخلاق المثلى .

وجاء نيتشه ليهدم المسيحية من زاوية مجدها الاخلاقي . فقال ان الرحمة والتعاون والحب ، وكافة الفضائل المسيحية هي مجموعة من الدجل والخرافات تستهدف رعاية « الفوغاء » و « الدهماء » و « اللقطان » وهؤلاء جميعاً من فقراء وضعفاء ومرضى يعوقون التطور الانساني . في حين اننا يجب ان نخلص لنوعنا البشري ، بان نبقي على الاقوياء في اندهن والجسم والروح ويعمل على افناء الآخرين ، حتى نحصل في النهاية على السوبرمان . فهو يصف الانسان الحاضر بأنه جسر او قنطرة من الفرد الى الانسان الاعلى . وواجبنا اذن ان نصحي بالضعفاء حتى نضمن للجنس البشري ارتفاعه الاعلى .

وقد تلقف النازيون والفاشستيون اقوال نيتشه بلهفة واستقبلوها اعداء الديمقراطية بحفاوة بالغة وكانه المسيح المنتظر .

ورغم ذلك فانت تنشئ بسحره حين يقول مثلاً « الزواج هو اجتماع ارادتين ، لايجاد شخص اعلى من الزوجين » و « الانتقام الصغير اكثر انسانية من العفو عند القدرة » و « لانك جعلت الخطر حرفك ، لذلك أدفك بيدي » . وهذه الخمر اسكرت سلامه موسى . فالرغبة في ايجاد السوبرمان ، وتمجيد الاقوياء الممتازين ، واللفة الشعرية الساحرة التي عرض بها نيتشه افكاره .. جميعها تأمرت على تفكير الشاب المصري اثناء انغماسه في نظرية التطور ومناقشة وايزمان .

ولكن نهاية نيتشه في حياة سلامه موسى ، كانت كنهاية وايزمان . فقد عثر - فيما بعد - على من اخذ بيده الى الطريق الصواب ، حتى انه يحذر من يقرأ نيتشه بأنه كالمسم لا يظهر في العسل ، اما اثره فسرعان ما يبدو قائلاً .

والخمر لا تترك اخر كلمات نيتشه فيقول لشقيقته « عديني انني عندما اموت لن يقف حول نعش سوى اصدقائي ، ولن يكون حولي احد من الفوغاء الفضوليين . واعملي على الا يلقى قسيس على قبري بضعة اكاذيب ، وانا عاجز عن حماية نفسي . ودعيني انحد الى قبري وانا وثني شريف » . وبعاق سلامه موسى على هذه الكلمات قائلاً : ومات نيتشه ، وفي نفسه له حب وعداء ، اقبال وصدود .

ولعل احد اسرار « الهداء » الذي انتهت به العلاقة بين نيتشه و سلامه

هو الحرب الشاذة التي اعلنها الفيلسوف الالماني بلا هوادة على المسيح . فهو لم يجرده من الفيبيات فحسب ، بل عاداه لتزعمه الضمضاء والمساكين وحبه لهم .

وهذا السبب نفسه ، غرس الحب في قلب سلامه نحو الكاتب الفرنسي ارنست رينان . فقد جرد هذا الكاتب المسيح من الفيبيات ، وان لم يفل دوره الكفاحي من اجل الناس ، ومناداته بالحب كملاج سمام لشكالات البشر . رسم رينان شخصية المسيح لدرجة فتنت سلامه موسى ودعته يقول « لقد احببت تلك الشخصية السامية التي وصفها رينان في كلمات الحب والاعزاز ، والتي احاول مع العجز ، ولكن مع الامل ، ان ارتفع الى الاخلاق التي رسمها في شخصية المسيح » .

واحترام سلامه موسى لشخصية المسيح لا يجره الى الخرافات المحيطة بهذا الانسان العظيم . فقد التقى سلامه في بدء حياته الفكرية بالطريقة التي حطمت هذه الخرافات . التقى بفولتير .

وليس لفولتير عبرة او دلالة واحدة لعصرنا ، وانما له عبر ودلالات كثيرة . فاننا نفهم منه ان حرية العقل وحرية العقيدة وحرية الضمير هي امن ما يملكه البشر . وقد حاربه الكنيسة الكاثوليكية بعنف ، فحرمت تداول كتبه واحرقتها وشرذته بين فرنسا وسويسرا ، فكان يكتب رسائله بتوقيعات مزورة . ونجح فولتير في النهاية ، اذ فصل الدين عن الدولة وكفت الكنيسة عن محاربة اعدائها . وهو لم يكن ملحدًا بالمعنى العلمي ، ولكنه كان انسانا ، ولذلك فهو يقول « كلمة الالهي هي الوصف الوحيد الذي يليق بالانسان ، والطبيعة هي الكتاب الوحيد الذي يجدر ان نقرأه والديانة الوحيدة هي ان يكون لنا شرف وامانة . وهذه الديانة الصافية الخالدة لن تكون سببا في الاذى »

واذا كان فولتير هو معول سلامه موسى الذي حطم به مثاليات الشرق ، فقد كان البيرت شفيترز هو النموذج الانساني الذي استولى على قلب الشاب المصري .

ملات شفيترز في صدر شبابه رغبة حارة في خدمة الزوج . وحين تسائل عما يستطيع ان يفعله من اجلهم ، كان الجواب انه دكتور في اللاهوت ، ويستطيع ان ينشر المسيحية بينهم . فاحس بمرارة وهو يسمع الاقتراح ، لانه كان على يقين واثق بان من المبشرين من يحفل تاريخهم المرضي بالوان الجاسوسية ومساندة الاستعمار . وتسائل مرة اخرى : كيف تقدم للزوج تعاليم المسيحية ، وهم قد عرفوا ان هؤلاء المسيحيين الذين تربوا بهذه التعاليم ، هم انفسهم الذين ينهونهم ويذلونهم ويحرمونهم الثقافة والمدنية والمعدل والشرف ؟

ولذلك رحل شفيترز الى باريس وهو في الثالثة والثلاثين ، حيث قضى اربع سنوات في دراسة الطب . وقضى بعد ذلك قرابة اربعين عاما في افريقيا الغربية يعالج امراض الزوج بالمجان ، ويجمع لهم التبرعات من أوروبا وأمريكا ، ويفرى الاطباء الأوروبيين بالهجرة الى هذه البلاد النائية ، ليقدموا مسيحتهم الخدمة الحقيقية . وعاد في سن الثمانين الى بلاده وهو اعمى ، اذ لم تتحمل عيناه شمس افريقيا .

والي هنا - كما يقول سلامه موسى - نستطيع ان نقنع باننا عرفنا انسانا بارًا بالانسانية . ولكن شفيترز كما كان رجلا مكافحا ، كان ايضا مفكرا عميقا . فلم يثأر سلامه بحياته فحسب ، وانما ثأر الى حد كبير بكتابه عن المسيح . فقد عالج حياته بمشروط فرويد بما لا يرضى المسيحيين . والنتيجة التي يستخلصها سلامه موسى من كفاح شفيترز هو احترامه للحياة . واحترام الحياة مفتاح يهيء لنا التفكير السليم في تطور

المجتمع البشري .

يقول سلامه « وتقيلت دعوته الى احترام الحياة في ترحيب وسرور ، لان دراستي للتطور جعلتني على احساس عميق بوحدة الحياة نباتا وحيوانا وانسانا . ثم هو بعد ذلك لا يعترض بكلمة واحدة على سمو الاخلاق التي دعا اليها المسيح » .

الوحدة الوجودية

وحدة الوجود التي رفعت الحياة في نظر سلامه موسى الى مقام الالهية ، هي المذهب الانساني الذي لا يفعل بين النفس والجسم او العقل والمادة او الفكرة والعمل . فالجماد والنبات والحيوان والانسان كلها شيء واحد . والانسان - اذن - ليس كائنا منفصلا ، وانما هو تعبير خاص للطبيعة « العامة » التي في الجماد والحيوان والنبات . والطبيعة الاولى في هذا العالم هي التغير والاستحالة . فالطبيعة دائبة التحول والتشكل ، والفكر البشري نفسه قد ينبع من الطينة التي نبعت بالحياة الاولى .

هذه الوحدة الوجودية ، هي اول ما دعا اليه الشاعر الالماني جوته . واثره في سلامة موسى هو اثر بنري رافق حياته كلها . فهذه النظرة المرضية الشاملة للحياة عند جوته ، دفعته الى ان يكتب الشعر ويجمع الحشرات ويشرح الضفدع ويضع جدولا للالوان ويجرب الكهرباء الجلفانية ، دون ان يحس باية حواجز حاسمة بين مختلف انواع النشاط الانساني . ولذا من الخطا ان نقول ان جوته حصر اهتمامه في الآداب والعلوم والفنون ، لان اهتمامه الاول كان بالحياة . وهذه النظرة الموسوعية صاحبت تاريخ سلامه موسى الفكري ، فقد استلهمها في اسلوبه العلمي البسيط ، كما استوحاها في ان تكون الحياة كلها خامة غنية اوضاعاته .

صدر حديثا

حشاشون شرف !

مجموعة قصص رائعة

للقصاص العربي المعروف

الدكتور يوسف ادريس

دار الآداب - بيروت

والوصايا العشر التي شرب عصيرها سلامة موسى من يد جوته هي :
 * على الانسان ان يعيز بين المعارف والحقائق ، وان يجمع معارفه واختباراته في فلسفة او دين . وعلى المثقف ان يستخرج الكليات من الجزئيات ، فيحس حركة التاريخ يوما فيوما .

* وعلى الانسان ان يتفاعل بمستقبل البشر في رحابة الحقائق التي وصلت اليه . فالرجل الناضج متدين . وديانته احترام الحياة . وكسي نحترم الحياة يجب ان نعمل لرقبها وتطورها الى اعلى .
 والعبرة التي حولت هذه الكلمات الى خلايا دموية التحمت بدماء سلامة ، ان جوته نفسه كان هذا الرجل الناضج .

وعلاقات النضج في الانسان ان يرتفع من هوموم الشخصية السى الاهتمامات العالية . وفي الاديب ان يرفع الادب من آراء واحساسات تكتب الى ممارسة في الحياة . وان يتعرف الاديب الى قوات الخير البازغة فيؤيدها ، وينضم اليها ، ويكون من جنودها وقوادها .
 وهكذا افاد سلامة موسى منهجا للحياة . وهو منهج التعلم والاختبار والاستمتاع على حد تعبيره . ان غاية الحياة عند جوته هي الحياة . اي ان شخصيتنا ترتقى بتربيتنا وبسط الافاق امامنا للتعلم والاختبار ، حتى نزداد فهما لانفسنا وللطبيعة ، فنزداد بذلك استمتاعا .

★

والصديق الجديد الذي ارتاح اليه سلامة موسى في جولته اللهنية بين معلميه ، هو الفيلسوف جون ديوي . وديوي في فلسفته يؤكد حقيقتين سبق ان اوضحهما جوته وهما :

* اننا وكل الاشياء حولنا في صيرورة ، ولسنا ثابتين على حال لا تتغير .

* كل ما في هذا الكون هو وحدة لا تنقسم ، فليس هناك فرق بين الماديات والمعنويات . ولكن ديوي اوضح حقيقة هامة جديدة ، وان كانت نتيجة للحقيقتين السابقتين ، وهي ان معارفنا عن الاشياء والكون مؤقتة ، اي لوقتنا او عمرنا هذا فقط . وهي لذلك ليست نهائية ، وبالتالي لا نستطيع ان نصفي عليها صفة الصديق الجبري ، ذلك لان هذه الاشياء جميعها في تطور ، وقعاى ما يمكن ان نقوله عن المعارف البشرية انها «آلة» او «وسيلة» نفهم بها الاشياء . وغاية هذا الفهم غير النهائي هي التسلط على الطبيعة واستغلالها لمصلحة البشر .

والذكاء عند ديوي اجتماعي ، اي انه ليس موهبة لبعض المتمازين ، ولكنه ظاهرة طبيعية نتيجة تفاعلنا المباشر وغير المباشر مع المجتمع .

والفلسفة عنده ، ليست ان نعرف اسرار الطبيعة ، بل هي ان نستخدم قوى الطبيعة .

والمدرسة في عرف جون ديوي هي جنب المجتمع . وحين تنطوي المدرسة على نفسها ، وتعلم النظريات ، وتلقى دروسا لا علاقة لها بالمجتمع تعود بالضرر على تلاميذها . ولهذا لا يجب مطلقا ان تنقطع عن الاتصال بالمجتمع . وينتهي ديوي الى ان الفرض من التربية هو ايجاد التسلاؤم بين الفرد والمجتمع . وانه ليست هناك اخلاق ثابتة ، وانما هناك تغيرات اجتماعية تؤدي بدورها الى تغيرات اخلاقية . والاخلاق المثلى - اذن هي درجة التسلاؤم بين فرد ما والمجتمع .

ولا يوافق سلامة الفيلسوف الامريكي على هذه النقطة ، بل يتساءل ما اذا كان من «الاخلاق المثلى» ان يتلاوم الفرد مع المجتمع الفاسد ؟ ام انه يشور ويشد على هذا المجتمع ، فتكون ثورته هي فسيلته ؟ وما يربط سلامة موسى بجون ديوي هو التزامه الاسلوب العلمي في

حل المشكلات الاجتماعية . فقد الح هذا الفيلسوف على استخدام الاسلوب التجريبي في كل شيء : في الآداب والفنون والفلسفة والموسيقى والاجتماع... الخ .. وقد اخذت الولايات المتحدة براهيه في التربية ، وعممت نظام المدارس الارتقائية .

وهناك قيمة ثائية ربطت بين المفكرين ، فقد اعتبر ديوي المجتمع - اي مجتمع - هو «المربي الاول» للانسان ، وبقدر اتصال او انفصال الفرد عن مجتمعه ، تكون تربيته .

★

في احيان كثيرة ، كانت المدينة تخنق بعض من ارهقت حساسيتهم انفعالات معينة ، فيهربون الى الطبيعة الساذجة ، يجربون بدائية العيش ويبعدون عن أذخنة الحضارة الخائفة .

والكاتب الامريكي هنري ثورو احد هؤلاء الذين امتلا وجدانهم بحب غامر للطبيعة ، واحساس عميق جدا بحنانها واكاد اقول امومتها . وهو لا يدعونا الى دراسة الطبيعة ، وانما الى ان نعيشها . فهو يصف الانسان الاجتماعي في المدينة ، بانه كائن صغير تشغله الهموم الصغيرة . يقضي ستة ايام يعمل ، ويوما واحدا يستريح . ويتساءل ثورو : لماذا لا يكون العكس هو الصحيح ؟ ونسي الكاتب الامريكي ان العكس هو الصحيح فعلا خارج نظام مجتمعه الاستغلالي . فالنظم الاحتكارية تشقى الادي العاملة اطول فترة ممكنة ليحصل الاحتكاري في النهاية على اقصى ربح ممكن . ومن ثم تصبح علاقات الانتاج قائمة على النهب والامتصاص . ويهرب ثورو وزملاؤه الى الطبيعة بحجة واهية . والحقيقة ان الحضارة الانسانية لا يهرب منها احد ، لو ملك ناصيتها سادة الانتاج الحقيقيون ، الذين بواسطتهم تتغير علاقات البشر من طبيعة المجتمع الرأسمالي الى طبيعة المجتمع الاشتراكي الذي يكفل للانسان كل ما اراده ثورو من سعادة .

وثورو يقول « ان الاتصال بالطبيعة لن يرهقنا بمطالب العيش كما يحدث في المدينة - ويقصد بالطبع مدينته الرأسمالية - فالبساطة والرغبة الحقيقية في حياة لا تصاحبها رغبة مزعجة في الاقتناء والتنافس ، هو عنوان الحياة في الطبيعة » . وهكذا يعترف الكاتب الامريكي بان المباشرة الاقتنائية هي السبب المباشر في لجوئه للطبيعة ، ولكنه تجاهل ان هناك نظاما آخر لا يقوم على التنافس والاقتناء ، في استطاعته ان يخلق المدينة التي يحبها .

والفراغ الكبير الذي يلقاه ابناء الطبيعة في احضانها ، فرصة جميلة عند ثورو للاختبار والكشف والتعة . فالطبيعة مليئة بكل جديد مما لا تيسر لنا ظروف المدينة فرصة اكتشافه . وهو يقدم لنا نفسه نموذجا عمليا ، اذ قضى عاما ونصفا في احدى الغابات حيث بنى كوخا صغيرا . ثم عاد مرة اخرى الى المدينة ، مما يحملنا على ان نفهم ان عودة البشر الى فطرة الغابة اصبحت مستحيلة .

وفي تجربة ثورو يكتشف سلامة دلالة هامة ، وهي ان «الفقر الارادي» او «العصيان المدني» كما دعاه ثورو ، قيمة يجب الاستهين بها ، فحياة المدينة .. وما فيها من هرولة وعصبية وهموم ، كل هذا نستطيع النجاة منه بان نجعل شعارنا : كيف نستغنى بدلا من كيف نقتني . ولا ريب ان الدلالة التي اكتشفها سلامة موسى نتيجة طبيعية للمدينة التي عاشها ... المدينة الرأسمالية .

وسلامة موسى يقول ان الولايات المتحدة بعد مائة سنة من تجربة ثورو احوج الى عبرته مما كانت عليه في منتصف القرن التاسع عشر ، لان المباشرة التي يعيشها الامريكيون هذه الايام ، اقتل للنفس وابعث للقلق

والخوف مما كانت في أيامه . والأمريكي حين يقدم اليوم على تجربة ثورو هو رجل سعيد اذا قورن بالمهولين المعصبين الذين يملأون مستشفيات الأمراض العقلية .

ويقول ايضا « انه لمن الحسن ان يثبنا كاتب بأسرافه في الحب للطبيعة الى انه بجانب الشارع والنادي وسهرات الكحول وعد النقود وشراء الارض واقتناء الضياع والاسهم في الشركات ، بجانب كل هذا توجد ارض وسمااء واشجار وزهور وانهار وجبال ، وان القمر يضيء في الليل ، فيكسو الحقول بأشعته ، وان النجوم تناديننا في الظلام كي نتأملها ونتحدث اليها . واننا من وقت لآخر يجب ان نخلي ونستوحى كي نعيد النظر في حياتنا ونسال : هل نحن نعيش مسوقين بضغط العادات الاجتماعية التي لم نفكر من قبل في قيمتها ؟ والا يجدر بنا ان نغير هذه العادات او ننفجها بالهام الطبيعة التي تردنا الى الاصول والجذور »

ولم يتأثر سلامة ذهنيا فقط بتجربة ثورو . فاننا نراه في ختام كتابه « تربية سلامة موسى » (١) يقول ان برنامجه في العشر السنوات القادمة بعد سن السنتين هو الخاود الى القرية في سكينه وهدهوء وتأمل . ولكنه لم يستطع ان ينفذ هذا البرنامج ، وقال لي انه وجد في ذلك الهدوء معنى للموت ، وانه سيظل ملتحما بضجيج المدينة حتى نهاية العمر . اما غاندي ، فقد تأثر بتجربة ثورو لدرجة كبيرة ، فقد نقل عنه عبارة « العصيان المدني » في معركته مع الانجليز . ونفذ « الفقر الاختياري » بان صام اكثر من نصف عام على فترات كي يحمل الهندوكيين والمسلمين على الاخاء . وبذلك رفع السياسة الى مستوى القداسة .

والنسك او الرهبنة التي اكسبها غاندي معنى جديدا ، ايقظت في سلامة روحا اوروبية للتشكف ، وفي ذلك يقول : « واني لاكتنز كنوزا

(١) طبعة ١٩٤٧ ص ٢٨٨ - نشر دار الكاتب المصري

صدر جديدا

الحديث عن غاندي

رواية

بقلم الدكتور سهيل ادريس

قصة اسرة تسجل صراع جيلين في لبنان

دار الاداب - بيروت

نفسية في حياتي لا ارضى بها بدلا . هي اني عشت وعاصرت تولستوي وبرناردشو وشفيتزر وغاندي . وجميعهم قديسون . وليست قداسهم من ذلك النوع القديم حين كان يتزوي الراهب في صومعته بعيدا عن المجتمع كي يشهد خلاص نفسه فقط . لان هذا الراهب في صميمه اناني يطلب الخلاص لنفسه فحسب . ولكن هؤلاء القديسين المعاصرين كانوا يتألمون ويصومون ويكافحون من اجل خلاص البشر . وقد استطاعوا ان يغيروا الاوزان والقيم البشرية ، وان يفرسوا في قلوبنا حبا جديدا ، وان يعلمونا اسلوبا فلسفيا للعيش »

والرهبنة الارادية التي فرضها هؤلاء العظماء على انفسهم لا تعتبر حرمانا من لذات معينة ، كما يفهم عن رهبان الديانات . لان عظماءنا لم يحسوا - وهم يحرمون انفسهم بالفعل - انهم حرموا شيئا . . وذلك في غمرة انشغالهم بالقيم الجديدة . فغاندي مثلا حرم على نفسه الاتصال الجنسي منذ كان في الرابعة والثلاثين ، ولم يفعل ذلك قهرا ، وانما كان الامر طبيعيا وسط اهتمامه بالاهداف الكبيرة .

وسلامه يرى في غاندي ماركسيا من حيث فهمه لطبيعة الاستعمار ، ومكافحته الانجليز على أساس الاكتفاء الذاتي بمقاطعة الانجليز . ولست ارى اية « ماركسية » في هذه الاشياء . فاي ساذج يعرف ان الاستعمار - في ابسط تعريف له - هو استغلال موارد الشعوب القلوبة على امرها لمصلحة الدول الاستعمارية . واي ساذج ايضا يعرف ان الاكتفاء الذاتي - في ميدان الاقتصاد - يسهم في معارك الاستقلال بنصيب ملحوظ .

اما طبيعة الاستعمار - من زاوية الفهم الماركسي - فهي قمة النظام الرأسمالي من حيث كونه نظاما يكفل للقوى غلبة على الضعيف . . . سواء كان هذا الضعيف طبقة في مجتمع ، او شعبا من الشعوب . ولا ريب ان هذا المعنى لم يخطر على غاندي ، والا كان في استطاعته ان يعيد النظر في طبيعة المجتمع الرأسمالي نفسه . وما كانت « المقاومة السلبية » اذن منهجا صحيحا ، تتمكن به الشعوب من سحق الاستعمار . وما انتصار الهند الا نتيجة موضوعية لظروف كثيرة .

واذا اردت ان افسر رأي سلامة موسى في غاندي « الماركسي » اقول ان سلامة نفسه في فترة من تاريخ مصر الوطني ، صنع امتدادا لدعوة لطفي السيد السياسية « مصر للمصريين » فكون جمعية « المصري للمصري » التي دعت الى الاستقلال الاقتصادي (١) . ولكن التكوين الايديولوجي لسلامه والتكوين التاريخي لمصر كانا يختلفان تماما مع التكوين الايديولوجي لغاندي والتكوين التاريخي للهند . وهذا ما فات سلامة موسى حين وصف غاندي بالماركسية على اساس المشابهة والمقارنة ، لا قام به في الهند ، ولما حدث في مصر .

وعبرة ثورو هي ما يستخلصه سلامة من غاندي ايضا . فقد علمنا ان نعيش ليس بالافتناء وانما بالاستغناء ، واننا نستطيع ان نحقق السعادة على الارض بالقليل من الحاجات دون البذخ الذي يفسدنا بلوغه ، ثم نحس بالتعاسة اذا لم نحصل عليه .

✱

والاجتمع الحائر القلق الذي عاشه ثورو ، هو نفس البيئة التي عاشها هافلوك اليس . ونحن لا نستطيع ان نقارن بين الطريق الذي سلكه ثورو وغاندي ، والطريق الذي سلكه اليس . فالخصومة الجديدة لم تقع بين الانسان والمدينة ، ولكنها بين الفرد والمعنى الاجتماعي للمدينة . وهذه

(١) سلامة موسى : جيوبنا وجيوب الاجانب ✱ تقويم المصري للمصري

نفسها وتفكيرها . وفهمت ان الحرية ليست هي احدث مودة في عالم الازياء ، وليست هي ارتياد الحفلات .. ولكنها الالتحام بالمجتمع ، والاتصاف بمشكلاته ، والتفكير في همومه ، والعمل على ارتقائه . ودخلت المرأة الأوروبية المصنع والمستشفى والعمل والورشة ، ولم تصبح هذه الدمية الجميلة التي وصفها إبسن .

ولم يقتصر الكاتب النرويجي في عمله الكبير على هذا المعنى . لقد اسهم في نقل الدراما من الاطار الرومانسي الى البناء الواقعي .. من التحليق في ضباب الاحلام الى ارض البشر .

وقد حاول سلامه الاهتمام الى المعنى العلمي لحرية المرأة . وعشر في الناحية الاقتصادية على العامل الحاسم في هذه المشكلة (١) لان المساواة الاقتصادية بين الزوجين هي النبع الحقيقي للمساواة النفسية بينهما .

والفضيلة الثانية لابسن هو انه اكتشف « الحجاب » الحقيقي . ونجح سلامه موسى في تطبيق هذه النظرية على الرجل . وقال في ذلك ان الفرق بينه وبين المرأة هو اختلاف درجي فقط . لان الرجل - داخل جدران المجتمعات المختلفة - يعيش ايامه خلف حجاب ذهني ونفسي . فالانسان الذي يحيا في اسر التقاليد وكانها من طبيعة الاشياء لا تتغير وفي غير حاجة الى التغيير هو انسان « محجب » . واذا كانت المرأة قد تخلصت من كونها « لعبة البيت » فان على الرجل والمرأة معا ، ان يتخلصا من كونهما لعبة الاقدار او لعبة المجتمع (٢) .

والتلميذ المخلص لابسن هو برناردشو . وشو هو الفريق المخلص لسلامه موسى ، منذ التقيا في لندن ، ولم يكن الاديب المصري قد تجاوز العشرين عاما . وحين يبدأ سلامه حديثه عن شو يقول « يجب ان أبدا بكتابه الاكبر وهو حياته » وقد فصل هذه الحياة في كتاب مستقل عن برناردشو (عام ١٩٥٧) وكان قد وعد قراءه بهذا الكتاب منذ ثلاثين عاما (٣) والخط الرئيسي الذي ينتظم صداقة سلامه لشو هو انه - اي شو - اتخذ اسلوبا في العيش يتفق وتعبيره « وانما يكون الانسان فاضلا اذا اعطى مجتمعه اكثر مما اخذ منه » .

وشو نقطة تحول هامة في المسرح الانجليزي ، فقد حوله من مسرح « ابطال » الى مسرح « افكار » ناقش بواسطته كثيرا من القيم المألوفة بالاذهان على انها حقائق لا تقبل الجدل . فهو يبدد الغيبات ، ويناقش - التثمة على الصفحة ٥٩ -

(١) راجع « المرأة ليست لعبة الرجل » تأليف سلامه موسى

(٢) انظر « الشخصية الناجمة » لسلامموسى

(٣) انظر « التجديد في الادب الانجليزي الحديث » لسلامه موسى

الشعر العربي في المهجر الأمريكي

دراسة فنية

بقلم
ودييع ديب

المسعر ٣٠٠ غرش لبناني

بؤرة التفكير الانفصالي عند اليس حين عاش مع زوجته كصديقين يتزاودان في بعض الاحيان ، لا كزوجين يعيشان تحت سقف واحد ، وفي ذلك يقول « نحن نرى في الزواج حياة شاملة تحتوي جميع التفاصيل الاخرى في حين كان هذان الزوجان يريان فيه انه بعض الحياة فقط ، وانه يجب ان يترك الزوج حرا لا يتدخل الزواج في تفاصيل حياته ، لان الزوج انسان اولا له طموحه وآماله وحرفته وهوايته وملذاته . وهو يجب ان يجد الحرية في خلوه وفي استقلال لا يفسدهما عليه الزوج الاخر » (١) ولاشك ان هذا المفهوم « الذاتي » للزواج يتعاون مع المثالية في تفسيرها للنشاط البشري . لان المفهوم العلمي للزواج يتيح للفرد فرصة « انسانية » للمشاركة والحب والفهم ، لا تتحقق الا في جو سيكولوجي نفي « بعيدا عن الاستغلال المبودي الموروث » من قبل التقاليد الاقطاعية والراسمالية القائمة على السيادة الاقتصادية .

ويفسر سلامه موسى الشهرة التي لاحقت اليس بانه كان جريئا في علاجه شئون الجنس حين عرضها من زاوية الصحة لا من زاوية المرض . وهذا هو الفرق الحاسم بينه وبين فرويد . ويبدو هذا التفسير قاصرا اذا المنا بالمناهج الفرويدية في تشرح النفس البشرية . فالطفولة هي نقطة الانطلاق عند فرويد ، قبل ان تكون الظروف « مركب اوديب » للفرد . ومن ثم لا يكون فرويد قد عالج النفس من زاوية المرض او الصحة ، وانما باشر بعونه على اساس الطفل « كخامة » لم تتعد بعد بملاسلاتها المحيطة بها . بينما استطاع اليس ان يكتشف الجوانب السالبة والايجابية في المرض والصحيح على السواء . ويتساوى فرويد واليس اذن في جهلها بالارض الاجتماعية للبشر وتفاعلها المستمر مع الانسان .

ويقول سلامه ان اليس حين يدعو الى الانفصالية في الزواج ، فهو ليس انطوائيا ، ولكنه يريد ان يلهب « احساسنا الاجتماعي » بالحياة . وعبرة الاحساس الاجتماعي تعني الاهتمامات المتعددة بالفلسفة والفن والاختراع والاكتشاف ، لان هذه الاهتمامات في حاجة الى رصد القوى كلها في خلوة واستقلال . « وقد كان هافلوك اليس من هذه الناحية انسانا جديدا ، ولكننا لا نستطيع ان نبت برأي في هذه الجدة هل هي للسعادة والخير ام للتعاسة والشر » والحق ان هذا القلق الذي استشعره سلامه موسى في حديثه عن اليس ، ينجم عن ان هذا الفكر الباحث كان تعبيرا صادقا وتجسيدا لروح الفردية التفتشية في مجتمعه . وتعبير « الاحساس الاجتماعي » الذي جاء به هو احساس بالنقص الاجتماعي . والصراحة الواقعية التي صبغت احاديث سلامه في شئون الجنس هي ما افاده من بحوث اليس .

داعية الشخصية

والرجل الذي يجب ان نتعرف عليه نساؤنا هذه الايام هو هنريك إبسن . فائراة الشرقية في القرن العشرين ، هي نسخة قريبة الشبه من المرأة الأوروبية في القرن الماضي .

لم تكن المرأة في اوربا ذلك الخن، تلبس الحجاب . ولم تكن سجين البيت طول النهار . وانما كانت تخرج الى الحفلات والمندييات ، وتفشى مع زوجها اماكن الفكاهة واللهو . وكانت - وهذا هو المهم - تؤمن في قرارة نفسها انها وصلت الى اقصى درجات الحرية .

وجاء هنريك إبسن ليوقظنا من هذا الحلم . قال لها : انت واهمة ، ان ما تظنيه حرية ابعد ما يكون عن المعنى الاصيل لهذه الكلمة . وانزعجت المرأة الأوروبية وهي تقرأ « بيت الدمية » . وبدات تراجع

هؤلاء علموا سلامه موسى

— تتمة المنشور على الصفحة ٣٩ —

مستقبل الانسان على المسرح في درامته « الانسان السوبرمان » ، ويصفها سلامه بانها تشبه الامتداد الطبيعي لكتاب « اصل الانواع » .

وقد شغل شو بمستقبل الانسان لدرجة ابعده عن الاشتراكية حين دعا الى ان يكون الحكم للصفوة الممتازة ، وان يترك الضعاف يموتون بعوامل ضعفهم . ولكنه عاد بعد ذلك يقف الى صف ليسنكو حين اكد ان الصفات المكتسبة تورث . وفي هذا امل لاصلاح الوسط . اي انه يمكن الوصول الى السوبرمان بالاصلاح العلمي للوسط ، دون الحاجة الى تنازع البقاء . والحق ان فكرة « الانسان الاعلى » هذه منذ قالها نيتشه الى الان هي دعوة غير علمية ، لانها افراز حتمي لطبيعة مجتمع مريض يحدد عظمة الانسان على اساس بيولوجي جامد ، مغفلا عوامل التقدم الانساني الاخرى . وهذا دليل جديد على مدى الحقارة التي يحسها ذلك المجتمع نحو الانسان الراهن .

وخير ما اخذه سلامه عن شو هو هذا الروح العلمي الذي يسود مؤلفاته ، فقد كان مثله علمي الذهن ، ادبي الوسيلة ، فلسفي الهدف . تميز بالتفكير العلمي والتعبير الاول . وهذا الى انه حبيب اليه الاشتراكية ، ونقلها عنده من منطق العقل الى عاطفة القلب ، بل جعل منها ديانتة العملية . فليس البر عنده هو الاحسان او الصدقة ، وانما البرنامج الاشتراكي في توفيره للشعب طعام الجسم وغذاء الذهن وحرية الضمير والاقدام على المستقبل .

يقول سلامه « هو - اي شو - بعد داروين ، جعلني استمسك بالنظور واجعل منه الديانة المذهبية لحياتي وفكري وموقفي البشري . وقد كان هو يقول بالحاجة الى وزارة للتطور تعمل لترقية السلالات البشرية ، وهذا تفكير يعلو علوا عظيما على الصفائر التي يشتبك فيها صفار الادباء (١) واعظم ما يبتهج له سلامه هو ان يسمع شو يتحدث عن الحب حين يرتفع الى الثلث العلوي من الجسم البشري . ويقول « حين اعود الى الافكار التي بثها في نفس برناردشو ، احس ان حياتي ترتفع الى مقام التاريخ ، وان لوجودي دلالة فلسفية » (٢)

★

قال ويلز « لو كنت على سفينة ومعني برناردشو ، وبافلوف العالم الروسي ، ثم تعرضت السفينة للفرق واضطرت للاختيار بين انقاذ بافلوف او شو ، لانقذت بافلوف بلا تردد. »

وهذه الكلمات هي السائل المر الذي جرحه « ه.ج. ويلز » لسلامه موسى . فقد كانت رابطة الحب قوية بين سلامه وشو من جانب ، وبين سلامه والعلم من جانب اخر .

والخلاف بين ويلز وشو بدأ داخل جدران الجمعية الغابية ، فقد رأى ويلز ان تهتم الجمعية بتحرير المرأة ، بينما رأى شو ان تخصص في نشر المبادئ الاشتراكية فقط دون اي هدف اخر . وخرج ويلز من الجمعية .

وويلز هو الكاتب الانجليزي الذي رفع الصحافة الى مقام الفلسفة (٣) فقد اتخذ منها وسيلة حية لنشر افكاره . ويمكن تلخيصها في ان العالم

(١) و (٢) هؤلاء علموني ص ١٤١

(٣) « الصحفي هو اعظم الادباء في عصرنا » ويلز

هو قريتنا الكبرى ، فما يصيب احد الاقطار في اخر الدنيا ، يجب ان نهتم به نحن ، وما يفيض عن حاجة بلد بعيد ، يلزم ان يفيد منه البلد المحروم . فهذا العالم ليس ملكا لاحد ، لانه ملك جميع البشر .

ولم يتنبه سلامه موسى الى النظرية الاستعمارية التي ينطوي عليها تفكير ويلز . فلم يضع هذا المفكر الانجليزي تخطيطا علميا للانتاج العالمي ، حتى تضمن « عالمية الاستهلاك » . وما قوله بان العالم هو قرية البشر جميعا ، الا تأييدا للفتوحات الاستعمارية ، حيث انها تستهدف الاستيلاء على موارد البلاد المتخلفة « فما دامت لا تستطيع استقلالها على نحو مرض ، كان الاوروبيين يستطيعون استقلالها على نحو اكثر رضا » (١) واغفل بذلك ان « تأخر » هذه البلاد ليس شيئا جامدا ، فالتقدم العلمي يسهم مع الشعوب في السيطرة على ظروفها ، وبالتالي على مواردها . ولم يكن ويلز - فيما كتب من قصص - يعني كثيرا بالشكل الجمالي لاعماله الفنية . وقد كتب قصته « الحرب بين الكواكب » معبرا عن شهوة الاستغلال الكامنة في محتوى النظام الرأسمالي . وربما كانت هذه القصة هي التي ألهمت سلامه موسى التعرف الحقيقي على ويلز ، حيث قال في ندوة ادبية (٢) ان الكاتب - اي ويلز - لم يولد فينا اساسا مضادا للحرب ، بل احسنا انه يلتذ لتلك المعركة الخرافية بين الكواكب - بعد ان يستولي عليها البشر - وهذا تعبير غير مباشر على ان ويلز كان يمثل روح المجتمع الرأسمالي النهم المولمة بالافتراس والحرب (٣)

(١) راجع « معالم تاريخ الانسانية » لويلز

(٢) قاعة فوكس « المركز الثقافي السوفيتي بالقاهرة »

(٣) مجلة العالم العربي عدد ديسمبر ١٩٥٧

صدر حديثا

كتاب

القومية والاشتراكية

في شعر الرصافي

اول دراسة من نوعها تكتب عن الشاعر

بقلم

هلال ناجي المحامي

تطلب من دار العلم للدارسين

الثلث ٢٥٠ ق.ل او ما يعادلها



والتحليل السيكلوجي العميق ، الذي انتهجه دستوفسكي في تشريح شخوص قصصه ، يتوقف عند حد التحليل دون التعليل ، والتشريح دون التبرير ، والفن دون العلم . وهذا هو الدور الطبيعي للفنان ، وهو يختلف عن دور العالم . ولذا فإنا نقول ان سلامه موسى اخذ عن دستوفسكي الاضواء والظلال في انعكاسها عن النفس البشرية ، بينما اخذ عن فرويد النفس البشرية ذاتها .

وفرويد احد الخمائر الهامة في حياة سلامه . فقد اثبت هذا المفكر ان النفس البشرية ورثت وظائف وحشية قديمة ، واننا نألم ونبتس لاننا في صراع لا ينقطع بين هذه الوظائف الطبيعية القديمة وبين قيود الحضارة التي تمنعنا من ممارستها . ونستطيع ان نلاحظ « التطور » كمنهج نفسي للبحث عند فرويد . وهناك حقيقتان يتفرعان عن نظرية فرويد هما : ان الشهوة الجنسية هي الحافز الاول للنشاط البشري . وان مستقبلنا الاخلاقي والزاجي والعاطفي يعتمد الى حد كبير على ايام الطفولة الاولى . ورغم ان سلامه موسى درس تلاميذ فرويد : اولر ويونج وريفرز ، الا اننا نلاحظ في آثارة الفكرية (١) تأججا ملحوظا بين المدرسة السلوكية الامريكية بقيادة واطسن ، والمدرسة العلمية الحديثة بزعماء بافلوف . فالمدرسة الامريكية لا تؤمن بالانفعالات النفسية في حد ذاتها ، وانما تحلل النشاط الانساني على اساس فيسيولوجي . وربما كان هذا الاتجاه « رد فعل » للاتجاهات الميتافيزيقية في ميدان علم النفس . ولكنه اتجاه ميكانيكي جامد ينأى عن الواقع النفسي للبشر . ومدرسة بافلوف اكدت مشاعر الانسان وانفعالاته النفسية ، وان غللتها بالظروف البيولوجية والاجتماعية المحيطة به .

وتعريف فرويد للضمير الانساني ينبعث من صميم النظرية ، اذ يصفه بانه مجموعة من المحظورات تعلمناها منذ الطفولة . والحق ان فرويد كاد ينتهي جانب الصواب لو انه رافق الانسان في مراحل حياته المختلفة ، ودرس مجموعة ظروفه الخاصة ... حينذاك كان يدرك ان الضمير البشري يتطور مع الفرد بما يتلاءم مع تلك الظروف .

ومركب اوديب الذي اشتهر به العالم النمساوي ، يتلخص في ان الطفل يجب امه حبا جنسيا منذ ايام الرضاعة الاولى حيث يتمسح بها في لمسات جنسية .

وسلامه موسى لم يوافق استاذة في كل ما قاله ، بل هو يعترض عليه في عدة نقاط رئيسية :

✳ فايما فرويد بان لنا غرائز موروثة ثابتة يعتبر شططا ، لانه اغفل قيمة المجتمع والبيئة في تغيير العادات الذهنية والاجتماعية للانسان .

✳ مركب اوديب ، لا يجب بالضرورة ان نؤكد كعقيدة جنسية . فالطفل يقار من ابيه فعلا ، ولكنها ليست غير جنسية تماما . اي مركب اوديب ليس ميزان النفس البشرية .

✳ الافكار البشرية جميعها ، انما هي رجوع انعكاسية كيفية اي معادلة عن المرجع الاصلي . وسلامه هنا يتفق مع بافلوف .

حقيقة الامر ان فرويد وسلامه كليهما ، كانا في حاجة واضحة الى كلمات العالم الالاني مورجان حيث اوضح في بحثه المسهب الجذور البعيدة لاصل العائلة . وكشف عن حقيقة العلاقة التاريخية بين الابن من

يقول سلامه موسى (ص ٧٧) « كان من حظي الحسن ان هبطت على الادباء الروس ، وانا في حوالي العشرين ، فارتفعت بذلك الى مستوى من التقدير للفن القصصي ، جعلني في مستقبل عمري ، اناق واحجم عن قراءة تلك القصص الانجليزية والفرنسية والامريكية ، التي لا ترتفع الى مقام المؤلفات العظيمة التي كتبها تولستوي ، ودستوفسكي ، وجوركي ، وجوجل ، وتشيكوف ، وتورجينف »

اما دستوفسكي - بالذات - فقد تأثر به سلامه موسى لاعتبارين هامين . اولهما ان جميع قصص دستوفسكي دعوات الى الخير والحب والتضحية . وثانيهما حبه المسرف لشخصية المسيح ، حتى انه قال ذات مرة في حماس مفرط « لو ان احدا قال لي ان المسيح يجافي الحق ، ولو ان هذا القول كان صحيحا ، لاثرت البقاء مع المسيح على التزام الحق » .

ولا شك ان الاطار الفني الرائع الذي صب فيه دستوفسكي هذه المعاني ، هو الذي اسكر سلامه موسى بخمر لم تبارح فمه . لان تلك الغلواء في التعبير عن الحب ، احتلت منه مكان القلب . فأمثال دستوفسكي وتولستوي « يحبهم » سلامه بقلبه . لانه يحس بالراحة نحوهم ، والاطمئنان في احضانهم ، وكانهم قوة روحية تبعث الى الرضا . حتى انه يصف تولستوي بالابوة .

ومنذ ان صدر كتاب « هؤلاء علموني » وانا في نقطة خلاف هامة مع استاذي سلامه موسى . انه يؤكد ان من الممكن للانسان ان يحب الكاتب بقلبه دون عقله كما فعل هو نحو تولستوي ودستوفسكي . ولكني ارى ان الكاتب او المفكر او الفنان ، ليس من الاشياء التي تحب او تكره بالقلب دون العقل . ذلك اننا لا نحب الكاتب لذاته ، وانما للتأثير او التغير الذي يحدثه في الجماهير القارئة . فنحن حين نحب ، انما نحب هذا التأثير او التغير .

والسؤال الان : ما هو التأثير او التغير الذي احده دستوفسكي او تولستوي حتى يكونا جديرين بحبنا ؟

لقد اجاب سلامه موسى على هذا السؤال في نهاية مقاله الاخير في جريدة الاخبار . كان يعلق على فيلم « الاخوة كرامازوف » قائلا ان دستوفسكي لم يعد يذرة صالحة لتربتنا المكافحة . لقد اصبح « سما » وعندنا المصل الواقي في الانسان الكبير جوركي . ولعله اراد بذلك التنويه ان يعتذر عن ترجمته لجزء من « الجريمة والعقاب » عام ١٩١٢ ، رغم ان الرواية وظروفنا التاريخية في ذلك الوقت ، ما كانا يصنعان ضررا على اجيالنا .

وقد كانت الاحداث وحدها - في رأي سلامه - هي السبب في ابقاء دستوفسكي على ايمانه المطلق بالمسيحية . فقد حدث ان القى عليه القبض لاشتراكه في مؤامرة لترجمة احد كتاب اوربا . وفي لحظة الاعداء ، اقبل رسول القيصر يحمل « العفو » . وكانت هذه المفاجأة سببا في تقوية ايمانه المسيحي .

والمنة التي يجدها سلامه في مرافقة دستوفسكي هو انه لم يقف عند اعتاب المسيحية جامدا ، بل اخذ منها الجانب المضيء البناء ، وهو دعوة للتضحية والحب ، وجعل منها رسالته لاسعاد البشر . ولا يختلف التقديس العلمي للانسان عنه عند الكاتب الروسي ، الا في الوسيلة فقط . فهو يرى الانسان « افضل المخلوقات » والعلم يرى انه « افضل الموجودات » وكلاهما يسيران في طريق واحد . وان اتبع احدهما

جانب ووالديه من جانب آخر . وهي علاقة في منتهى التعقيد تناسب طرديا مع تقدم المجتمع الانساني على مر العصور ، وتتصل بتطور الملكية الفردية مع الانظمة الاجتماعية المختلفة .

ولكن هذا الاختلاف الواضح بين المعلم وتلميذه ، لم يدع سلامه الا ان يقول ص ١١١ « كان فرويد بمثابة الخمرة ، التي بعثت عندي سلسلة من الافكار ، لا تنته حلقاتها ، وهذا هو اكبر فضل في تربيتي »!



وكما توصل فرويد الى ان سلوكنا الحاضر يرتد الى ايام طفولتنا الاولى ، فقد اهتمنى سلامه موسى الى الرجل الذي يعيد حضارتنا الانسانية الحالية الى جنر واحد هو : مصر .

هذا الرجل هو اليوت سميث ، وكان مدرسا بطب القصر العيني ، ولكن هوايته شغلته عن مهنته ، فاحترف هذه الهواية بشغف وهي « تاريخ مصر » .

ونقطة البداية عند سميث ان الإنسان البدائي في مصر ، كان يجمع الطعام من الغابات . ثم رأى ، على توالي السنين ، ان فيضان النيل يعم الوادي في مواعيد منتظمة كل عام ، حتى اذا انحسر انطلقت النباتات تكسو الارض بخضرتها ، فكان يجد فيها طعاما . وفهم بالتكرار ان اثناء اصل الحياة ، وهو اصل النبات ، فشرع يحتجز الماء هنا ويطلقه هناك ، ويضبط الري . وهذه هي الهندسة الاولى .

وظهر عندئذ التخصص : مهندسون ينظمون الري ، وفلكيون يعينون اوقات الزراعة . وهؤلاء لا يزرعون ، وانما يعيشون بالفائض من المحصول وهنا تنشأ الحكومة يرأسها مهندس اوفلكي تنسب اليه صفات الالهية لانه يدري ما يديره غيره من الهندسة والفلك كانه ملك او اله ، فاذا مات صار قبره معبدا . وهذا هو الدين البدائي .

والارض الزراعية تحتاج الى حدود تحترم من الجيران ، والى محكمة تعاقب المتدي ، والى صناع اللالات الزراعية . ونشأت بذلك الحكومة والتجارة والفنون .. والحضارة الاولى .

والمرحلة الثانية من بحث سميث هي كيفية انتقال هذه الحضارة من مصر الى بقية انحاء العالم . ويقول سميث ان الوسيلة في ذلك هي البعثات المصرية التي كانت تسافر بقصد التجارة الى البلاد الاخرى . ويستشهد في هذا الصدد بما عثر عليه في بلاد كثيرة من آثار وكلمات ومعابد واعداد مصرية .

وعلاقة الحب التي نشأت بين سلامه واليوت سميث ، ليست بدافع وطني كما يظن الباحث لاول وهلة ، وانما بدافع بشري . والخط الرئيسي الذي ينتظم دراسة سميث هو ان الوسط البيئي - وليس الذكاء الخارق ! - هو ما هدى المصريين الى الزراعة فالاستقرار فالحضارة الاولى . ولولا وجود نهر النيل بمواعيده الثابتة ، ما كان للمصريين هذا السبق . يقول سلامه (ص ١٢٠) « لم اكن انبعث في دراساتي للفراغة بباعث وطني . ولم يكن لفجوات تختمس ورمسيس وامثالهما ذلك الواقع الذي يحسه اولئك الذين يستخدمون التاريخ لاشغال الوطنية . بل كذلك لم تكن دراسة التاريخ عندي محض السرد للقصص والتراجم والحروب . وطني انه لو لم يكن وراء دراسة الفراغة هذه النظرية القائلة بانتشار الثقافة من يؤدة الضريح المصري لما كان التفاني يزيد على المطالعة العابرة . ولكن هذه النظرية كانت تحوي العديد من المركبات الثقافية التي جذبتني

وحملتني على التفتن لاصول الحضارة ، ومن هنا اغراؤها القوي لاستمرار الدراسة . واحساسي نحو الفراغة لذلك هو احساس بشري وليس وطنيا » .

وفي مكان اخر (ص ١٢١) يؤكد ان « الحضارة عالمية ، فد اسهم كل شعب بنصيب فيها ، واذا كان للمصريين فضل الاختراع للكتابة ، فان للهنود فضل الاختراع للارقام ... ولولا الاغريق ما كان يمكن للمنطق ان يتغلب على العقيدة . ولولا الامبراطورية الرومانية ثم الامبراطورية العربية لما تمارت الشعوب هذا التعارف الذي انتهى بوجودنا البشري الحاضر » .

ماذا علموه ؟

راودني هذا السؤال كثيرا ، وانا اقرأ كتاب « هؤلاء علموني » : هل هؤلاء فقط هم الذين علموا سلامه موسى ؟ الكتاب نفسه يجيب : لا ! اذا ان مئات الكتب التي انكب عليها خلال حياته العريضة ، تحمل اكثر من المئتين عشر اسما الذين احواهم هذا الكتاب .

وقد نمل ذلك بان اصحاب الاسماء التي وردت في هذا الكتاب ، هم الجنود الاصلية لثقافة الرجل ، وهم البذور والخدائر الاولى التي رسمت الخط الرئيسي الاول في خريطة حياته . وهذا صحيح . وان كان هناك اسمان ، لا اشك مطلقا في ان صاحبيهما كانا على صلة عميقة جدا بسلامه موسى ... وانهش كثيرا حين اجد لا يذكرهما في فصلين مستقلين ، رغم انه ردد ذكر احدهما مرتين ، وفي عدة صفحات ، بينما وصف الثاني بانه احدث انقلابا في تفكيره كله .

هذان الاثنان هما : تولستوي وماركس . والاول كان له الاثر الكبير في حياة المؤلف وتفكيره ، حتى انه يلقبه بـ « بابا تولستوي » . وقد اوغل في ذلك لدرجة انه كان يتحدث عن غاندي مثلا ، وحين يذكر مزرعته التي اسمها « مزرعة تولستوي » ينسب غاندي تماما ، ويبدأ في الحديث عن تولستوي ، وهو حديث غرامي ملتهب بين رجلين يقدرسان الشهوات الذهنية تقديسا كاملا . وكذلك الحال ، حين تحدث عن هنري ثورو ، فقد استطرده - بطريقة مفرية - في الحديث عن تولستوي وحياته وماساته . فلماذا لم يرحنا ، ويكتب فصلا مستقلا عن تولستوي .. لقد صدر هذا الكتاب عام ١٩٥١ ، ويبدو ان سلامه موسى تنبه الى هذه النقطة ، فقد استطرده - بطريقة مفرية - في الحديث عن تولستوي وحياته والاثار الذهنية التي اوحى بها اليه .

والعلم . الثاني الذي نسيه المؤلف هو كارل ماركس . والتاثير الضخم الذي حفره هذا الفكر في قلب سلامه وعقله لا سبيل الى انكاره . حتى انه في احد كتبه (١) يصفه بانه اعظم فيلسوف في الوجود . ثم هو يقول في غمرة حماسه لنظرية سميث « ولا يعدل هذه القبضة عندي ، سوى اهتدائي الى نظرية التفسير الاقتصادي للتاريخ » (٢) فنحن نرى ان هذه النظرية الاخيرة ، هي الميزان الحساس ، الذي يزن به سلامه كل ما التقى به فيما بعد - وفيما سبق - من نظريات . والنظرية في حياة كاتبنا لا تكتمل الا بالتطبيق ، وهنا نلمس مدى الخطورة الموضوعية لنظرية ماركس من حيث اقترانها عند سلامه بالتطبيق العملي . ورغم ذلك ، فلم يفرده عنه للاسف ، الا عدة صفحات نستمد من خلالها الاثر السيكلوجي

(١) سلامه موسى - برناردشو - ص ٧٨

(٢) هؤلاء علموني ص ١١٥

لعمري على هذا العلم . ولكنه عاد في كتابه « تربية سلامة موسى » (١) فاعتذر عن موقفه هذا بأن الفترة التاريخية التي نشر فيها كتابه ما كانت تسمح له بتلك الصفحات .

★

وقد كان المؤلف صادقا كل الصادق ، إذ اقتصر بعد ذلك على من ذكر من معلميه . فجميع مؤلفاته تثبت أنه شغل بهم وبحياتهم وبنظرياتهم طول العمر . فهو يكتب مثلا كتابا كاملا عن « برناردشو » ، وكتابا عن نظرية اليوت سميث ، وكتابا عن « العقل الباطن » كما قدمه فرويد وتلامذته، وكتابا عن « غاندي والحركة الغاندية » وترجم جزءا من رواية دستوفسكي « الجريمة والعقاب » .

ومن هنا نستدل على أن صلة الفكر المصري بإسائذته هي علاقة حب وصداقة ووفاء بدوم العمر . وإن آثارهم السيكولوجية التحمت بدمه واكسبته دلالات حية .

ومن تلك الدلالات الإيجابية نظريته التطورية للموجودات ، التي راغقت سلامة موسى منذ تلقاها من داروين إلى أن تهذبت النظرية نفسها فيما بعد على أيدي من تلاه من الفلاسفة والعلماء . وقد اكسبت هذه النظرية سلامة موسى روحه العلمي في التعرف على الأشياء ، واسلوبه التجريبي في علاج مشكلاتنا .

وبواسطة جوته استطاع أن يكون موسوعي الثقافة ، كما يتضح من مؤلفاته العديدة في الأدب والفلسفة والتاريخ والاجتماع وعلم النفس والبيولوجيا .

ومن ويلز اتخذ من الصحافة مثبرا حيا لتبسيط افكاره وعرضها في وضوح .

وكان سلامة في كل ذلك إيجابيا حين افاد من اسائذته نظرياتهم وفلسفاتهم . حتى أنه نقل عن هافلوك اليس طريقته التجريبية ، فدعا إلى أن يكون الغاء البقاء في مصر — بالتجربة العملية ، أي أن نلفيه في مكان ما ونبقى عليه في مكان آخر ، ونسجل مدى ما سيحققه الانفاء من نجاح أو فشل .

★

ومع أن سلامة موسى قد رافق الجاحظ وابن رشد وابن سينا وغيرهم من المفكرين العرب العظماء إلا أنه لم يذكر واحدا منهم ضمن الذين علموه . والحق أن الرجل — كما قلت — لم يذكر سوى الذين خططوا منهج حياته الفكرية . ولم يكن من بين هؤلاء مفكر عربي . لأن ظروف النشأة الاجتماعية لسلامة موسى لم تتيح له فرصة اللقاء المباشر مع الفكر العربي . فقد سافر إلى أوروبا في سن مبكرة (١٦ عاما) ، وما أن عاد إلى مصر حتى كانت حياته قد اخضبتها تيارات الفكر الأوروبي الحديث التي لا تلتقي مع تيارات الفكر العربي القديم .

★

ملاحظة هامة نخرج بها من القراءة السطحية للكتاب ، هي ما نلمسه من « خروج عن الموضوع » في بعض فصوله . والحقيقة الثانية ، هي أنه ليس خروجا عن الموضوع ، بقدر ما « هو خروج عن الشكل » . فقد تستوجب الفكرة التي يعالجها الاستشهاد بمثل معين أو ذكر حادثة معينة . فليس هناك من خطأ حين يذكر هذا المثل أو تلك الحادثة ، ولكن الخطأ هو أن يستطرده في تسجيل الملابس والظروف التي صاحبت المثل أو الحادثة . ويتضح هذا بشكل ظاهر في حديثه عن ثورو وغاندي ،

(١) طبعة ١٩٥٨ — نشر الخانجي بالقاهرة .

وجنوحه إلى حديث طويل مسهب عن صديقه تولستوي . حقا أنه من الواجب أن يذكر تولستوي عند الكلام عن غاندي ، فقد تأثر هذا الأخير به حتى أنه أنشأ مزرعة باسمه ، ونفس الموقف — أو يشبهه — بالنسبة لثورو ، ولكن هذا لا يوجب الاستطراد الدلاني ، الذي لا يزيد القضية تأكيداً .

والملاحظة الهامة الثانية للقراءة العميقة — هذه المرة — للكتاب ، تقرنا على أن ملامح معينة ، أو سمات محدودة ، تكاد تكون طابعا عاما مشتركا بين كل الذين علموا سلامة موسى رغم القرون المهيبة الشاسعة التي قد تفرق بينهم .

وأولى هذه السمات هي « الثورة » فقد كانوا جميعا ثائرين ، سواء في ميدان العلم أو الأدب أو الفلسفة أو التاريخ أو النفس أو الدين . والسمة الثانية هي « الحرية » التي مارسها جميعهم في حياتهم وتفكيرهم ، وما انتهوا إليه من فلسفات .

وأخيرا « العلم » الذي طبع كل افكارهم ، بالبساطة والوضوح والتجربة العملية ، وتصفية الحقائق من المعارف .

والملاحظة الثالثة ، أن الكتاب الأول الذي كان يوليه سلامة عنايته الكبرى ، حين يتعرف على أحد المؤلفين هو « حياة » هذا المؤلف . والمعبرة الفلسفية التي استخلصها من خبراته وتجاربته في الحياة . وهذا هو التفسير الواقعي لحياة سلامة موسى ، التي تكاد تكون سيمفونية رائعة من الفلسفة والعلم والحب . لقد تعلم الرجل أن يعيا حياته . وهذه هي الدعوة التي تنعكس في كل مؤلفاته : أن نعيش حياتنا .

غالي شكري

القاهرة

صدر حديثا

المحيط في ادب البكالوريا

الجزء الاول

للاستاذ جبران مسعود

نصوص — أسئلة — دراسات — موضوعات —

مصادر ومراجع

اول كتاب من نوعه

توزيع مكتبة انطون

تهدم الا بقايا شيباب
تنظرها الذكريات العذاب
يمر به الفلاس مر الكرام
قضى العمر يعنى وراء الكفاف
يهب الى الكدح قبل الهزار
تسلح في عيشه بالرجاء
لقد لقنته الحياة فصولا
ترامت السي فلخصتها
بني دع الناس في غيهم
تعاليت عنهم فلا يطعموا
فتحت فؤادي وبابي لهم
زرعت الكواكب في افقهم
يحمون حول الحطام الرخيص
ولا خير في المال ان لم يكن
لئن قلم العلم اظفاريهم
يسوط القوي جبين الضعيف
جدور حضارتهم في الجحيم
فلا تأخذنيك اوهامهم
هي النفس مصدر كل نعيم
اذا المرء لم تروده نهلة

★—————★

العزيزجي !

★—————★

تقلص ظلك يا عزيزجي
تحداك « فرد » بشيطانسه
واغرى النفوس فاعرض عنك
سقى الله عهدا - طوته الليالي -
زمان تخطر في الطرقات
على شفتيك هزيع الحياة
تحوم عليك عيون الشيوخ
ويعدو وراءك سرب الصفار
كانك كف الريح السخي

عزاءك يا صاحبي في البلاء
اذا ضاع فضلك عند العباد

موزعة في بقايا اهاب
وتلفحها عاديات العذاب
ويغمزه من وراء السحاب
له الله من حاله بالسراب!
ويأوي الى البيت بعد الغراب
فما احتاج يوما لظفر وناب
فكان القناعة فصل الخطاب
سطورا تضم معاني الكتاب :
لقد شردوا عن طريق الصواب
بخبزي ، ولا يحلموا بشرابي
فلم يعبأوا بفؤادي وبابسي
فظلت عيونهم في التراب
ذبابا يطنطن خلف ذباب
لتخفيف دمع وغوث مصاب
فما برحوا في طباع الذئاب
وياكل خبز اليتيم المرابي
وان سبحوا في مراقي العقاب
ولا تنخدع بالحلى والثياب
كما هي مصدر كل عذاب
يموت على ظمأ في العباب

ومالت بك الشمس نحو الغياب
فسد السهول وغطى الروابي
كانك تحمل سوط العقاب
ندى الحواشي وضيء الرحاب
قريب الفؤاد عزيز الجنباب
وفي ناظريك بريق الشباب
وتحبو اليك قلوب الشباب
يحثهم وطر في الركاب
ترش الرجاء بغير حساب

فقد يسكن البحر بعد اضطراب
فما ضاع اجرك يوم الحساب

زكي فنصل

الارجنتين

كنهر ميتة ..

قصته بقلم زكريا قاسم

يتهدل على صدره فبدا كمشنوق بلا جبل .
وفي يوم من الأيام عشقت فتاة عيناهما واسعتان زرقتهما
صافية اجمل من اروع سماء ، ولم احاول في اية مرة ان
ابوح لها بحبي الذي يعذبني ويشقيني انما اكتفيت بمراقبتها
بوله حيثما كانت .. حتى اقبل ليل تعري في ظلمته
مخلوقان من اغلالهما الخفية ، وتلايلات اشواق السجينة .
واشتريت في احدي الاماسي ديوان شعر بنقود لا
املك سواها .. قرات قصائده الحزينة بحزن :

ماذا يشتهي الإنسان
ان ملك الذي قد يشتهي
ماذا ؟ .. سوى القمر
الذي قد يشتهي

وضحكت ببلادة اذ ان قمري مات جائعا في ليال تلجها
تساقط بفزارة .

وقلت لصديق ينظم قصائد كثيرة يابى نشرها :

— انا احب نجمة لا اشتهي نوالها .

قال : انت مجنون .. النهر مازال حيا .. لسن تجف
مياهه .

قلت : انا احب نجمة ميتة .

قال : انت مجنون .

قلت : انا رماد .. سندباد جثة مشنوقة في فراغ
المدن .

فقهقه بخشونة وقال : انا عنكبوت .

فقلت باسى : انا غبار .

وانهر الغبار بكثرة ، وتحجر في شكل حيوان جائع
منذ قرون .. اطلق عواءه في اللحظة التي دخلت فيها
جميلة بنت جيراننا الى منزلنا لزبارة امي المريضة التي
لاتفارق سريرها منذ موت صبية نضرة كسنبلة خضراء .
وتمطى الحيوان الجائع بفرح عندما خرجت جميلة من
غرفة امي لتملأ كوبا من الماء طلبته امي ، فسارعت الى
تطويق خصرها بساعدي ، وتمسك فمي بشفتها الطرية
فاخذت تفمغم في الفترات التي كنت اسمح لشفتيها
ببعض الحرية :

— اتحبني اتحبني اتحبني ؟

قلت : انا احب نجمة زرقاء .

قالت : لاتمزح .. النجوم بعيدة جدا .. اتحبني
اتحبني ؟

واغرورقت عينا صديق كنت اجلس في غرفته المضاء

انتحبت امي طويلا ، فالذباب اكل عيني صبية نضرة
كسنبلة خضراء ، وقال لي ابي بصوت فظ :

— طارق .. كف عن الابتسام .

والتفت الى انثى يؤسها سرق دموعها ، وقال :

— ان تبوحي باسم عشيقك ؟

وفي اليوم التالي مد الموت اذرعه الباردة ، واحتضن
بشهوة جسد صبية نضرة كسنبلة خضراء ، وهمس
ابي بلهجة حزينة :

— طارق .. كف عن الابتسام .. انت في مقبرة .

وحينما عدت من المقبرة ، وقفت في غرفتي ، وتطلعت
في مرآة صغيرة مثبتة على الحائط بوضع مائل ، وتساءلت
بصوت هازيء :

— هل هذا وجهي ؟

فوجهي الوديع الذي تلتصق عليه ابتسامة دائمة ..
يشير فحصب ابي ، فيصرخ بحق : ليتك لم تولد .

فاقهقه مقتبضا .. وقهقه ابي مثلي عندما اخبره بعض
اصحابي بانه قبض علي ليلامع مومس في بستان .. وقال :

— انا سعيد جدا .. ولدي طارق لم يعد طفلا .. انه
الان رجل .. اتمنى ان يصبح كالنهر .

النهر .. انه صديقي الذي احبه وارهبه في آن واحد ..
فهديره متحد بانفاسي .. انه يسلبني طمأنينتي فتبدو لي
المدينة بمخلوقاتها .. كتلة كبيرة متموجة باللحم والحجر ..
اطل عليها من اعلى بشبق شبيه بالنهر الذي يكره التجمد في
شكل معين .

واستندت بمرفقي على السور الحجري ، وثبتت
نظراتي على مياه النهر المتدفقة تحت ضياء نهار ناعم ..
وقلت لنفسني :

— ليتني نهر .. ليتني بلا اب .. بلا مدينة .. بلا اسم .
اسمي طارق .. ولدت في ليلة مخنوقة بصيف حار ..
مدنيتي عتيقة جدا كنهرها الذي يخترقها من اولها
الى اخرها .

وفي يوم ما قديم احرق رجل اسمه طارق السفن التي
حملت جيوشه الى شاطئ ارض غريبة ، ثم خاطب رجاله
قائلا بصوت مشدود الى طمأنينة مفزعة :

— البحر وراءكم .. والعدو امامكم .

ولا بد ان احد الجنود قد سمر آنذاك عينيه الهلعتين
على سحب الدخان المتصاعدة من الحريق ، ثم ترك رأسه

فتركته ووقفت في زاوية الشارع ، وأخلت أساموم
امراة أزمعت شراء جسدها لمدة ساعة واحدة فقط .
قالت : ثماني عشر ليرات . . سئدفعها سلفا .
قلت : هذا ثمن باهظ . . انا فقير .
قالت : انا فقيرة مثلك .
قلت : لن ادفع سوى خمس ليرات .
قالت : عمري عشرون سنة فقط . . جسدي أجمل
بكثير من وجهي .
قلت : انا فقير . . عيناك ليستا زرقاوين . . لن ادفع
سوى خمس ليرات .
قالت وهي تبتسم بخيخ :
— ماذا ستفعل ان رفضت الذهاب معك .
فقلت : سأرجع الى غرفتي ، سأوصد بابها . . وأتأمل
صورة امراة جميلة عارية .
وهطلت الامطار فوقي ، فبكيت بذل ، وقلت بصوت
مرتفع :
— اذار نيسان مايس . . الثلاثاء الاربعاء الخميس . .
متى يتوقف هذا الركض المجنون ؟ . . سأدفن يوما فبي
حفرة ، ويظل النهر حيا . . ليتني نهر .
واحزننتني للغاية رغبة حارة في البكاء شاهدها متلاثلة
في عيني فتاة وجهها وديع كوجه اختي التي اكل ذباب
المدينة عينيها الزرقاوين اللتين هما أروع من أجمل سماء .
اختي اختي يانجمتي المسكينة . . لاحد سيبيكي لاجلي .
وعلت الى غرفتي ، وتمددت على فراشي ، وطفقت
احملق بذهول في بياض السقف الباهت . . الجف فاف
موسيقاه الخشنة تقتحم كل المخايء السرية . . واصوات
النهر التي ترافقني على الدوام تضحل بغثة . . هل مات
النهر ؟ . . اختي الصبية كسنبلة خضراء . . لماذا ماتت . .
كانت تحبني . . هل كانت تحبني ؟ . . لماذا ماتت . . لماذا ؟ .
طارق لا تحرق سفنك . . لا تحرقها . . حقدي يتسلق
صخور جبال موحشة . . الجراد يطفئ افراح الحقول . .
النهر ميت . . تمزق القناع . . هذا وجهي . . انا ذباب
المدينة . . النهر ذو الشفاه القائمة التي غمر لهيبها الشرس
صبية نائمة جسدها اوقظ شمسا مجنونة ركضت في
شوارع الدم المرتعد . القمر المتسمر خلف زجاج النافذة
. شاهد وحده جسدي ينزلق في الجسد
الآخر . . همست الصبية بلعمر : لا ضحكت بارتباك
ضحكت بنشوة . قبلتني بخجل لم يعش سوى لحظات .
انها تحبني . بكت بمرارة . انها تكرهني . هل قبلتني ؟ .
ماتت لانها تكرهني . . لماذا ماتت ؟ . . اوه . . السفن . .
انها تحترق . . انا خائف . . سموت عيني الهلعتين على
سحب الدخان المتصاعدة من الحريق ، ثم تركت رأسي
يتهدل على صدري بلبل وانكسار . . ليس لك ابة مدينة
ياطارق . . احترقت السفن . .

زكريا تاهري

دمشق

« من جمعية الانباء العرب »

بنور اصفر خفيف . . انصت لعزفه الاسود على الكمان . .
وقال :
— انا وحيد رغم حب زوجتي واطفالي . واصدقائي وكل
المسرات . . للنهر يغني رغم كآبتي . . كآبة انسان جريح
بعزلته الابدية .
فقلت بصوت اجوف :
— لا زوجة لي . . لا اطفال . . لا اصدقاء . . لا مسرات
. . الارض مقبرة كبيرة . . النهر قد يكون تعسا مثلي .
وتطلعت برعب الى صرصار اسود يدب على البلاطات
البيضاء ، وصرخ صديقي .
— لا تقتله . . ربما كان انسانا وحيدا . .
وارتعد جسدي حينما سمعت صوت انسحاق الصرصار
تحت حذائي . . اوه كنت الها قاسيا كذباب مدينتي
الذي اكل عيني زرقاوين . . نبعي حنان تملكهما صبية
نضرة كسنبلة خضراء . وفي شارع مقفر . . استولى علي
خجل ممتزج بخوف عندما بصق في وجهي مخلوق
لا اعرفه . . ربما كان ابله . . وقال :
— اقتلني ان شئت . . ألم تغضب ؟
قلت : اتحب الموت الى هذه الدرجة ؟
قال : الموت شهى كأمراة ناضجة .
قلت : انتحر اذن .
قال : انا لا املك ثمن خنجر يميني . . ليتني املك
ثمن خنجر .
فأعطيته نقودا تكفي لتحقيق امنيته ، ثم سأله بينما
انا افكر بصبية نضرة كسنبلة خضراء . . انتحرت خلسة
ذات ليلة :
— هل ستنتحر الان ؟
فضحك بمرح وقال : سأشتري الان خبزا ولحما وقنينة
نبيذ . . الحياة جميلة .

« مجموعات » الاداب

لدى الإدارة عدد محدود من مجموعات السنوات
الست الاولى من الاداب تباع كما يلي

مجلة

مجموعة السنة الاولى	٩٥ ل.ل	١٠٠ ل.ل
» » الثانية	» ٢٥	» ٣٠
» » الثالثة	» ٢٥	» ٣٠
» » الرابعة	» ٢٥	» ٣٠
» » الخامسة	» ٢٥	» ٣٠
» » السادسة	» ٢٥	» ٣٠



موسى سدي

رسائل الى مناضلك ... بقلم عثمان سدي

رجعت من عندهم هائجا ترغي وتزيد ، ولا زلت اذكر عبارتك في ذلك اليوم ، تلك العبارة الخالدة لانها من نوع يتحدى الفناء . قلت : « لقد اكل الرجل الظالم حق المرأة ، لانها قاصرة » و « قاصرة » تعني فسي لغتنا صفة ينعت بها كل من لا يقوى على المطالبة بحقه لانه يجهل هذا الحق . نعم ان العطف على الضعفاء ، والدفاع عن قضيتهم ، سليقة عند ذوي القلوب الكبيرة ، وسجية عند اصحاب النفوس النقية ، وارهاس عند من كانت طبيعته خالية من التعقيد كطيبتك .

كنت قبل غرة نوفمبر تدافع عن قضية المظلومين كافراد ، وتشن معارك على الظلم ، والجشع اللذين تفشيا في مجتمع قريتنا الصغير ، فصرت فيما بعد تدافع عن قضية الملايين المظلومة وتشن حرك الشعواء على الخيانة والسلبية في كل الجزائر . كان الجوعان في قريتنا - قبل الثورة - يهرع اليك في لياليه الاشد سوادا ، فتتقاسم معه لقمة العيش والعريان يترك بابك في امسياته الباردة فتتزع « برنوسك » من رقبته وتمده له في شقة وتائر ، والضعيف يستنجد بك من جشع المبتزين او من ظلم المعتدين ، فتتجده وتجلب عداوة الاقوياء من اجله . ولم يكن لك مال زائد عن الحاجة لان امثالك يستحيل عليهم كثر المال ، ولم تكن لك سلطة تعتمد عليها لان السلطات في بلادنا مع القوي وعلى الضعيف مع اصحاب البطون المتنفخة وضد الجياع والعراة . كان سلاحك الوحيد شجاعة في القلب ، وجراة في الطباع ، وحدة في الارادة ، واستمالة في سبيل مامنت بانه حق . يتوج كل هذا ايمان بالله صادق ، وذكاء في العقل وقاد .

وقامت الثورة : ثورة شعبنا العظيم ، ثورة جبالنا العالية ، وغاباتنا الكثيفة ، وصخورنا الجبارة ، وحملت لي الانباء انضمامك الى صفوفها في ايامها الاولى ، التي لا يعرف قساوتها سوى الرعيل الاول من ثورتنا . ولم اتعجب لان « موسى اليوم » هو نفسه « موسى الامس » ، لم يتغير فيه سوى الطابع الذي اسبغته ثورتنا على حركاته ، والفعالية التي منحها لاعماله ، والتحديد الذي حصرت فيه اهدافه ، والمستوى الشعبي الواسع الذي رفعت اليه تفكيره .

وعرفك قادة الثورة منذ اللحظة الاولى لانضمامك ، فاناطوا بعقبت مسؤولية الاتصال بالشعب ، واقناعه بمبادئ الثورة ، وهي مسؤولية شاقة لان الفلاحين - مصدر قوة الثورة ، ورأس مالها - نجح الاستثمار في تجميدهم وعزلهم عن حقل النضال منذ عشرات السنين ، وبقيت قواهم مجهولة لدى الزعماء السياسيين ، فلم يعيروهم اهمية تذكر ، فاقناعهم ليس بالمهمة السهلة ، وتربيتهم الثورية ليست بالامر الهين ، ولهذا كانت مهمة المرشد السياسي لا يقوى على تأديتها سوى من امتزجت عنده

تلقيت اليوم كتابا من شقيقك حمل لي خبر وفاتك . ومن قبله باشهر تلقيت كتابا منك تخبرني فيه بوقوع شقيقي اسيرا بين ايدي الفرنسيين ، وانت تعرف معنى « اسير بين ايدي الفرنسيين » انه : « سلسلة من الموتات تحت سياط الجلاد الفرنسي » .

واخرجت صورتك من محفظتي ووضعتها امامي بهدوء ، وانا احاذر ان تفسد الحركة علي خلوتي مع روحك التي تحسست حاجة نفسي ، اليها اثر اطلاق علي نيا وفاتك ، وليس احب للانسان ، من لحظة هادئة يقتطعها من سير الزمن الصاحب ، ليخلو فيها الى نفسه يستخرج منها مكنوناتها بعد ان يشغلها بقداح « الحزن » ، ليس احب للانسان من لحظة يغتسلها من انسياب الحياة الا ليقتصر منها هذا الذي يسمونه « الحزن » ويستخرج منه خلاصة الجانب المشرق في شخصية الانسان : نبل الاحساس ، وصفاء التعاطف ، وسمو صلة الرحم .

واستعرضت حياتك فوجدتها مليئة بعناصر تنعت في مجموعها تمثالا جديرا بعنوان « البطولة » . اذكر تلك السنة التي ودع فيها والدي الحياة ، وخلف وراءه اطفالا صفارا ، لا حامي يحميهم من صروف الدهر القاسية سوى جناحي ارملة ، وجناحا الانثى ضعيفان لا يقويان على دفع برد طبيعة بلادنا القاسية ، عن فراخ صفار لم يعل الريش بعد اجنحتهم الصغيرة . اذكر كيف تقدمت انت وتحملت مسؤولية رعاية شؤون اطفال صفار ، بينما تخلى عنهم من هو اقرب اليهم منك . كنت تدير زراعة حقولهم الضيقة النحيلة ، وتجمع محصولها البسيط وتحافظ على مواشيم القليلة . كنت ساهر العين لئلا يضطر ابناء « صديقك وابن عمك » الى مد يدهم للغير .

اذكر كيف دفعك حب الفلاح الطبيعي للعلم الى ارجاعي الى المدرسة على مسؤوليتك بعد ان اضطررتني ظروف قاسية الى مقاطعتها ، وكيف انهيت المرحلة الثانوية والجامعية بفضلك . لن انسى ابدا تلك السنة التي شحت فيها ارضنا عن المطاء ، وما اكثر السنوات التي تشج فيها ارض الجزائريين عليهم ، وكيف بعث فرسك ، والفرس عندنا عزيز لانه لا يتخذ للتسلية والترفيه ، وانما لتخطيط تربة حقول صعبة ، واستخراج مايسد رمق الجياع . نعم لن انسى كيف بعث هذا الفرس ، وتقدمت الي ووجهك تملوه سحابة من جدك ، وعلى انفك ظلال من انثفك ، وعينك : عينا فلاح جزائري الحبيبة تتدفق منهما اشعة من نبل وكرم ، وابداء ، قلت : « لا اريد ان تنقطع هذه السنة عن دراستك ، ولن تتوقف في الطريق مادام لي عرق واحد ينفس » .

لن انسى يوم ان رجعت من اجتماع « جماعة التراب » ناقما علي الظلم ، لقد تقدمت بمشروع انصاف المرأة في بوادينا ، واعطائها حقها في الميراث ، بعد ان اغتصبه منها نظام المشاركة البغيضة ، لقد

الشجاعة بالحكمة ، وأوتي هذه القوة الذاتية في الحصول على ثقة الجماهير ، وتحملت أنت هذه المسؤولية ورحمت تعمل في صمت وسرية فتجمع التبرعات ، وتسهل عملية تهريب الأسلحة ، وتزير الدوريات . ولم يطمئن الفرنسيون اليك .. وكيف يطمنون وهم يعرفون عنك الكثير !! ألم يكن معدتك جامعا لكل العناصر العالحة لفرس نبت الثورة ؟ ألم تحمل شخصيتك منذ زمن طويل تبشير ثورتنا ؟ ولم يياس الفرنسيون في القبض عليك « متلبسا بالجريمة ... » وحاصروا منزلك وهاجموه فمثروا بزواوية من زوايا غرفة على حربة نسيها جندي من دورية تابعة لجيشنا ، كانت قبل لحظة وجيزة تتناول على مائدتك غداها ... واقتادوك الى السجن ، واستطعت ان تنتصر بفصل ذكائك وحسن تخلصك ورباطة جاشك ، فاطلقوا سراحك بعد ساعات .

وتأكد المستعمرون انك عنصر خطير في الثورة ، وعندما يسوا من القبض عليك « متلبسا بالجرم ... » قرروا القبض عليك ، وهاجموا منزلك ؟ الا ان الشعب الذي احبك وتربى ثوريا على يد امثالك لم يهن عليه ان تقع بين ايدي اعداء الثورة لانك من النوع الذي يصعب تفويضه فتسلل فلاح من فلاحينا الذين حوت نفوسهم العربية انبسل مشاعر عرفتها البشرية ، تسلل تحت جناح الظلام مجتازا احوالا اية احوال ليخبرك بقدوم الفرقة الفرنسية ، وليقول لك في بساطته الواعية: « اهرب ياسي موسى لان في فقدانك خسارة للثورة » وخرجت من منزلك ممتطيا فرسك : رفيق العمر ، تحت طلقات البنادق التي احوالت الليل نهارا ونجا فرسك المخلص الامين ، وسلمك الى امك الحنون : ام كل ثائر ، الى غاباتنا ... ثم سقط صريع رصاصة فرنسية يتلوى من ألم لا يدري مصدره اهو فراقك الابدي؟ ام دقات الردى القوية على ضلوعه؟! واختفيت في الغابة ، ورجع المستعمرون يجررون اذيال الخيبة ، دون ان يجرؤوا على دفع اقدامهم نحو الجبال لانهم يخشون جبروتها ، ومنذ ذلك الوقت صرت لاتصل بالشعب ، بجماهير الفلاحين الا تحت جناح الظلام ... كنت تستظل بسقف فصار سقفا سماء الجزائر الصافية الا من غيوم ندر خيرا ، كنت اذا اعياى الاجهاد جسمك النحيل تستند ظهرك الى جدار ، فصرت اذا اعياك السير تستند الى ساق شجرة من صنوبرنا العملاق . كنت لاتشاهد في محيط القرية الا ما يذكرك بالظلم : اطفالا جيعا اغتنام الجوع فناموا مستسلمين بعد ان نصبت الدموع من اجفانهم ، شيخ عجوز يرى ابنه الوحيد ينخر السل عظامه وهو عاجز عن دفع الاذى عنه ، حقول طفت فيها الصخور والحصى على التراب والسماذ ، وزحفت الرمال عليها فصارت تجود في كل عشر سنوات مرة . كنت حينما التفت شاهدت الظلم فخرجت الى الجبال باحثا عن معبودك الحق ، بل مفتصبا له من بين يدي اعدائه ، كذلك الفيلسوف السذي ضال بالجلالات الضيقة ، ويأس من المثور على الحقيقة ، بين صفحات كتبه المتأكلة ، فطواها وسلمها لفوهات صناديق سوداء احكم اغلاقها ، ثم ذهب فسكن سهولا حيث تمتد الافاق الى اللانهاية ، وتمتزج الحقيقة بكل منظر من مناظرها ذات الاطراف المترامية ، وبكل مجموعة من جماهيرها ذات الامزجة المختلفة .

ومرت الاشهر تطارد الاشهر ، ووجد فيك رفاقك ما كانوا سمعوه عنك : عطا على الاهالي متطرفا ، وشفقة على الشعب صادقة . واصطدمت ببعض شبابنا المتحمس للجيش ، هم ينظرون الى الشعب من خلال الجيش ، وانت تنظر للجيش من خلال الشعب ، هم يدفهم احيانا اندفاع الشباب فيرفضون على الشعب واجبات ثقيلة ، وانت تتصدى لهم ،

وترفع صوتك ذا النبرات العادة في وجوههم ، مطالبا بعدم الاسراف في تصريف قوى الشعب ، وانتصرت ونزل شبابنا على راك . وزاد تعلق الشعب بك ، لان الشعوب هكذا .. تمنح حبها الخالد الى كل من دافع عن قضايها باخلاص ، وتعطف على كل من عطف عليها . الافراد تدفع مقابل كل حسنة حسنة مثلها ، اما الشعوب فقوتها من قوة الله ولهذا تقابل الحسنة بعشرات امثالها .

لكن هذه الجبال التي وقتك من كيد الفرنسيين ، هذه الجبال التي صنعت من صنوبرها وبلوطها ، وعراعرها وصخورها ، ووديانها واخاديدها دروعا مثينة لابطل جيشنا ، هذه الجبال هي التي نفذ بردها الى عظامك ، تمكن داؤها من مفاصلك اثناء عواصف ثلجية ، وموجات من الصقيع ، افقدتها وعيها ، وقد تخنق الام الحنون انفاس رضيعها في نزوة من نزواتها اللاواعية ، او سنة من نومها العميق ، ثم تظل الدهر كله تكيه بدموع يتفتت لراها الجمد الاصم .

ونصحك الطبيب بالثول الى الراحة فتحدت نصيخته لان مثلك لاتسفيه الراحة وانما تجمده ، والتجميد وقعه قياس على من تكمن في اعماقه نفس نائرة .. وانطلقت الى الجبال تذيب على صخورها ماتبقى من جسمك ، وارسلت الي صورتك فذهلت لمرأى وجهك الشاحب الذي تنطق كل سمة من سماته باقتراب نهايتك ، حملت القلم وكتبت لك كتابا انصحك فيه بالراحة ، وبعد ان وضعته في ظرفه ، وكتبت عليه عنوانك ، حانت مني التفاتة الى عينيك فوجدت في بريقهما تعبيراً ماعدهته فيهما من قبل ، وتمعن في هذا التعبير فوجدته كله سخرية من كتابي ونصيحتي ، وتصيب المرق من جبيني ، وثار شعر رأسي ، واقتشر بدني ، لان حدي اكتشف في هذا التعبير سرا لا يملكه سوى الشهداء ، فمزقت كتابي وحطمت قلبي ...

كنت تشبه الغتيلة التي نفذ وقودها ، الا انها استمرت في الاشعاع حتى احترقت ، وانظفا شعاعها في رماها .. الا ان الفرق بينك وبينها ، هو انك لم تنطفئ ...

ثم احسست بالآلم يعود الى عظامك حادا في هذه المرة ، فانحدرت الى السهول للاستشفاء وودعك المجاهدون وهم ياملون عوتك ، لانك عودتهم الانتصار على كل شيء ... الا انت فانك ادركت انك لن تعود سوى ذكرى تشرق على الملايين بالحب والنبل والسلام : السلام العربي .. كنت وددت لو دفنوا جثمانك تحت شجرة صنوبر استظل مجاهد باغصانها ، او فوق قمة من تلك القمم التي كثيرا ما ارسلت بحمها على اعداء الحق ، ووقت بصخورها صدور انصار الحرية . الا انك ابيت الا ان تتحدى حتى في نهايتك ، وكان تحديك في هذه المرة عميقا عمق اخلاصك ، وساميا سمو جهادك ، يهفو اليه كل قلب ينفس بالعروبة الصادقة ، وتحنو عليه كل نفس تشرق بالخير لامة العرب ... وخط قبرك في قرية تونسية ، وودع جثمانك الى مرقده الاخير خليط من عرب تونس والجزائر ، الا يعتبر هذا تحديا للحدود ... الحدود التي لازالت تشوه جمال وطننا الكبير ؟ .. نعم انه اقبل تحد ان تجاهد في جبال الجزائر ، ويخط قبرك في سهول تونس ...

اما انا فعندما اعود سوف اضع على قبرك باقة من زهور برية ، اجمعها من سفوح جبال لبنان ، ومن اطراف الفوطه ، ومن قمم هضاب الرصل ومن اعماق وادي العرب ، ومن حفافي النيل ، ومن بين صخور الجبل الاخضر ، ومن وديان الاطلس ، اخلاصا لذكراك وتقديرا لجهادك ...

عثمان سعدي

الكويت



خمر الشباب

بقلم صباح محيي الدين

منشورات دار الحياة - بيروت

لم يكن صباح محيي الدين يبدو على حقيقة في اقصاه القصيرة، فبعض تلك الافاصيص كنا نظنه مجرد الانارة والترفيه بتشديده فيه على الناحية الجنسية، كما انه في البعض الاخر كان يبدو، هو ذاته، مزعزع الاتجاه، لا فكرة له او مبدا، بل هي كتابة لاجل التنفيس الادبي فقط، اما وهو يطل علينا بكتابه «خمر الشباب» فلم يبق بوسعنا تجاهل هدفه الادبي. حيث هو يتضح ويتساند ببعض ما انتجه سابقا ليكون اتجاها معينا، يظهر سافرا لكل من يستشره.

ليس الاستاذ صباح اول من سلك هذا الاتجاه التحرري في أدبنا القصصي، فكثيرون غيره قد سلكوه قبله، ولكنهم لم يوغلوا فيه ايقاله هو، ولم يبد التعمد له كما بدا عنده هو. ومن تعمده وتشديده على ناحية ادبية معينة نستنتج انه يدعو الى مبدا اجتماعي تحرري بين الجنسين. وهذا ما يشير المربين والباحثين الاجتماعيين اكثر مما يشير ناقد الفن والقصة. فهو يزيل، دفعة واحدة، كل الحدود والحواجز التي تحول دون اشباع الرغبات الجنسية. ومثل هذه الاراء الجريئة تبدو غريبة عن مجتمعنا المحافظ، لا رابطة لها بواقعنا ولا نتيجة تربوية منها، حيث هي بدلا من ان تحمل في ثناياها عرضا لتطبيقها في مجتمعنا الشرقي تحمل دعوة غير مباشرة لفتياننا لزيارة لندن وباريس لتجربة حريتهم هنالك. ولعل هذا الخطا هو الخطا الاساسي الذي يتركه اغلب الذين يعالجون مشكلة حرية اختلاط الجنسين عندنا، حيث هم لا يتدنون بالتصعيد من الدرجة الدنيا التي تعيش فيها من هذه الناحية، بل هم يكتبون، ويبالغون احيانا، مبتدئين من الدرجة البعيدة التي تعيش عليها المجتمعات المتحررة. وهكذا تبقى دعوتهم خيالية لابتعادها عن واقع مجتمعنا.

ان كتاب «خمر الشباب» من الناحية الفنية، اذا صح لنا ان نسميه قصة، يدعو لان نعيد النظر بالتعريف الفني لقومات القصة، اذ هو يقارب ان يكون تسجيلا لاحاديث عادية متنوعة مع وصف لحياة شاين من حلب في لندن. وهذه الاحاديث تتنوع في شتى الشؤون، حتى السياسية منها، ولكن بالطبع تطلب عليها جميعا الوقائع والذكريات الجنسية، حيث هي التي يقصد المؤلف ابرازها. ان القصة مليئة بالحشو، حتى ان

الشعر والشعراء في السودان

بقلم احمد ابو سعد

دار المعارف - لبنان

صفحة ١٨٩

مختارات من الشعر السوداني المعاصر جمعها صاحب «قصائد دافئة» وصدرها بدراسة حول نشأة الشعر العربي وتطوره في السودان كما ضم اليها تراجم نقدية موجزة لابرز شعراء السودان المعاصرين. الدراسة رغم ايجازها تلم بجميع نواحي الموضوع وترينا تطور الشعر في السودان كانه نسخة عن تطوره في مراكز النهضة الادبية الحديثة، الا ما كان من اختلاف يعود الى تأثير الزمن والبيئة.

يحرص الكاتب على انتهاز الاسلوب العلمي الذي يجتنب المسائرة والانحياز، فنراه مع حرصه على بث الروح القومية من خلال الدراسة التي قام بها لا يغفل عن مهاجمة الرجعيين الذين يريدون حبس الناس في الثقافة العربية دون غيرها والوقوف في وجه الاستفادة من تجارب الشعراء المحدثين في العالم «ص ١١» واذا تحدث عن الحركة الرومنطيقية التي سادت بين ١٩٢٨ و ١٩٤٨ ينوه بفضل هذه الحركة ويسط العوامل التي ادت الى انحلالاتها. ثم يحاول ان يعلل الاسراف الرومنطقي عند بعض شعراء السودان بتمكن الروح الصوفية في هذا القطر وشدة الضغط من جانب البيئة المحافظة.

وفي كلامه على الاتجاه الواقعي الاخير لا يهمل الاشارة الى عيوب هذا الاتجاه بعد التوسع في وصف محاسنه ومميزاته. لكنه يجد لهذه الميول علرا بقوله ان المذهب لا يزال في بدء الطريق.

اما المختارات التي تؤلف معظم الكتاب فيظهر فيها حسن التوزيع والتنوع. وكنت اود ان ارى لها فهرسا مفصلا في اخر الكتاب. وننتهي من مراجعة الكتاب وفي اعتقادنا ان بلادا تبلغ مساحتها مليونين ونصفا من الكيلو مترات وسكانها اكثر من ثمانية ملايين، لا بد ان تكون مهية للقيام بدور خطير في هذا الجزء من العالم، سواء في الحقل الادبي ام في غيره.

روؤى غريب

ملاحظة: صدر مؤخرا لصاحب الكتاب حلقة ثانية من تاريخ الشعر العربي المعاصر، موضوعها «الشعر العربي في العراق» دراسة ومختارات في ٢٤٥ صفحة من القطع الكبير. ولنا كلمة اخرى في هذه الحلقة.

شيئا ، فيشتمز فؤاد لمثل هذا السؤال ويعتبره أهانة لقدساته . ووليد الفوضوي بسلوكه لم يكن سلوكه هبة طبيعية ، فهو فقير معدم يعيش على حساب فؤاد ووالد فؤاد فيضطر لان يتخذ لنفسه فلسفة خاصة ، يعظبها ابن عمه ، فنسمعه يقول له حين يطلب منه التفكير معه بمصيره مع حبيبته السويسرائية « مادي » بعد ان خطب له والده ابنة عمه في حلب : « ان مشكلتك هي مشكلة يواجهها الانسان في كل لحظة من حياته . . . مشكلة الاختيار والالتزام . . . انت الذي تحمل عبء اختيارك وعواقبه . مشكلتك لا مخرج لها فيما يخصك الا بالعودة الى حلب حيث اصولك وجذورك . »

اما مادي وهي البطة في القصة فقد احبت فؤاد واخلصت له واتفق مزاجها الرومانطيقي مع مزاجه ، ولكن الى جانب طبيعتها الشاعرية تلك لم يجردا المؤلف من الرغبات الجسدية ، بل هي تعرض عطاءها على فؤاد لانمن ما تمتلكه الفتاة ، وكانها تطلب عطاء منه ، ولكن هذا يرفض ويبقي حبها مثالا من مثله . وذلك قبل سفرها الى سويسرا ، حيث راحت تكتب له رسائل الحب والاخلاص من هناك .

ان القصة فيها سرد شيق ، لتنوع مواضعها ولكنها ليست بذات قيمة توجيهية في مجتمعنا فنامل من المؤلف ان ينطلق بدعوته التحررية من واقع مجتمعنا في مؤلفاته القادمة ، لا ان يعرض لنا الحرية المطلقة في المجتمعات الاخرى ، ومثل لفته السهلة ومقدرته التحليلية الغدة كفيفة بان تؤدي للدمج العربي احسن رسالة تحررية ادبية .

يوسف حوراني

صدر حديثا

نزار قباني شاعرًا وإنسانًا

دراسة وافية بقلم

محيي الدين صبحي

التمن ليرتان لبنانيان

دار الآداب — بيروت

حشر بمعنى الاحاديث يعيق سرد الوقائع الرئيسية ويجعله يتتبع سرد قصة جديدة ضمن القصة التي يقرأها . تلك الموضوعات ذاتها التي تربك السرد لا تخلو من فائدة غالبا ، وهذا ما يحملنا على الظن بانها لم توجد عفوا ، رغم ما بها من اخلال فني ، فهي تكون في الاغلب قرائن للتحقق من سلوك شخصيات القصة والموامل التي أثرت بهم وتوجههم منذ طفولتهم ووعيهم الجنسي . ومثل هذا الاسلوب الطريف لا يخلو من متعة لاقاريه المثقف الباحث عن التحليل النفسي .

لم تتضمن القصة مفاجآت او حوادث غريبة مثيرة ، كتلك التي يبحث عنها القصاصون لجعلها مواد لقصصهم ، فهي قصة قد تحدث لأي شاب يخرج من بيئة فيها الحواجز الشديدة بين الجنسين الى مجتمع مفتوح لتلقي حوادث الجنسين ، على السواء ، برحابة صدر وتسامح . ومن خلال الحوادث نستشف رغبة المؤلف وتعده لاعطاء الجسد حقه من الاهتمام . فذكريات الطفولة الجنسية التي يمر بها المراهقون ويخجلون في شبابهم من تذكرها ، حتى لانفسهم ، نجدها عنده ، بكل صراحة حجة كبرى لادانة الداعين الى الخطر والرقابة على الجنس ، ومن ذلك قصة الفتيين زنديك الرومي في حلب .

ان الفتاة في مجتمع صباح محيي الدين ليست مجرد وسيلة للقضاء شهوة الرجل واشباع رغباته الجسدية ، بل هي انسان مثله تحسس وترغب وتشتهي وتطلب بجرأة ، ولا تتسامح مع من لا يقدر لها تلك الرغبات ويغيبها حقها من المتعة .

وفق المؤلف بتحديد معالم شخصيات قصته ، فاعطى كلا منهم طابعا خاصا به . فهو منذ الصفحة الاولى يعطي فؤاد صفة الشرقي الاصيل، المتحرق للقاء المرأة والسابق دوما الى مكان الموعد يعد التواني ويتربص كل انسان يمر امام ناظره لعله يلقي فيه فتاة معده . اما هذا المتحرق فلم يكن يستطيع اطفاءه ، فوو بحكم تربيته الشرقية المتحفظة يرفع المرأة الى مكان التقديس في نفسه . فيتغابي عن رغباتها الجسدية وذلك ما يجعلها تنفر منه ، فتتركه ثلاث فتيات في غضون عشرة ايام فقط . لم يكن مجرد شذوذ هذا السلوك عند فؤاد كفرد ، بل يؤكد لنا المؤلف ، في سياق القصة بان الشرق المحافظ باكملة يقف وراء فؤاد . هو يحاول التخلص من ذاته تلك ، ولكنه لا يستطيع ، فنراه يلاحق الفتاة « ماري » في اول الامر لاجل المتعة ولكي يستطيع مضاهاة ابن عمه « وليد » في مفارقاته . ولكنه ما ان يعاشر الفتاة بعض الوقت حتى ينطلق معها كمادته في حب مثالي روحي . ولا عجب من ذلك ، فهو ابن الحاج مصطفى من حلب ، نشأ في بيت محافظ ، فتى مدبلا ، لم يتعود الاعتماد على نفسه وخالق رأي لذاته ، فكانت تربيته وآراؤه صفحة صادقة عن تربية وآراء والده الشرقي الذي اختار له المدرسة واختار له الجامعة واختار له النهاب الى لندن واختار له خطيبته في حلب ايضا ، كما ورد في الفصل الحادي عشر على لسان ابن عمه وليد ، وهو يذكره بضرورة قيادة نفسه بنفسه .

اما وليد ابن عم فؤاد ، فهو يسخر منه دائما ويسخر من تصرفاته تجاه الفتيات ، وهو يذكره برغبتهم الجسدية ، ويطبق آراءه لذاته ، فيعاصر من تحضر منهم ، دون اعتبار لغير الجنس فيهن ، فيذكره ويناقشه فؤاد في تصرفاته تلك ، مرددا بان التفاهم بين الرجل والمرأة هو اكثر من تفاهم حيوانية الاثنين . ولكن وليد يتمتع في سخريته ، ويكرر اسئلته لابن عمه عدة مرات ، فيما اذا كان نال من مادي فتاة احلامه

الحزن في كل مكان ..

قصته بقلم ياسين رفاعية

دون ان يتلقى منها جوابا .. وكان احيانا يحدثني عن افكاره الخاصة حول الحياة التي يحيها والامنيات التي يتمناها ان تتحقق .

لكنه منذ رحلت « سميرة » عني ، لم يكن يخاطبني الا لاما ، كنت المحه يرمقني بنظرات رثاء ، وكان يحاول احيانا ان يتفوه بكلمة ، الا انه كان يستنكف في اخر لحظة .

من عادي ان اتناول الغداء عند احمد ، فله دكان صغيرة بجانب العمل يبيع فيها الحمص والفلول اضافة الى بعض الفواكه . وكان مدياعه يملا ذلك المكان ضجيجا ، ومنذ رحلت سميرة ، لم اعد اسمع لمدياعه صوتا ، ولجود ان اخرج من باب العمل - ذبل الرحيل - كان يتراعى الى اذني صوته وهو يصرخ على بضاعته كانه يضحك ، لكنني هذه الايام لم اعد اسمعه كما كان من ذي قبل . ان تفسيرا كاملا طرأ على احمد . قال لي اليوم :

- انت تفارق نفسك بالحزن يا اخي ، حرام عليك ، لقد نصب وجهك ، عيناك غارتان ، لكذلك هرمت .. اعرفك تهزا بالمصائب . فما بالك هذه الايام . لا بد لنا جميعا من الرحيل في يوم ما .

عندما لم احب احمد بكلمة واحدة ، عاد الى صمته ، كان يتحرك ببطء عكس عادته التي الفتها .

خرجت من عنده ، كانت السماء متلبدة ، سحبها سوداء قاتمة ، كقلبي القاتم ، وكانت الريح تمصف بأشجار البستان المقابل للمعمل . وتحدث اصواتا كمويل اللثاب .

كانت نفس الريح تصرخ ، عندما ودعت سميرة الوداع الاخير ، لم تهطل من عيني دموع ، كان وجهها باردا كالصقيع ، وئمة ابتسامة باهتة مرسمة على شفثيها ، ويدها مضمومتان على صدرها . وقد كان ظاهرا للعيان مكان الحبس الذهبي الذي البسها اياه خطيبها زياد منذ اشهر ثلاثة . لقد خلموه من اصبعها حتى بدا مكانه اصفر باهتا . ومع ذلك ، لم ابك ، لكنني احسست ان حزما من الشولة كانت تدمي قلبي وتمزق احساسي ..

ابعدوني عنها ، كان صوت امي يتراعى الي وهي تصرخ منتحبة : لاتركيني ياسميرة .. يا حبيبي .. لاتركيني .. انك لم تنتهي من الكثرة بعد .. لقد وعدتني ان تهديها لي .. لا .. لا تأخذوها .. لكنهم اخذوها ، حملوها الى النش ثم اغلقوه عليها .. ومع ذلك .. فقد عجبت لم لم ابك .. لكنني كنت ذلك الوقت احس انني اسقط في قاع عميق .. عميق لا قرار له .. اسقط .. واسقط .. وجسدي يتقلب فيه كالقبار .

عندما خرجت من المعمل ، لفحني هواء الشارع البارد ، وراح يلسع وجهي المنهك بقسوة .. احسست انني لاسطيع ان اسرع الخطوات فقد كنت متعبا للغاية . قنمائي اجرهما على الارض . وراسي متدل على

ايقظتني امي في الصباح « ١ » ، بوجهها الكئيب وبصوت كانه منبث من الاعمال : - قم ... الوقت متأخر .. !

لم اكن نائما في تلك اللحظة ، كنت مفعم بالعينين ، تحملني افكاري الى اشياء حلوة عرفتها في الماضي ، وعشتها بكل دقاتها ، لكنها انهارت فجأة حالما رحلت سميرة عني .

عندما شرعت بارتداء ملابس ، كنت ارمق امي غفلة بين الفينة والفينة ، كانت قريبة جدا من المدفاة التي كان لهيبها يتصاعد ازرق باهتا وكانت عينها تحديقان ببلادة في كنزة صوفية صفراء لم تتم بعد ، معلقة في الشج ، ولقد تجمعت فيها الدموع ، ولم تنهمر .. حاولت منذ ايام ، ان اخفي هذه الكنزة عن انظار امي ، وما ان فعلت حتى راحت تطلب مني اعادتها باصرار وفناد :

- يجب ان تعيدها الى مكانها .. ثم اياك ان تغفيها عني مرة ثانية . اذا اردت ان اكون راضية عنك .. فاعدها الى مكانها .. اعنتها ، لم اكن اري في ان تغضب . وراحت بعد ذلك تحاول ابرازها بعناية ، كانها مخلوق حي يحتاج لرعايتها . لما انتهيت من ارتداء ملابس ، قالت دون ان تحاول الالتفات نحوي : - تاكمل ... ؟ - لست جائعا

ولم تفه امي بكلمة اخرى ، بل تكومت اكثر في الزاوية ناحية المدفاة دون ان تحول نظريها عن الكنزة . خرجت من البيت ، وبني وهن عظيم .. حتى الهواد الذي استنشقه يكاد يكون ثقيل على رلتي .

ها هو الاسبوع الثاني يمر على رحيل سميرة ، احسست بدمعها بالهرم ، وكانني اصبحت شيخا منا ثققلت اعباء الاعوام المرهقة ، ولقد شمرت تلك الايام التي مضت بذلك الفراغ الرهيب الذي احده هذا الرحيل في ذاتي من الداخل .

عندما وصلت المعمل ، كان الضجيج يعلو كل مكان ، لكن اعماقي كانت تسبح في سكون رهيب . قال زميلي :

- صباح الخير .. صباح الخيرات .. قلت ذلك وانا افكر بهذه اللهجة التي بسدا قهيلي يحدثني بها « صباح الخير » كانه يود ان يعزيني بنطقه هذه الكلمات حزينة من اعماقه ..

كان من عادته ان يثرثر كثيرا بجانب ، وكان يستشيرني في مشاكله المعقدة . ويسكتني رسائله الغرامية التي كان يرسلها الى فتاته

من مجموعة قصص تصدر عن «دار الوعي العربي» قريبا بهذا العنوان

صغيري بحسرة .

ينهمر المطر الآن بغزارة ، يفسل رأسي ووجهي ، والشوارع يكاد يكون مطفرا ، نمة رياح شديدة تصفع خيوط المياه المتساقطة ، فتبدو مائلة ..
واب امضي في اتجاه معين دون اسراع .

عندما حملوا نعش سميرة ، كان المطر ينهمر كهذا اليوم .. لم يكن يرافقتني في تشييعها الا بعض الاقارب وزملائي في العمل واحمد ، وخطيب سميرة زياد .. كان يكي بحرفة ويجهش بصوت مسموع .. وفسي المقبرة ، تناول العفار جسد « سميرة » الفضي بوجه جامد ووسدها تراب الحفرة .. ثم اغلقها . ورفع رأسه متجها الى كومة التراب وراح ينهال به عليها .. كمثال من الجص يتحرك بألية ..

اذكر هذه الاشياء جيدا ، فلقب كان سكونا ، وت الرهيب يتمسك بجسد سميرة .

ومنذ اسبوع ، رايت زياد ، كانت تتدلى من ياقة قميصه المنشأة عقدة سوداء ، ولقد كان الحزن واضحا في عينيه ، حاول ان يتكلم ، لكن سرعان ما اندفعت الدموع على وجنتيه ... فاخثقت صوته : وودعني دون ان ينغوه بكلمة ..

كان حزينا حقا . لم أله . فسميرة حلوة ، عينها صاليتان ربيح . بلون الحقول الخضراء ، شعرها بلون الفجر في ليلة صافية الاديم . طويلة ، لكنها نحيلة بعض الشيء . عنقها مرمر ابيض . كان زياد يحبها . كنت الاحظ ذلك ، منذ كان يزورها ومعه امه . لاشك ان سميرة احبته ايضا .. فقد كانت تبدو سميدة جدا كلما زارها . وفي يوم ما . وعدتني ان تستغل لي كنزة حالما تنتهي من كنزة امها .. فلم يسبق لزفافها اكثر من ثلاثة اشهر .

لكن سميرة رحلت الآن ، انشعب ذلك الموت اللعين اظافره بأعوامها التسعة عشر .. واختصر حياتها التي كان من الممكن ان تكون سميدة . الطبيب ، لم يمنحها من الزواج ، فضعف قلبها ليس خطرا . ومع ذلك رحلت قبل ان تتزوج وتركت كنزة امها دون ان تتممها . اقتربت الآن من سور المقبرة ، كان الماء قد تسرب من ملابسني حتى جسدي فشمرت بقشعريره هزتي بعنف .

عندما تخطيت باب المقبرة ، لمحت صورة سميرة تبرز من بين القبور بوجهها النحيل وبابتسامتها الباهتة . وشمرت بشيء يشدني اليها . اقتربت من القبر .. فاذا بي وحيدا .. والمقبرة موحشة موحشة . « انا لله انا اليه راجعون » يا الهي . لماذا ترجع اليك سميرة وهي بعد بعمر الورد . وهي بعد لم تنعم بحياتها . هل هذا عدل .. يا الهي ..؟ تذكرت وجه سميرة النضر ، ترى كيف اصبحت حالته الآن ان العينين الحلوتين قد اكلتهما الحشرات ..

لمحت الورد الذي لم يذبل بعد ، وقد زين واجهة القبر . ان امي تاتي اليه كل صباح ومعها باقة ورد .. مسكينة امي . همها منذ رحلت سميرة ان تختار باقة ورد كل يوم لتضعها على قبرها .

كانت المقبرة مفرقة في وحشتها ، وقد بدأ الظلام يتسرب اليها . والمطر ما يزال ينهمر بشدة على القبور . لاشك ان الماء قد تسرب الى جسد سميرة المشوه . يا حبيبتني .. يا سميرة .. يا سميرة .

وتوالت صور الماضي بسرعة على مخيلتي . ان سميرة تملأ اكثر هذه الصور .. اذ ذاك شعرت بالدمع يتدفق من عيني حارا ويختلط بماء المطر الذي يفسل وجنتي .

عم الظلام الكون الآن . شعرت بالخوف والوحشة . فمشيت خارج

المقبرة . كان دمعي يتدفق بغزارة ، سميرة ، كانت لاتحب الوحدة ابدا . انها ستظل وحيدة بعد الآن . حتى الابد .

وصلت البيت ، كانت امي ماتزال مقتعدة الزاوية . بالقرب من المدفاة ، وكانت الى جانبها هذه المرة خالتي وابنتها . القيت تحية المساء ، ثم دخلت غرفتي .

غرفتي صغيرة ، ولقد كانت سميرة تمتني بها كثيرا ، اجلت الطرف قليلا في اشيائي « كتيبي ومنصفتي ومذياعي الصغير .. » كان الفجار يملوها بكثرة . ان احدا ما لم يقترب منها .. منذ رحلت سميرة ..

عندما ضم فراشي جسدي المتعب ، كان المطر يصفق زجاج النافذة بشدة ، اطفأت المصباح الكهربائي . حاولت النوم . الا ان الافكار اجتاحتني . ذات يوم قلت لسميرة : « عما قريب ستذهبن الى بيت زوجك .. فمن سيقتني بي .؟ قالت ضاحكة : سأخطب لك وسأبحث لك عن فتاة حلوة تستطيع ان تمنحك السعادة .. لقد ان لك ان تتزوج ياخي .. فامنا قد كبرت واصبحت عاجزة عن خدمتنا .. ووافقتها على ذلك ..

ياالله .. والان .. من ذا الذي سيبحث لي عن زوجة تمنحني السعادة .. من ذا الذي سيقتني بكتبي واشيائي الاخرى بعد اليوم . سميرة . كانت تحبني . تحب اشيائي كثيرا .. لكنها رحلت وتركتني وحيدا مع ام معطمة .

واحاول النوم . لكن طيف سميرة لا يرحلني .. يخطف الكرى من جفني ..

ياسين رفاعية

دمشق

من « جمعية الادباء العرب »

من منشورات دار الآداب

دواوين الشاعر الكبير نزار قباني

انت لي

سامبا

طفولة نهد

قصائد نزار قباني

في طباعة اتيقة مترفة ستكون زينة لكل مكتبة

القصة

بقلم الدكتور زكي الحاسني

« اوربانتيا » قصيدة مثورة للشاعر نزار قباني ، وحين أقول مثورة فإنما أريد نشرها شكلا لا موضوعا على مصطلح تعابير الفن . وهي في نشرها جاءت شعرا على وحدة موزونة قوامها « مستغفلن فاعلن » أما الموضوع فيموج بصورة فتاة اسيوية يصفها الشاعر وصف تصوير في المقطع الاول بلمحات سراع ترسم انفها وعينيها وشفتيها ، وقد جمع هذه الملاحظات من الارض والزهر .

وفي المقطع الثاني يصفني الشاعر من تلاوين حسنة ونشوة تأمله على فتاته بوجه وروعة فلذا هي من أفاويه الشرق وفاكهته وجواهره حتى تبدو لك خافقة وكأنها راقصة هندية او صينية ، وفي المقطع الثالث يعود الى الصور المحسوسة ، وكم يجلها البعد عن الاغراق . وفي المقطع الرابع يلح الشاعر على الصورة الملموسة في وحدة فنية تبرزفتنة المرأة التي تزين صدرها .

ذلك طبع فن الشعر عند نزار قباني : ألوان زاهية فاقعة متموجة يغس فيها ريشته ليصور لنفسه المرأة التي يعجب بها او يحبها ، وصنفته ابدا شطران شطر يصور ماتراه العين بعد ان يخلع عليه مناظر الوقفات الفنية « البوزات » والثاني انه يسكب من شاعريته الفنية على تلك الصور الحسية ما يضمخها بالتأمل والحب والخيال وما لا يشر مكان الفكر المتعب او ينقل القارئ من رموز فنية سهلة الى المعاني المحظوة . وهو لا يهوى قارئه الا الحس الرهيف ولذات الخيال حتى يمضي معه الى أبراجه البعيدة .

لقد كانت لي ذكريات مع هذا الشاعر الموهوب ، بدأت بمصر حين كنت في جامعتها اتقدم لنيل الدكتوراه في الادب ، فكنت ألقاه في سفارتنا وكان فيها مرموقا فيقرأ لي من شعره بواكير كنت اجدها فوانيح أمل بمطلع شاعر مجدد مبدع طالع من نحو بلادي ليكون ساطعا كما أراه اليوم .

وقد كنت أنكر عليه وعلى أمثاله من الشعراء المحدثين هذه البوادر في شعرنا العربي المين فاخشي ان تفك من قوام القصيدة العربية الجزلة وتدخل الضيم على الاداء في بيانه الاصيل ، ولكني بدأت أغير رأيي حين وجدته وأنداده جديدين في أكثر شعرهم هذا . وهذا لون ظهر في ادبنا المعاصر ولا بد من الاعتراف به .

اما قصيدة « العودة من النبع الحالم » ، فهي التي لم أسمعه من الشاعرة سلمى الخضراء الجيوسي . اسمعني منذ شهر قصيدة اشده روعة وما زالت تدوي في خاطري مشاهدا في نهرها العميق الذي يجرف آمال الانسانية ويغطي اعمارها نحو القبور في رثائها لفتى مسات

قبل الاوان .

قصيدة العودة من النبع الحالم ذات مقاطع متعددة من الشعر اوزون المطلق في قوافيه . وقد سارت فيه مسير الشعر الغربي في تنوع القافية وترادفها ، وهي بين المطلق والقيد بل هي ضرب من الشعر المنشور الجديد الذي لم توضع له قواعد واسس بلاغية حتى الان . وارى ان تجاربه ستطول حتى تستقر على بيان مقبول وانظمة راجحة . وقصيدة الشاعرة الجيوسي من هذا المصنوع الجميل ، وقد بذلت خيالا حتى تمثلت قولها « كنت حلما من حرير » وبحسبي ان اتمثل هذا الحلم لامر بيدي على ملامسه الناعمة بديل حلم من الصوف او القطن . وفي القصيدة احاميس وأغوار أشبه بدوامات حزن على فقيده . والقصيدة في ازدهام ابياتها مضيفة للصورة المقصودة .

مازال معجبا بالقصيدة التي لم تنشر ، والتي سمعتها من الشاعرة عشية انتهائها منها . وترتاح نفسي حين أقرأ لهذه الشاعرة اذ أراها ذات ثقافة جامعية .

واما الشاعر سليمان العيسى فهو احد افذاذ الشعر سمعته في حفول فوجدته شاعرا حماسيا مواتيا لطبيعة العزة القومية التي نحياها ، ومن الشعراء الذين وهبوا الالتقاء الاخاذ الذي يصفني على الشعر اردية مسرحية ، وكنت اقدم اعجابا بصديقي الشاعر عمر ابي ريشة اذ كانت له مثل هذه المواقف حتى رحت أقرأ شعره مجردا منها ، بعيدا عن صخبها وسحرها ، لاروز حقيقة فنه وكذلك كان شأني مع قصيدة الشاعر العيسى التي سماها باسم بنته « بادية » وكم يشوقني شعر الشعراء في اطفالهم ، وكنت قلت الشعر في اطفالي حين تنافست افواههم الصغيرة ، فعدت بالذكري الى هاتيك السوانح الحلوة من مواليدهم ، ورأيت « بادية » زهرة في برعم ريان ، طلعت من بستان شاعر فحملت اليه الامل والهدوء واطياب العيش . فهي تبدو له شعاع شمس ينير الغد وعصفورا يشفق على شباكه . وقصيد الشاعر سليمان العيسى في طائفته التي شغفت قلبه حبا وامسكت بخيط امله ممدودا حتى يراها مثالا في التجليات ، ربحانة شعرية ذات عقب فواح اذكرتني بدوبان فيكتور هوغو الذي سماه « فن تكوين الجد » حيث كان يناجي بنته ولديها الحبيين بمثل هذا الشعر المراح ..

وعهدي قديم بالشاعر « زكي قنصل » فهو من وراء البحار ، كان يرسل شعره مثل خطرات النسيم الذي يتراعى على مهاد الشواطئ . اقه نحة عربية اصيلة ، بل هو قنصل ادبنا في ديار الهجرة الاميركية . وقصيدته « العدالة الجانية » قصة تصويرية لانسانة فقدت حبسها وفقدت معه كل شيء ثم راحت تتردى في الفاقة والهوان حتى اتهمت بالسرقة فلكيت الجزاء ومات طفلا . وهي صورة لها مثل في الحياة ، لكنها وهي في اطار من الشعر تمطيك لوحا فنيا مؤثرا يجعلها من الشعر القصصي ، وطريقة الشاعر زكي قنصل في أكثر شعره ماضية على هذا الاسلوب الاصيل .

القصص

بقلم مطاع صفدي

عندما تصفحت قصص العدد الماضي قارنا لا نقاداً ، قبل ان يصلني تكليف رئيس التحرير بنقدها ، خرجت بتساؤلي القديم ، ولكن على تحرق اعنف واشد : الى متى تظل قصتنا العربية في حدود المحاولة ، بينما تسير مختلف شؤون حياتنا نحو النضج السريع والتبلور الواضح في قوالب حضارتنا الجديدة حسب شخصية انساننا العربي الثوري. ولست هنا في معرض البحث عن جواب لهذا التساؤل ، وقد تركت ذلك لدراسة شاملة لمشكلة القصة الحديثة (١) . بل اكتفي الان ببعض التعليقات ، ولا اقول الانتقادات ، حول قصص العدد الماضي القليلة ، متلمحاً فيها بعض الاشارات التي تصح تطبيقاً عملياً لهذه السمة الشاملة لانتاجنا القصصي ، وهي كون القصة ما زالت محاولة وليست انتاجاً فنياً متكاملًا. ولا بحث اولاً عن النقاط الايجابية التي لابد لكل نقد بناء موضوعي من الكشف عنها ، ساعياً بقدر الامكان الى طرد جميع المقاييس العامة المعروفة عن القصة ، وجميع الاعتبارات الخاصة التي اؤمن بها عن فن القصة ، تاركاً ذاتي لتأثير مباشر من هاتين القصتين اللتين بين يدي اولاً : (العقاب) لثروت سرور ، و (خيوط رفيعة) لعلي بدور .

ان الهدف المعقول لكلا القصتين يمكن ان يوصف بهذه السمة الشائعة في ايامنا وهي « الانسانية » . فالرجل الذي سرقه العربي متاع بيته التواضع الذي يمثل جماع حياته المادية والعاطفية ، يمزقه الحقد والغضب على السارق التمس الى ان يثر عليه بواسطة الشرطة ، ويرى اليه هناك في زنازنته ، شيخاً مهتماً ، يكتشف فيه نموذجاً للفقر والحرمان والمسكنة ، فينتابه الندم خاصة عندما يشاهد الشرطي يقوم بعمله « الرسمي » وهو الغرب البرح والانتهاز المثل لذلك الكائن الذي لم يسرق الا للجوع .

وفي قصة « الخيوط الرفيعة » لعلي بدور نرى الهدف نفسه واضحاً ، بل اكثر من ذلك ، فاننا نرى النموذج الواحد تقريباً لبطل القصة وهو يتحول في عقدة القصة من شخص - الرفية ، الى شخص - المعنى ، ان صح القول . فبطل الخيوط الرفيعة ، شاب يقتله فراغ مدينته ، يطلب متعة الجسد ، لعله ينسى ذلك الفراغ المرضي ، فاذا به يكتشف ، وهو في بيت للدعارة سري ، انه يطلب لا اللذة ، ولكن شيئاً اعلى انسانياً - نظامياً - اذا شئنا ، يكتشف انه يريد « الابوة » عندما ينصرف عن الفتيات الى الطفلة الصغيرة ، المرمية من قبل عاهر محترقة في هذا البيت لتشرف عليها ام الفتاتين ، انه يكتشف أبوته تلقاء كشفه لطفولة البنت المدومة من الاب والام معا .

والهدفان ارتقايتان ، بمعنى ان التجربة الذاتية في كلا القصتين تفني عمقياً ، في الوقت الذي يرتد فيه الفرد من مجرد الاستمرار الخارجي حسب منظومة ردود الفعل العاطفية المكرورة ، الى هزة داخلية تتيح له رؤية جديدة خاصة لحياته بين الناس ، وخلال تناقضات المجتمع . الى هنا وفارء هذا العرض يعتقد بان كلا الكاتبين قد وقعا حقاً

و « يا قلب » قصيدة ايضا ، للشاعر « كمال نشأت » ، لقيته ذات مساء على جسر « البجيزة » الكبير بمصر ، تحت مساء موار بهواء رطب رخي . ثم غيرت سنون مألوفته بعدها الا في شعره وأدبه . انه شاعر مصقول النفس ممزوج الروح بالانسانية الصافية ، وجدت قميدته المتثورة شعراً من وزن مهدج هو « المتدارك » في قواف مطلقه ثم متواترة . وهي خطاب منه للقلب . والقلب هو العالم بما فيه من سجن وحقل وبما ينجو في ارجائه من فرحة ونور وحنين . وقصيدته تشبه ترتيلة مسبحية مقدسة تلمع فيها استعارة الطيب عند قوله في القلب « وتمذب فوق صليب الحب » . والحقيقة في الحب انه ملاق عذابة ، على الدوام ، وصليبه لم يكن له عذاباً وانما كان شوقاً الى الخلاص وهياما .

وقبيل ختام هذه القصائد ، قصيدة للشاعر رشدي صادق سماها « وانا ايضا اهوى النور » جاءت على مثال نثري موزون وكم يجعل به ان يقرأها لي لا ترنم بها ، كما يترنم هو ، فلعل له طريقة في ادائها تخلع عليها رونقاً ورشاقة ، على انها حافلة بالصور الشاعرة والروح النابضة وكان الختام « غيمة الربيع » للشاعر حسن فتح الباب ، وهذه قصيدة سارت على مثال مشابه لمثال الشاعر نشأت ، ذات وحيدة موضوعية معقودة الاستغراب على مرور غيمة الربيع .

وقد مرت في بعض هذه القصائد ألفاظ لاصحة لجمعها في كلام العرب كالزهور والورود .

وبعد فلقد كان العرب يهجون في انسابهم من لا يحمل الدم العربي في اعراقه وكذلك مضوا في تهجين اثارهم الشعرية وعندي ان الشعر الجديد الذي ظهر في ابدنا الحديث تصح فيه هذه الاشباه فاذا لم يندب في عروقه وكلماته بيان العرب الاصيل كان هنما للتراث الادبي الكبير الذي استطاع العرب ان يكاثروا به اداب الامم . واذا صنع هؤلاء الشعراء الجدد ما استطاعوا من افانين القول في الصور والتماثيل والالهام فان عليهم ان يكون ادأؤهم عربياً بينا فما ينبغي ان يدوم بناء الا اذا كان مكيناً ، واما ما زخرف باللون وبطن بالضعف فلا يلبث ان ينهار عند ثورة الاعصار .

وان قرانح هؤلاء الشعراء قد نشطت في الشهر الماضي وهي تمضي نحو صيف لاهب وكم يعيش الشعراء في فصول اربعة من الهامهم قد تخالف ماعرفه الناس منها على الارض وفي وجه السماء . وللشعراء عالمهم ولهم فيه ايامهم ولياليهم ودورات افلاكهم التي تدور باشعارهم الجميلة ومن اطرفها واحلاها ماقرات لهم هذا الشهر في (الاداب) . فرحت اقول :

- لقد اصبحنا على ابواب ادب جديد .

زكي المحاسني

دمشق



(١) ربما سننشر هذا البحث في العدد القادم من الاداب تحت عنوان (أزمة البطل المعاصر)

الينا ضمن اسلوب مفرق في فنيته، لدرجة التطرف، مشحون بتوترات الكاتب الذي يعاني، والمعاني الذي يعي. فمثل هذه القصة اقتطاع مرصوص من حياة شاب يستقبل مؤثرات العالم الخارجي ضمن انفعالات رفضية متازمة لاتعني بقيمتها الموضوعية، بقدر ماتشبت بمعانيها بالنسبة للذات التي تدين المجتمع وتدين نفسها ايضا لانها جزء من هذا المجتمع وان كانت تعيش فقره المظلم، ولكن تتحدها بان ترفضه، بان تحطم معقولته بقاء نزوة لها، ليست بذات قانون ولا هدف.

ان الكاتب لايسرد، ولكنه ينفلت ثانية في واقعية فنية اخرى، ترتفع فوق واقع التجربة الحقيقية التي عاشها مباشرة. ولكن قد يعترض علينا بعض « الحكماء » الذين يغارون على المجتمع ويرمون الكاتب بالسلبية والفوضوية والفوضى الخ... من هذا القاموس المعهود. ويحاولون ان يطبقوا على الفن قيم الوعظ، وعلى التجربة الشخصية تقاليد الجماعة، وعلى النزوة الفردية المصاة بتمردا الذاتي، المفايس السكونية التي تلتصق لا بشخصية معينة، ولكنها باسم المجتمع، او القطيع او « الآخرين » هذا الفل من كل وجه او هوية.

والسؤال الان هل نجح محمد حيدر في هذا النوع من القصص الذي غلب على انتاج الكتاب في جميع انحاء العالم اليوم؟

ان محمد كتب هذه القصة منذ ثلاث سنوات، ولذلك اهتم بقاموس القصة النموذجية عن هذا النوع، اكثر مما اهتم بتطبيقها الفني. فاتي على مصطلحاتها كلها تقريبا « معايشة البغي، والتشرد، والسكر... والضياع والضجر » دون ان يعطي للقارئ مجالا لكي يستنتجها ولا يعقلها مباشرة. ولقد ظل تشرد البطل غاية في ذاته، ولم يستطع ان يكون بؤرة معاناة يتكشف البطل على وهجها عالما من الحرية اعمق، فيه يباشر مجهودا مباشرا لتغيير العالم الذي يرفضه الى العالم الذي تصبو اليه حريته. ولعل الكاتب ان يكون له من نمو تجربته عبر السنين الماضية ما يكفل له ثائية انتاجا اكثر قدرة على التعبير عن نموذج الادبي المأساوي الخاص.

وفي العدد الماضي قصة مترجمة للكاتب الارجنطيني « ادوار دو ماليا » قدم لها المترجم الدكتور سهيل ادريس بقوله « وتبلغ قصة « العقل البشري » ذروة رفيعة من تحليل الشك والقلق الذي يعتري الانسان في كثير من ظروف حياته... ولا شك في ان نهاية القصة التي ترمز الى ضياع الانسان ضياعا سرمديا لا مرفا امان بعده هي من ابرع النهايات في القصص الاجنبية ».

لقد قرأت هذه القصة عدة مرات وظللت على شك مطرد من قابليتها للتطابق مع الاوصاف التي حملها عليها المترجم وخاصة منها مايتعلق بوصف النهاية من كون الانسان ضائعا سرمديا. فلقد شعرت ان الكاتب - وهنا اتفق مع الدكتور سهيل - يملك فعلا « دمسة سرمدية » اليقظة تلتهم كل التفاصيل والاحداث، وكأنما القارئ ازاء فن التشريح النفسي ». ان طبيعة هذا الاسلوب الذي يتبعه الكاتب - وهو محاولة تقصي تفاصيل التغيرات النفسية بدقة كبيرة - هي التي تجعلني اشك ان الكاتب يهدف الى تصوير تجربة وجودية عن الضياع. والحق ان هذا النوع من القصص مفرم بالتقصي العلمي للتغيرات النفسية دون ان يستنطقها معناها، ودون ان يعتمد الفن في خلق اجوائها. انها من مستوى القصص النفسي العلي، وليس ابدا من مستوى القصص الميتافيزيقي الفني. وقد يحسب القارئ احيانا ان كلا المستويين له دلالة واحدة، وهذا هو مصدر الخطا الذي يقع به كثير من النقاد

على فكرتين خصبين لقصتيهما، بل مشروعتين كذلك - وقلما يقنع الفنان على فكرة خصبه فنيا ومشروعة اجتماعيا معا، غير ان القارئ ما ان ينتقل من موقف التجبذ العقلي لفكرة القصة، الى « معاناة » القصة كآثر ادبي، حتى تناله الصدمة. فانه يلقي نفسه في قصة « العقاب »، تلقاء معروض صحفي منق قليلا، وامام حديث مقهى بين صديقين، في قصة « الخيوط الرفيعة ». وذلك لضعف التأثير الفني، من القصتين، ولفقرهما من الايعاء العميق باي بعد اخر، خلف الاوصاف الجزئية، التي نالت السطح من كل شيء دون ان يستطيع الحس الدرامي لدى الكاتب استقطاب اية حركة متفاعلة، يصح ان تسيير في سيرها حوادث القصة، فتقدم لنا ثمة منعطفات تلوح ذروات فسي الاعطاء المكثف، الذي يكمن فيه كل التأثير الحاسم للامعمال العبقريّة. والواقع ان معظم قصصنا العربية تشكو من هذا النقص المطرد. انها لاتستطيع ان تفرق بين « الكلام المادي » و « الاعطاء الفني »، بين السرد ذي الخط البسيط الواحد الممتد الى المآل نهاية، وبين « اللوحة » ذات المستويات المختلفة في الرؤية، ذات الالوان المتشابكة والخطوط غير المباشرة التي تلم بوحدة المنظر من صميميته الفنية، لا الواقعية فحسب.

ولعل هذا النقص يرجع غالبا الى ضحولة الثقافة خاصة منها الاجنبية لدى كتابنا من جهة والى ضعف الحس الدرامي الذي يسير الواقع الانساني في غناه وفي حركيته المتفاعلة ذات الابعاد العميقة المختلفة، من جهة اخرى.

واذا رجعنا الى وقائع هاتين القصتين وجدنا ان « الحادثة » في سياقها تكاد تؤخذ لذاتها، دون ان تشحن بآية لونية فنية، دون ان تحلل الى اية دلالة نفسية او وجودية، دون ان تشير الى اي افق ارجح من حدودها الزمانية المكائنة. كما ان « السياق » يكاد يكون « مكانيا » صرفا. اي انه عبارة عن « تلاحق » الوقائع في منطقية الزمن الخام، دون ان يكون لحس الفنان اي تدخل، دون ان يلقي على هذا التلاحق اي هامش من ظل الانسان الكاتب، الذي ينبغي الا يقف دوره عند حد الالتقاط الخام، بل تبرز شخصيته في انتقاء حادث دون اخر، في زاوية المألجة، في طريقة ابراز لفظة واخفاء اخرى.

وبكلمة واحدة تنقص قصصنا « الفنية ». والفنية لاتعني ابدا الشعاعية العاطفية، او الصناعية اللفظية، او اصطناع الحسنات الخارجة عن شخصية القصة الاصلية. ان الفنية هي الفرق الاساسي بين الحادث كما هو في واقع الحياة وبينه في الاعطاء القصصي، هي الفرق بين الحكاية والقصة. والفنية هذه توهب وتصنع معا. توهب نتيجة الفطرة الفئائية الاسيانية التي يعاينها انسان فنان يختلف عن غيره، مهموم بالاصفاء الى هذه الفئائية، مشوق للتعبير عنها. هذا التعبير هو محل الصناعة، انه يصنع من تلقاء نفسه، عندما يمي الفنان حاجته للتمقق والتجارب مع اثار غيره، وعندما تتوتر هذه الحاجة ضمن تجربة شخصية متشعبة، تتضح فيها لصاحبها مفاصل الواقع الانساني بعلاقاته المتباينة، وما يضم من قيم وابعاد. ويبقى هناك شرط اخير وهو الانتزاع الصادق للقصة من عضوية التجربة الشاملة للكاتب، هو وحده الضامن للتأثير في القراء والناس الآخرين.

واما قصة « العالم المسحور » لمحمد حيدر، فانها تبعد عن كونها تلقينا لبروس انسانية. وهي على الطرف النقيض تقريبا في نوعيتها من القصتين السابقتين. انها صور متفرقة ذات مقطع عمقي ذاتي، تنقل

حتى الجانب منهم ان قصص بروسست عن « البحث عن الازمنة الضائعة » تمثل المقياس الاكمل للقصص النفسي . غير ان شاعريسة بروسست هي التي اتقنت ملحمة تلك من غلبة الوصف العلمي عليها ، التي تعرض لها عادة القصص النفسية . والحق ان كلا من الكاتبين النفسي والوجودي يحفل بالتبع الذاتي المفرق للحوادث النفسية . ولكن بينما يقف الأول عند حد لذة الكشف ، كشف الاونية النفسية لذاتها ، نرى الآخر يخطأها الى لحظة اشمل منها ذات ايقاع اعمق واظلم . ان اللونية النفسية وسيطة ، لا للتجليل ، ولكن لبناء الجو الوجودي العام الذي تسبح خلاله بعض اضاءات الكاتب وهو يترصد الابعاء ، الابعاء بالطلق من وجهة نظر حرية الفرد وهو بتعمق قلقة ليحدد قيمة وجوده وبالتالي يكشف عن معنى الوجود عامة . وبعبارة اوضح ان القصة النفسية تتوجه الى كشف الواقع الداخلي للانسان ملحنا بايقاع فني . بينما تهدف القصة الميتافيزيقية في تقييم هذه الحالات من وجهة توتر القلق ذاته وامكان ان يكشف عن شعور اعمق بانثاق الحرية في العالم لا حسب قيم الخير والشر « الاخلاق » بل حسب قيم الوجود والمعدم « الميتافيزيقا » . والى هذا الشق الثاني من القصص ترجع تجربات الضياع ومشتقاتها . فهل يمكن ان تشف قصة « العقل البشري » عن مثل هذه التجربة حقا ؟

فلتر ذلك في القصة نفسها - وليعدنا القاريء عن الاطالة - : قلت ان ملحمة « البحث عن الازمنة الضائعة » لبروست تصبح عينة رئيسية عن القصص النفسي ، بينما نشاهد مثلا قصة « الفئران » لجان بول سارتر تكاد تشبه القصص النفسي بما تحوي من متابعة شيقة للحالات النفسية للبطل « روكانتان » . الا انه بينما تتبعثر « حالات » بروسست في تداع شارد لهدف له الا التمتع بفرار لحظات الزمن من القدرة على استعادتها ليس على مستوى الواقع ولكن على مستوى التأمل المنعزل الاسيان ، فان « حالات » سارتر تكاد تشتق كلها من بؤرة وعي تقع في بذرة القلق ذاته من اعماق روكانتان وتنمو وتتطور ضمن « حالة » يتسع شمولها هي « الضجر » ... الضجر الذي يكون « ضجرا من .. » في بدايته . وهذه الـ « من » ترتبط بكل قوالب العالم الخارجي الذي لا يصطدم بها البطل من خارج بل يجدها في اعماقه هو بذاته ، ثم يصبح في نهاية التجربة « ضجرا من .. من لا شيء » على الاطلاق . وعندها يتقيا البطل صيغة وجوده الاولى كشيء من اشياء العالم المصنوعة من قبل جميع تصانيف الاخرين . ويبدأ صيغته الجديدة كانسان ، اي كامكانية خالصة كانت تظمها من قبل امكانيات الاخرين المتشعبة « اي التي اصبحت اشياء » تعيق انثاق الذات الخالصة التي تصنعها حريتها الخاصة وهي تنطلق تقريبا من عدم الثقة بكل شيء ، من الصفر ، او بكلمة فلسفية من «العدم» ، ولكنه عدم حي، منه سيتوحد الانسان الحر .

فاين تقع قصة كاتبنا الارجنتيني من هذين النموذجين « بروسست وسارتر » . انه في الواقع يرجع الى النموذج الاول « بروسست » . فهذا الموظف البورجوازي « مونتوفيو » يكاد يكون معقولا في جميع حالاته النفسية . والكاتب يقدمه لنا في بداية القصة ضمن ارتخائه المادي ، كواحد من الارستقراطيين القدامى المتعطلين ، فهو مرتاح - بسبب - كونه قد سدد اقساط المنزل الجميل وضمن ملكيته للانسان الآخر داخل حدوده .. « لزوجته » الجميلة اللبقة ، البارة في استقبال ضيوفه النظاميين في مسرته النظامية كل امسية من ايام الاحد ، والاحتفاء

بهم .. وهنا يبرع الكاتب في تصويره حقا لاشكال هذه الراحة الارتخائية ولصداها في نفس زوجته ، غير « المرتاحة » ، تماما .. ! ويمهد الكاتب للشق الثاني من القصة ، شق الاضطراب والقلق في نفس مونتوفيو ، بان يشير الى بذرة الفموس ، التي ستنمو الى عقدة القصة كلها ، وهي اعتكاف الزوجة بعد كل اسية استقبال في غرفتها وراء باب غرفتها « الموصد تماما » .

ولكن راحة الزوج لاتسمح له بان يعبر هذه الظاهرة تنبهاها ، ولا يقدرها حق قدرها ، و ذلك انسجاما تماما مع شخصيته الاولى ، التي لا يقلقها شيء غير معقول في وجودها هي او وجود العالم الخارجي طالما انها تمارس تعادله الاولى من مقتنيات ملكيتها من الاشياء والنسياس « الضيوف المعجبون والزوجة الجميلة المتمردة بلقاء » .

درجة الاضطراب الاول تقع في هذا المستنقع من الوجود المخثر «المرتاح» عندما لا يقنع مونتوفيو بلذة الفخر بممتلكاته امام اصدقائه الريبين ، بل يسعى لدعوة رجل غني يشحنه بزرقه غرور جديدة . وهنا تلقاء ارادة تملك اقوى واعقد ، يبدأ خوف مونتوفيو على ضياع مملكته وعلى عرشها الزوجة الجميلة . وتظل براعة الكاتب تشغل انتباه القاريء وتدفعه من شوق الى آخر ، كالاسلوب المثير في الروايات البوليسية ، بان تلقي على القصة جوا من الفموس والتحفظ لمعرفة نتيجة تحريرات البطل عن الخيانة المزعومة التي اخذ يتوهمها في علاقة زوجته بالزائر الفني الطاريء . ويتابع الكاتب من جهة اضاء الحركة على سير قصته ، وفذية الشوق لدى القاريء ، بصبر لا ينفد ، وبأناة كبيرة تكاد تلم به بجميع دقائق التفريات النفسية التي تعترم في نفس البطل الحائر ، القلق (من) صدق حدسه . ولا بد في هذه المناسبة من ان نسجل هذه الملاحظة : ان البطل في هذه المرحلة (مرحلة الاضطراب والشك) يكاد يفقد خصوصيته ، باعتباره هذا الفرد وليس احدا سواه ، وتضعف براعة الكاتب حتى يتضح لنا تماما انه قد اصبح يتحدث عن نموذج نفسي هو الرجل الحائر الضيور على زوجته - وهذا اكبر مزلق للقصة النفسية عابدة - ان مونتوفيو هذا الانسان ذا الصفات كذا وكذا في مكان معين وزمان معين يختفي ليحل محله النموذج النفسي المجرد الذي ينطبق على اي انسان في مثل هذا الوضع النفسي .

واما النهاية ، فانها بارعة حقا من حيث فن الحكمة القصصية .. انها مفاجأة ، اشبه بمفاجأة الافلام الاميركية .. توقع في النفس لذة الدهشة . ولكن لا تفسح ابدا مجالا للتأويل . انها مصبوبة كلها ضمن حوادنها المحدودة تماما ، ولا ثمة منفذ لاي رمز وجودي او ميتافيزيقي . فاشارة الاستفهام ذات وقع فني في النفس ، تحدث هزة نشوة . فلقد انتقل شك البطل من زوجته الى شكه في قدرته على انجاز حكم عقلي نهائي وتلك اشارة الى فقدان البطل لتوازنه الداخلي . وتلك نهاية مرضية ، اكثر منها ميتافيزيقية . حتى ان القلق الذي كان يخدمنا به الكاتب ان هو الا مجرد خوف له لبرراته ، انه خوف على حالة الراحة من التبدد . والخوف قد يؤدي الى القلق ، ولكنه لا يتحد به . وذلك هو مستوى الانفعال النفسي الذي يفتقر عن مستوى الاشكال الميتافيزيقي ، اذ يمهد للكشف عن القلق المطلق وبالتالي لظهور الحرية الحقيقية .

مطاع صفندي

مناقشات

الشعر العربي ودعاة التجديد

بقلم : اسماعيل عنده

ان يعالج بروح الابداع والتجديد ، ولكن لا ابداع ولا تجديد الا بتبديل «هيكلة» وتعريفه من حلته التي ولدت معه كحاسة أذلية ، واذ ذاك يشفى المريض ويعود للحياة غيره في الامس ، وحتى لو رآه ذووه فاستنكروه واستنكروا هذا الثوب «التجديد» ، فهم حينئذ اهل لا يهدفون «الى تحرير لحظة الابداع من القالب المحدود سلفا ..» !

ان هؤلاء «المجددين» يذكرون الانسان العربي بالدكتور عبد العظيم انيس والدكتور انيس فريجه والاستاذ بدر نشأت وغيرهم ممن قالوا او فكروا بانه ينبغي للغة العربية ان يصيها عامل التجديد، بتقسيمها الى عدة لغات حديثة ، على غرار اللاتينية ، فيكون من ثم ، اللغة المصرية واللغة العراقية واللبنانية .. تماما كاللغات التي قامت على انقاض اللاتينية !

ويطوف هؤلاء الدعاة الشعراء ، في حلقة الاوزان ..

فهل هذه الاوزان والتفعيلات ، وهذا القالب الفنائي ، وبخاصة الاوزان ، عامل تجدد في انطلاقة الفكر العربي الشاعر ؟

لقد ولدت هذه التفاعيل حية قوية ، متناسقة ، مستوسقة ، متطورة ، لانها نتاج البديهية الاصيلية وعفوية الطبع المطبوع ، قلما يتاح لمثلا ان كان ثمة مثلا ، ان تخلق الشعر .. ان هذه التفعيلات قانون حي من قوانين الاحساس النامي ، المتجدد الصامد ، غير قابل في حال ، اي تجديد يغير اصالته وطبيعته . انه فن متكامل ، سقم بالايقاعات الهازة ، والترنيم الشيق ، فنوه بجماليتها عديد من قادة الفكر : عربا ومستشرقين ، واشادوا بالسليقة العربية التي كان من نتاجها ، هاتيك الدفقات الشرة من تاريخنا الادبي التي نجهد لانتاج مثيلها وترصيع صفحاتنا المعاصرة بالوان زاهية من اشراقها .. واعتقد ان الاستاذ اسماعيل الصيقي يدرك تماما ، ان شعرنا العربي ، اذ انحرف عن طبعه ، ضعفت روحه ، ووهنت صورته ، وسار في انحداره حتى ادرك «عصر الانحطاط» مودعا صفي الدين الحلي ، ومستقبلا يوم ذاك والى ما قبل حين ، «شعراء» استغفر الشعر والشعراء ان يموتوا اليهم بنسب !

وعزونا انحدار الشعر العربي بعدان صوح العهد العباسي الزاهر ، الى الحالة السياسية والاجتماعية ، التي تردى فيها الوطن العربي ، فقصمت الاصرة التقليدية التي تشد العربي في مجاله الفني ، الى ابي الطيب وابي تمام وابي العلاء وجريز وليد وطرفة ، وحتى اذا انقضت تلك الحالة ، وانقضى معها عهد الفهقرى الفكرية ، وعاد العقل العربي الى توهجه ، جلا الاجنبي عن اجزاء من الوطن ، مخلفا وراءه اثرين سيئين في جبين الفكر العربي المعاصر : اولهما ، هذه النظرة المترعة بالاستخفاف التي ينظرها عديد من شباننا المتأدب الى كل تاريخنا ، وبخاصة الى الشعر العربي الذي يسمونه «بالقديم» ، وثانيهما هذا النمط الغريب الذي تحيف الشعر العربي ، واستننه ذلك النفر «المجدد» ، ودعاه «تجديدا» ، وما هذا «التجديد» الا شكل من اشكال الشعر الاجنبي الحديث خاصة ، ولاسيما شعر : غارسيا لوركا وماياكوفسكي ونايرودا وناظم حكمت ، وليس بين هذا الشعر واي شعر اخر ، بله العربي ، اية صلة ، سوى هاتيك التفعيلات التي ارغم الشاعر العربي «الحديث المجدد» على استخدامها في اوزانه «المبتكرة» لانه ليس بقادر على ان يبدع تفاعيل جديدة ،

يجتاز الشعر العربي منذ سنين ، مرحلة ، ستعتبر حاسمة في تاريخه ، كفن صور الى اقصى حد الحاسة الفنية والتجارب النفسية والفكرية العامة ، التي يعانها الشعب العربي منذ اجيال بعيدة . ولقد عملت مياضع النقد المختلفة ، التزيه والمفرضة ، عملها العنيف في جسد هذا الشعر ، وغاصت فيه الى حدود بعيدة الفور ، عميقة ، استنيطت منه الدر فارتته لمن يبصر فابصر نفر وتعامي آخرون ، واستنزفت دمه وارته للمتعممين مصلا هزلا خاويا ، فمج ونبد من هذا النفر المتعامي ، حتى وصل المرحلة الحاضرة ، فاذا به يستحيل لدى الاستاذ اسماعيل مصطفى الصيقي ، كتلة سديمية ، متحجرة جامدة (1) !

لم ؟

«لان طبيعة الشعر العربي - الحديث - انفجارية حركية متطورة نابى هذه الزخرفة الرتيبة»

ولم ؟

لان الشعر العربي «ذلك الشكل الثباتي الجامد» لا يحقق «هذا الشكل الحركي المتطور» !
هكذا يقرر الاستاذ صيقي .

مسكين شعرنا !.. لقد عيبت عليه انطلاقيته وغنائيته ، وما اكثر هؤلاء المعيين ، وعري من صورته كشجرة في ريق الربيع ، وتمادى الناقدون الحاققون فوسموه بالخطابية ، وباللفظية ذات الايقاع المترنم المستحوذة على المضمون فجاء لونه باهتا «جامدا» !

وللتسائل : كيف نجتمع ، وكيف ينبغي لنا ان نجتمع بين «غنائية» الشعر العربي الموسوم بها أبدا ، والتي حطت من شأنه ، وغضت من قيمه الفنية واغراضه الانسانية ، وبين تجريده من هذه الغنائية - الايقاعية ، واستحالاته لدى الاستاذ اسماعيل الصيقي ، الى شكل سديمي جامد متحجر ؟!

لنترك النعيم ..

ياخذ الاستاذ الصيقي على الشعر العربي تحجره بتساؤله : «هل كتب لموسيقى الشعر العربي ان تتحجر فلا يسمح بتطورها» ؟
واجيب : اي تطوير يقصد اليه الاستاذ الصيقي ؟

التطوير في مفهومه الفكري والعملية ، نزوع الى الاكمل في مجالي الحياة العامة ، يتوقد فيه عقل يبدع ، وتنبثق منه عاطفة مشحونة ترسم للحياة جدة ومتعة وجمالا ، وتبدد من الشاعر الحاسة ضبابية الفكر العاتم ، فتأتي القيم بفجرها الجديد ومثلها النيرة .

هذا هو التطوير في خطوطه العامة ، فهل خطا الشعر العربي «الحديث» هذه الخطوة المتطورة ، وقصر الشعر العربي هذا المجال فجعد ؟.

يتهم دعاة الشعر العربي «الحديث» ، الشعر العربي اتهامات ليس في مقدور المرء ان يحصياها ، لانها لاتقف عند الجانب «المتحجر» الذي صبه الاستاذ اسماعيل الصيقي على شكل احكام مبرمة ، بل قد تشتمل على كل انطفاء في شعلة الفكر العربي ، او عجز في السمو بالفن العربي عامة . وهم ازاء ذلك ، اطباء حكماء ، وهذا الشعر سقيم عليل ، ينبغي

(1) العدد الخامس ١٩٥٩ من مجلة الاداب

منكم ومن اشعاركم
يا خنافس الخزف !..

اهذه هي التفعيلات الجديدة ، او هذه هي الانماط المبدعة الخلاقة ؟
لقد نظم هوغو « كفارته » على بحرین : احدهما طويل والاخر قصير ،
وتمنى هوغو ان ينجو من هذا المنحى في الملحمة الخالدة « الكفارة » ولكن صور
الملحمة الثرة وغناها الفكري ومداهما الرحب ، وقديسية الامبراطور الفازي
في نفس الشاعر ، حدث به ان يسلك كل هاتيك الملحمة الرائعة في بحرین
فحسب . والشعر الاجنبي نفسه ، الذي اغنى الوجدان الانساني بصورة
الرائعة ، هذا الشعر نفسه لم يعرف هذا اللون من الشكل الحديث !
ان انسياب الشاعر مع دقات الفكر ، حين ينساب بتوهج واصالة الهام
ووحى وابداع ، تتطاحن دونه هذه الاوزان المتبورة ، وتحتشد في
مخيلته المجنحة ، افكار ومعان وصور والفاظ ، يستوعبها القلب الاصيل ،
ويستوسقها كينبوع رقرق ، اختط له طريقا لامعا ، في ارض معشوشبة ،
يظللها وارفات الاشجار ، وتغني له نياسم ندية ، منعشة ، وتصونه اغنية
خالدة ، يفردها له طيور عبقرية ، جناح لها يرفرف لابن كثوم وابن حلزة
وامريء القيس وابي الطيب .. واخر يصون هذا التراث الفني من
عاديات التجديد الدخيل .

انني لامتنع هنا ، عن المقارنة بين النماذج « القديمة » كما يسمونها ،
والنماذج « الحديثة » ، او بين شعراء هذين الاتجاهين ، اذ لا مجال ابدا
للمقارنة . فما يولد اصيلا يلزمه التجدد في الصقل ورقة الطبع ومتانة
السبك ، والدخيل راجع ، لا محالة من حيث اتى .

اسماعيل عنده

أمتنا وحرية الفكر

بقلم احمد صدقي الدجاني

في وثبتنا الرائعة لتخطي جميع الحواجز التي تفصلنا عن منابع قوتنا ،
وفي جهادنا المرير ضد قوى الشر المجتمعة للقضاء علينا بالابقاء على
تبعيتنا ، وفي عملنا الدائب لاقامة مجتمع افضل يحتل مركزه اللائق به
بين المجتمعات الانسانية ويتسم قمة المجد فيها .. لا بد لنا من ارساء
اسس فكرية سليمة تقوم عليها حضارتنا ويتغذى من لبانها جيلنا الصاعد .
واهم ما يجب ان تتصف به هذه الاسس الذاتية والاصالة بمعنى ان تكون
منبثقة من حقيقة امتنا وخالصة من كل شائبة . والمسئولية في تهيئة
هذه الاسس انما تقع على كل الواعين من ابناء امتنا الذين تميزوا بالفكر
الحر والتفكير في التفكير الى جانب تشربهم بمحبة امتهم والفناء
في الاخلاص لها والعمل من اجلها .

وليس بخاف ما للتاريخ من اهمية قصوى في انبعاث الامم فمن بين
سظوره يتعرف ابناء الامة الى روح امهم ويستجلون اصالتها وعظمتها
كما يستعينون به لرسم طريق المستقبل البسام بعد ان عرفوا عبرة الماضي
التليد . وعلى هذا فان من اهم ما يجب علينا عمله ان يدرس تاريخنا
دراسة عميقة ويبرز في ثوبه الحقيقي بعد ان تمزق عنه الحجب الكثيفة
التي اسدلها اعداء امتنا عليه ، وبعد ان تحطم الصورة المشوهة المسوخة
التي صنمها اولئك الاعداء ونحن في غفلة عنهم فترة من الزمن . اننا
نريد ان يعرض تاريخنا الحقيقي دونما تزويق وتزييف ودونما تشويه

وليس عجزا منه ، هذا ، اذ ان هذه التفعيلات بصورها الحية المحافظة
على الجدة والمتانة ، تتمتع بآباء على كل نشاز او رج في سلمها
الموسيقي السليم !

وليدل الاستاذ الصيبي على خلو شعرنا من ايقاعاته الهازة ، اورد ثلاثة
ابيات لابي الطيب - نعم لابي الطيب ! - هي

متخضب بدم الفوارس لابس في غيله من لبديته غيلا
ويدق بالصدر الحجار كأنه يبغي الى ما في الحضيض سيلا
والعار مضاض وليس بخائف من حنقه من خاف مما قيل
وبحكم مبرم يعري الاستاذ الصيبي هذه الابيات من كل ايقاع شعري
من ... ان فيها « الرأ والسین » ، هذين الحرفين اللذين استعملهما
ابو الطيب اعتباطا ، فاضطرب التمرج الموسيقي ، وذهبت ، من ثم جمالية
الاداء !!

وانا لا اعتب الاستاذ الصيبي ، هنا ، لانه في ما كتب او نظم ،
شاعر متعصب « للحديث » على « القديم » ، ولولا خوفا على أمير
الشعر العربي المعاصر ان تصيبه براعة الاستاذ الصيبي كما اصابت
امير الشعر العباسي ، لترنمت بقوله :

ان التعصب مانع ان تبصر العين الصوابا !

والا ، اي نشاز ايقاعي في ابيات ابي الطيب ؟
لقد تلونا الابيات في احدى ندواتنا الادبية ، وهزجنا مع تفعيلاتها
وانسيابها الموسيقي فلم نجد فيها ما ينبغي ان « ينزع من الشطر الاول
ليعطي للثاني » .

فأي عي في لسان هذا الشعر المجنح ابدا ، واي فقر في غناه؟!

واية ايقاعية مرنة في الشعر « الحديث » ؟

أخي :

ما زال في الدرب

يا اصدقائي رجال يومهم ضحك

لو يقبل الملك ..

لم يكتوا .. ؟

واذا جوز الشعراء العرب ان يصيب شعرهم : الترفيل او التشعيب ،
والتجزئة والانهاك ، والشطر او الصرع ، فهل هذا تجديد كما يرى الاستاذ
الصيف ؟ .. ان هذه الانماط صور حية من القالب الشعري العربي
استخدمها امرؤ القيس كما استخدمها سليمان العيسى او يوسف
الخطيب ، وهي في انسيابها الايقاعي على طرفي نقيض وهذا الشعر
« الجديد » . ومنفرة للسياط ونازلة الملائكة ، اذ كل منهما اصر انصاره
على انه المبدع الاول لهذا النمط الشعري الجديد ، على حين تطاول عبد
الوهاب البياتي ليستلم شرف هذا الابداع الرائع . واستغفر الشعر
العربي في هذا الوليد الاجنبي الوجه والثقافة والحلة ..

كم قبس البياتي من ناظم حكمت وغيره ؟

وكم ارتاد مناهل لوركا ونيرودا وغيرهما ؟

وكم نسي هؤلاء وامثالهم ارادة الخلق العربي في المجال الفكري الوهاج
ليحتاجوا من الشعر الاجنبي موضوعا واسلوبا ، ونمطا وكيفية ، وليفتوا
مع عبد الوهاب البياتي :

من قلة الخيل

شدوا على الكلاب

سروجهم ، ونبحوا السحاب

اصبت بالقرف

ومسجون ونحوهم وانقون من النتيجة فقد ساهمت امتنا العظيمة بقسط وافر في الحضارة الانسانية طوال حقبات التاريخ المتتابعة .
ان اهمية هذا العمل عظيمة وهي في نظر من اطلع على حقيقة تاريخنا وشاهد الصورة المشوهة - عظيمة جدا لانه لمس الفارق الكبير المفرق بينهما .

وقصة صنع هذه الصورة المشوهة المسوخة تقودنا الى قصة الفوز الاستعماري الذي قامت به اوربا لشرقنا ، حيث عمل السلاحان الفكري والمسكري جنباً الى جنب للقضاء على روح المقاومة العظيمة التي ابداهما شرقنا ضد ذلك الفوز . وحيث كان العالم الاوربي ياتمر بامر القائد العسكري وكلاهما يتفاد اوامر اساطين الاستعمار .

فقد شعر هؤلاء بضرورة تبرير الجرائم البشعة التي اقترفوها في غزوهم وذلك ليخدعوا ابناء امتهم من جهة وابناء الامم المغلوبة من جهة اخرى وربما ليموهوا على انفسهم ايضا بحيث يصبحون قديسين ورسلا امام انفسهم على الاقل . وهكذا بدأت تظهر للوجود - على يد العلماء الغربيين - فكرة همجية الشرق وحضارة الغرب ، ثم ما يترتب على الغرب من رسالة ، ازاء هذا الشرق المتأخر ، والعجيب ان اغلب العلماء الاوربيين ينساقون وراء هذه الاكذوبة الضخمة عندما يفسرون الحوادث التاريخية ويمثلونها بل عندما يعرضونها . وليس هذا ناشئا بالطبع عن جهل او خطأ في الاجتهاد وانما هو في الغالب تزوير مقصود يرمي الى تلك الاهداف الاستعمارية .

يعالج المؤرخون الاوربيون - على سبيل المثال - الحروب الفارسية اليونانية التي حدثت قبل حوالي الفين وخمسمائة سنة ، والحروب القرطاجية اليونانية التي عاصرتها ، فنجدهم يتحدثون عن النضال بين همجية الشرق وحضارة الغرب . فهذا طومسن اكبر مؤرخي الالمان في القرن التاسع عشر يذكر ان القصد من هذه الحروب كان « محو الحرية والحضارة بقرية واحدة من وجه الارض » . ولا يمدو ما قاله غلوتيس المؤرخ الفرنسي والاستاذ ويلكن ذلك . وهكذا ارجع هؤلاء وجود هذا التفريق بين الشرق والغرب الى ما قبل الاف السنين . لا اظن ان هؤلاء المؤرخين الكبار يجهلون ان امتي الفرس والفينيقيين لا تقلان حضارة عن الامة اليونانية ، بل ان تأثر اليونانيين بالامم الشرقية المجاورة التي كانوا على اتصال بها واقتباسهم عنها الكثير من عناصر الحضارة امر ليس خافيا على هؤلاء المؤرخين فهو قضية تاريخية مسلم بها يكفي شاهدها عليها ما رآه اليونانيون لما احتلوا بمصر حيث وجدوا امة عريقة في الحضارة متقدمة عليهم بالاف السنين حتى ذكر الحكيم صولون قول احد الكهنة المصريين له « انتم اليونانيين لستم سوى اطفال ثرارين مفرودين لا تعرفون شيئا عن الماضي » . (١) كذلك شاهد هذه النظرة عند المدرسة الاستعمارية الانكليزية « التي كانت تعلق اهمية كبيرة على رسالتها في العالم وعلى الدور الذي يقوم به الانكليزي تجاه الشعوب الملونة وقد تاكدت هذه الفطرة السياسية بصورة واضحة جدا ليس عند الادباء ككلنج فحسب بل عند القادة والساسة من ذوي الثقافة المتوسطة » (٢) . ويلاحظ الدارس لادب كلنج وخاصة لكتابه « كيم » نظرتة الى تفوق الانكليزي على الشرقي الهندي .

اما تردد هذه الاكذوبة على لسان رجال السياسة الغربيين فقد اصم اذاننا فهم ما فتئوا يرددون في خطبهم عبارة « الدفاع عن الحرية والحضارة »

(١) الدكتور كامل عياد في تاريخ اليونان

(٢) بيرونوفن في تاريخ القرن العشرين

كلما شنوا الحرب على الامم الشرقية عند مطالبتها بالاستقلال ومعاولتها التخلص من الاستعمار ، بل انهم يقرنون هذه العبارة بالاساطيل الحربية والجيش الجرار وليست حادثنا غزو لبنان والاردن في الصام الماضي عنا ببعيدتين .

باسم هذه الاكذوبة الضخمة استعمرت انكلترا او فرنسا بلادنا وجزائرها وفرضت علينا عصبة الامم انتداب هاتين الدولتين لتأخذ بايدينا فسي طريق التقدم والحضارة فامتصت خيراتها .. وضاعت فلسطين و ..
لذلك فان محو هذه الاكذوبة - من اذهان ابناء امتنا على الاقل - امر بالغ الاهمية ويتحمل عبء ذلك كل واحد من اولئك الشباب المخلصين الواعين .

ولذلك ايضا فاننا نود ان نقاش ما كتبه الاستاذ محي الدين محمد في بحثه « مشكلة حرية الفكر » الذي نشرته الاداب في عددها الاخير .
وقبل ان نفعل ذلك نود ان نسجل ملاحظة حول موقف شباب امتنا المثقف من الحضارة الاوربية . اذ يمكننا ان ندرج شبابنا الذين اطلعوا على الحضارة الغربية في فئتين : فئة فهم افرادها روح الحضارة الغربية واعجبوا بجوانبها الرائعة وراوا اقتباس روائعها دون ان يتجنى ذلك على روح امتنا واصالتها كما امنوا بان امتنا قد اعطت الغرب الكثير لما احتك بها في اسبانيا وفلسطين وبلاد الشام زمن الحروب الصليبية . وان الواجب ان نسترد منه الكثير لنلحق بالركب الذي فاتنا ونحن في سنة من النوم ونستعيد مكانتنا الاولى ، وعليه فان مانحتاج اليه هو لباب الحضارة لاقشورها . وفئة ثانية غشت عيونها روعة الحضارة الغربية وسلبت لها حتى باتت ابصارها مغلقة بها ولا تنظر الا من خلالها . واصمت اذانها اصوات الاله فانسأقت بكليتها اليها الى حد تنكرها لكل ما ليس غريبا ولو كان متصلا بالشرق الذي ترعرت فيه .

وهذه الفئة تردد جميع اقوال الغربيين دونما تمحيص ودون ان تلاحظ عداوتهم لنا . ومثلها الاعلى ان تصبح امتنا صورة عن الامم الغربية . وهذا لن يكون الا عندما تفقد ذاتيتها وعندها لن تكون الا صورة مسوخة مشوهة .

اما بصدد البحث الذي كتبه الاستاذ محي الدين محمد فاننا نريد ان نتناوله من جانبين . فنبرز اولاً الروح التي كتب بها الاستاذ بحثه ونبين النتائج التي اوصلته هذه الروح اليها . ثم نقاش ثانياً ما ورد في بحثه من اقوال تخالف الواقع .

ان الكاتب متشبع كلياً بالحضارة الغربية ومعجب بها اعجاباً عظيماً الى درجة انه يتفاد انقيادا مطلقاً للعلماء الغربيين ويتبنى اراء التعميين منهم حينما يكتبون عن الشرق . فكثيراً ما تحدثت المقارنة بين الشرق والغرب في البحث ... الشرق « الذي عبرت الفان من السنين فوق جسده المسجى بدون ان تستطيع ايقاظ ذهنه » . الشرق العربي « الذي لا يزال مخدراً منذ الفين من السنوات » الشرق « الذي تعج في ارضه العناكب المشعرة التي تخيفنا باسم المحافظة على ترك الاجداد والاباء » . الشرق الذي يؤمن بالخرافة ويتصف بالجهل والتعصب والبربرية . والغرب « المتطور اللاهب » الذي شيد « الحضارة الغربية العظيمة » الحافل بالولئك الابطال النادرين السني قاوموا سلطة الصليبية البشعة . « الخ

هذه هي الصورة التي يحملها الكاتب للشرق والغرب . وهي تبدو بوضوح مع انها ترد في معرض الحديث عن حرية الفكر . واظن انه واضح تماماً الصلة بين هذه الصورة وبين تلك الصورة المشوهة التي

صنعها اولئك العلماء الغربيون . بل ان تأثر الاستاذ بهم يتجاوز حدود
تبني الافكار الى استعمال نفس الالفاظ « الكتب الصفراء .. الخرافة ..
البربرية .. الخ .. »

وبعد .. احق ان امتنا مخدرة منذ الفين من السنين ولم تستيقظ بعد
ولم تفلح هذه السنوات الطوال في ايقاظ ذهنها ؟ ان كان هذا حقا - وهو
ليس كذلك بل هو مجاف للحقيقة البيئية - فان الامل مفقود فـى ان
تستيقظ امتنا حتى ولو قتل الالف الذين عناهم الاستاذ .

اصحح ان حضارتنا الشرقية - في نالقتها - هزيلة اذا حدث التقابل
بينها وبين « الحضارة الغربية العظيمة » ؟
احق ان تاريخ امتنا الحديث خال من الشهداء الذين ماتوا فـى
سبيل الحرية ؟

واسئلة كثيرة نلح على فارئ البحث وكلها تتعلق بالحقيقة التي كانت
عليها امانة والصورة المسوخة التي جاءت في البحث . والواقع ان الحقيقة
اقوى من ان ننطمس . ونورها انفذ من ان نحجب الصورة المشوهة .

واظن انه لاداعي للتفصيل في الحديث عن الحضارة السماء النسي
شيدتها امتنا واقامت صرحها . ويكفي لكي نصحح في ذهن الاساذ صورة
« الحضارة الشرقية الهزيلة » ان نطلب منه الاطلاع على تاريخها من
مظانه حتى من خلال ما كتبه المؤرخون الغربيون فكثير منهم يسلم بحقيقة
هذه الحضارة وكثير منهم كتب عنها كبرنولد وبروكلمان وجوزي وكريمر
ومنز وغيرهم . ويكون جميلا ايضا لو اطلع على تلك الكتب الصفراء التي
يخشاهم وواجب البحث العلمي يفرض عليه ذلك . انه اذا فعل فلن
يكرر القول بان امانه لم تفعل الا « توصيل ارسطو كاملا الى الذهمن
الغربي .. وعد ذلك انتصارا كونيا . لن يقول هذا لانه سيعرف ان امانه
ساهمت مساهمة فعالة في تقدم العلوم الرياضية على يد الخوارزمي وصحبه
وفي تقدم العلوم الطبيعية على يد ابن حبان والبيروني وابن الهيثم
 وغيرهم وفي تقدم الفلسفة العقلية على يد الغزالي وابن رشد والكندي
 واخوان الصفا وغيرهم والمجال ضيق للتحدث عن دور امتنا العظيم
 في ذلك التقدم كله .

وبقدم الاستاذ بحثه بكلمة يذكر فيها ان حرية الفكر مطموسة فـى
شرقنا العربي وانه بعيدا للتذكير « لكي يفجر التفكير عملية نهجها
ماما وهي التطور » . وهكذا ببساطة يحكم الاستاذ على شرقنا العربي
بانه لم يعرف التطور ابدا وانه لم يتمتع قط بحرية الفكر . ونقرأ البحث
لنتبين ما يقصده فنجد يكرر اننا منذ الفين من السنين لم نتطور ومرة
يقول « منذ الف سنة ويزيد » وينصّح انه يقصد ان شرقنا العربي منذ
ظهور السيد المسيح حتى يومنا هذا وهو جامد يابى الانقياد لعامل الزمن
فيتحرك .

أهذه حقيقة ؟ لننظر معا عبر هذه السنوات نظرة مجردة موضوعية
لا يؤثر عليها هوى او تمصب فنجد ان هذه السنوات حافلة بالاحداث
الجسام والقفزات الهائلة في مضممار التقدم الانساني .

ان ظهور السيد المسيح نفسه لا كبر مثل على ذلك . انسان حـر
التفكير يدعو الى اسمح المبادئ ويتعب في سبيل ذلك ويجهد غير عابىء
بكل مايناله من اذى اولئك المتسلطين . وهكذا انبعثت من شرقنا رسالة
سامية كان لها اكبر الاثر في اوروبا نفسها . وينبغي الاستاذ على المسيحية
« انها كانت ننادي بحرية الفكر في عهد اباطرة الرومان ثم كان اول
اعمالها حين تسلمت السلطة ان شجبت حرية التفكير وحرية العقيدة » .
والواقع ان مبادئ المسيحية بقيت تلك المبادئ السامية والذي حدث ان

بعض المستغلين لها اساءوا استعمالها . ونود من الاستاذ ان يلاحظ
ان هذا الانحراف حدث في الغرب وليس في الشرق . اي اننا قدمنا
المبادئ الرائعة التي سرعان ما شوهها الغرب بعد ان اخذها .

كذلك الامر بالنسبة للرسالة التي بشر بها النبي العربي من قلب
الجزيرة العربية فهزت العالم اجمع . انها تطور كلي . ونسف لمفاهيم
كانت سائدة تنهش عقول الناس فيفعلون من الاتام مالا يليق بالانسان .
انها فضاء على التقليد الاعمى للاباء والاجداد .. وشجذ للفكر الانساني
ليصل عن طريق التفكير الى حقيقة الوجود . جاءت بمبادئ تكفل
حرية الفكر وعلى مدى الف من السنين رأينا تطبيق الكثير من هذه
المبادئ . ويكفي ان نلفت نظر الاستاذ الى ان حرية الاعتقاد سادت شرقنا
طوال تلك الفترة ولم يحدث ان نظمت المذاهب للقضاء على المذاهب المخالفة
كما جرى في اوربا . لقد قررت تلك الرسالة ان « لاكره في الدين »
فعاش الجميع جنبا الى جنب منحايين اخوة حتى عقدت السنة الجنود
الصليبيين دهشة لما راوا التسامح الرائع بين المسلمين والمسيحيين
ووفوفهم صفا ضد ذلك الزحف الاثيم .

ومنذ ذلك الحين وامتنا تجود بالابطال العظماء والمجددين الذين لم
يخل عصر منهم . وان كانت امتنا قد اصابها غفلة دينية لفترة قصيرة
فانها سرعان ما نهبت وعزمت على اللحاق بالركب واستعادة مكانتها وجهادها
الحالي اكبر دليل على اصالتها وعلى انها سنصل الى ماتريد .

ويرى الاستاذ ان الرجال التقدميين هم الذين يحققون التطور وان هناك
سدودا منيعة نوقف تيار افكارهم واطخر هذه السدود في رأيه السلطة
والنفايد والدين . ويبدأ حديثه عن السلطة فيحدد لها مهمة المحافظة
على الوضع الراهن ؟ وهكذا يقع الاستاذ في التصميم الخاطئ . فالسلطة
احيانا تقصد بتدليل الوضع الراهن وتغييره ولا ادل على ذلك من
الحكومات الثورية - وقد شاهدت بلادنا بعضها - التي قصت على كثير
من رواسب ومفاسد عهد الانحطاط السابق فحددت الملكيات وصفت البلاد
وغير ذلك . ونحن مع الاستاذ في سرورة مقاومة السلطة اذا كان همها
كم الافواه وتحطيم الافلام ولكننا نخالفه في ان هذا يتمثل تماما في شرقنا
العربي كما يقرر هو . وليس معنى هذا تبرئة شرقنا فنحن نقرر انه
لا زالت في شرقنا حكومات تسير في طريق الضغط والارهاب وتتصل
بالاستعمار الغربي انصلا وثيقا . ولكن الكثير مما وصف به الاستاذ
السلطة الفاشية انما ينطبق كليا على كثير من البلاد الاوروبية التي
يبلغ اعجاب الاستاذ بها حدا عظيما . ونحن لم ننس بعد قصة الكاتب
باسترنارك مؤلف الدكتور جيفاكو ، كما ان بلادنا لم تشهد سلوكا مكارثيا ،

قريبا

مواطن امام القضاء

للقاص العربي

فاضل السباعي

نشر دار المعارف بمصر

كذلك الذي ساد اميركا . وسيل الكتب النوعية المتدفق من المطابع - في بعض دولنا - في مختلف المواضيع المتضاربة ليدل دلالة فاطمة على ان حرية الفكر بخير اذا ما قورنت ببعض البلاد الغربية ..

ثم يتحدث الاستاذ عن التقاليد التي يراها « افكار عصر سابق ، تعبير عن الامس يريد ان يضع مغالبه في يومنا نحن » . ويرى ضرورة التحرر منها . ونحن معه في ضرورة التحرر من التقاليد البالية ونقول ان شرقنا اول من نعى على الناس اتباعهم المطلق وانقيادهم الاعمى للاباء والاجداد وكانت صرخة النبي العربي في قومه مزلزلة لكل التقاليد البالية . اما ان نخالف كل شيء قاله الاباء والاجداد من دين ومنطق وعبارات - كما يرغب الاستاذ - فهذا قضاء على روح امتنا وتجاه للمنطق السليم ، لان ماهو حق يبقى كذلك على مر الزمن ولا حاجة لتغييره ، مادام يوائم العقل السليم . ثم ان الماضي والتقاليد لامة من الامم تحوي في تضاعفها عبقرية الامة . ولقد كان عمل هرود الالاني رائعا لما انكب على تقاليد الشعب الالاني وابرز منها عظمة الشعب فكان عاملا هاما في توحيد الامة الالانية . ان رغبة الاستاذ بالتغيير تصل الى درجة انه يعجب من بقاء العبارات المتداولة التي نستعملها في حياتنا اليومية مدة طويلة . ولا ادري ان كان يرى تغييرها كل مدة وبودي لو مثل لذلك .

ثم يتحدث الاستاذ عن الدين الذي هو في نظره اخطر السدود ، فيبدأ بوضع مبدأ جديد وهو « ان الحقيقة لا تعرف الا بمقدار ما يتفق عليها الجميع ويرضون عنها ، واذا حدث واعلن فرد شكه في منطقيتها تزلزل مركزها واصبحت عرضة للانسحاق » . ثم يقول « والحقيقة الدينية لا يتفق عليها الجميع لانها ضد المنطق والرياسة وتؤكد على الوهم والخرافة »

دَارُ الطَّلِيعةِ للطَّبَاعَةِ والنَّشْرِ

نحن والسيوعية في الأزمة الحاضرة

الدكتور محمد عدون حمادي

سلسلة الفكر العربي

اما المبدأ فجديد كل الجدة ولو اعتمدناه مقياسا لما وجدت حقيقة ابدا وحيث اننا نشك في منطقية كلام الاستاذ فيكون كلامه تبعا لذلك ليس حقيقة - حسب مقياسه ..

اما ان الدين ضد المنطق في الرياضة فالبحت في ذلك يطول ولقد بحث هذا الموضوع من قبل كبار العلماء الشرقيين والغربيين واظن انه من المجافاة للبحث العلمي ان نقذف بالكلام دونما تدليل . ولقد تميز القرن التاسع عشر في اوربا بظهور النزعة الالحادية وعبادة العقل اما القرن العشرون فيلاحظ ان جل علمائه قد عادوا الى الايمان بعد ان ظهرت محدودية العقل .

اما ان الدين «صورة من صور التقاليد تؤكد على الانصياع والمبودية والرضى بالواقع» فان الواقع التاريخي يكذب ذلك حيث يدل على ان اعظم الانبياء التي حدثت في امتنا انما كانت بفضل الدين . وواقنا الحالي في حربنا ضد الاستعمار يدل ماللدين من اثر عظيم في رفض السفل والمبودية . ان امتنا تتميز بانها كانت موطن الاديان ورسالتها للعالم اسمى الرسالات .

اما « ايثار المجتمع العربي السلامة بالانكباب على دراسة الكتب الصفراء واستخراج الخرافة والتعقيد التشريعي والبربرية من بين سطورها ثم اتخاذها اخلاقا » . ان الواقع عكس ذلك وما اصعب ان يهتم انسان بعكس واقعه . احق ان اخلاقنا بربرية . ونحن الذين سادنا احسن النظم الاخلاقية فكنا في كل تصرفاتنا مثلا جيدا للانسان الحق . عرفنا الفتوحات فكنا ارحم الفاتحين . ان هذه التهمة هي قول العلماء العميد لاساطين الاستعمار الغربيين الذين انحطوا بالمستوى الانساني في اعمالهم ومع ذلك يلحقون التهمة بنا . اما التشريع الذي ابدعته امتنا فهو ارقى التشريعات باعتراف اكبر المجامع التشريعية الدولية الحديثة ، وكتبنا الصفراء هي التي حملت الحضارة للغرب والى قرن مضى كانت لايزال بعضها يدرس في جامعات اوربا .

وبعد . فان حرية الفكر تنادي بان يعتقد كل انسان مايشاء . وامتنا مؤمنة بالاديان ومتميزة بالحضارة الحقبة التي وازنت بين الجانبين المادي والروحي وهي لذلك تلفظ المادية وتابى الشيوعية . وهي في ذلك كله لها مطلق الحرية في الاعتقاد . فلماذا اذن يفضب الاستاذ ويصرخ واصما اياها بأبشع النعوت من بربرية وتخدير وجهل وتعصب . ان حرية الفكر لاتعني ان نفرض الالحاد على امتنا بل ان ندعها تؤمن بما تشاء . ولئن كانت تلك السدود تمنع تقدم الافكار في الغرب فان الوضع بالنسبة لنا جد مختلف فقد حدثت موجة الالحاد في اوربا نتيجة للصورة التي اعطتها الكنيسة الاوربية للعقيدة المسيحية ابان تاخرها حيث وقفت في وجه التقدم العلمي وحرقت العلماء وعذبتهم . ونحن لانعرف مثل ذلك في شرقنا . اما ان يعرض الاستاذ صورة ذلك الجلف القروي ذي العمامة الخضراء والمسبحة الطويلة واللحية الوسخة والشاربين القنرين ويصوره بانه يصبح الحاكم والاله فهي صورة محرفة عن واقع ماحدث في اوربا وهي بذلك مستوردة ولا اظن ان احدا يذكر حدوث مثل هذا في شرقنا لان حكم عامة الناس على امثال ذلك الجلف ... انه جلف جاهل .

وبعد .. انها أزمة يقع فيها شبابنا من تلك الفئة التي لا تعرف الا الاستيراد من الغرب . وعسى ان ياتي الجهد القوي من شبابنا الواعي لتصحيح المفاهيم وعرض تاريخنا صحيحا ينقذ اولئك من ازمتهم .

احمد صدقي الدجاني

دمشق - الاقليم الشمالي

النشاط الثماني في الغرب

فرنسا

معركة الجزائر « الفكرية »

تستمر رحي « معركة الجزائر » في اوساط الاحرار من المثقفين الفرنسيين ، وتزداد حدة الحرب الجزائرية التي لم تضعف لحظة ، والتي كان الاستعماريون وما يزالون يرجون ان تنتهي بانتصار القوات الفرنسية . وكانت هذه الاوساط الحرة قد امتلات املا بمجيء الجنرال ديغول الى الحكم ، اذ كانت تعلق عليه امنية العمل على انهاء الحرب الجزائرية والاعتراف باستقلال الجزائر والتفاوض مع جبهة التحرير الوطنية على هذا الاساس . ولكن هذه الاوساط فقدت كل آمالها الان ، اذ تكشف الجنرال ديغول عن عقلية لا تقل في نزعتها الاستعمارية عن اية عقلية رجعية حكمت فرنسا حتى الان . ولا يخفي عدد من المفكرين الاحرار هذه الخيبة ، بل يجاهر بها وينفض يده من ديغول ويعلن ان رئيس الجمهورية الحالي يسير بالجمهورية في طريق الهلاك .

وكان الكاتب المعروف فرانسوا موريالك قد وقف في الماضي مواقف



محمودة من قضية الحرب الجزائرية ودعا مرارا الى وضع حد لها ، وعبر عن امله في ان يستطيع ديغول ان ينهيها . غير ان ثقته برئيس جمهوريته كانت ولا تزال اكبر مما ينبغي ، وهذا ما جعل موقفه الاخير مترجحا غير واضح ، بل يبدو انه تراجع عن بعض افكاره التحررية واصبح يلتمس المبررات لاستمرار حرب الجزائر . وقد اثار هذا الموقف المترجح كاتبنا حرا كان دائما يشجب استمرار تلك الحرب ويدعو الى الاعتراف بالشخصية الجزائرية ، وهو « كلود بورديه » رئيس تحرير مجلة « فرانس اوبسرفاتور » .

وقد تحدث بورديه في مقال له نشر بالعدد ٧٨ من مجلته عن « الديفولية » وتطورها بصدد الرد على مقال لفرنسوا موريالك نشر اخيرا في مجلة « اكسبريس » ، فقال بورديه ان ثمانين بالمئة من الفرنسيين انضموا في الصيف الماضي الى الديفولية ثقة منهم بانها ستقذف فرنسا .

اما اليوم « فان المعنى الدقيق للديفولية يزداد وضوحا كل يوم بالنسبة لكل فرنسي . فان الانسان ديفولي اكثر فاكثرا كلما ازداد تأييدا لحرب الجزائر ، ولتعذيب الجزائريين ، ولانحطاط بعض الشعوب ولعدم تساوي بعض الطبقات ، وكلما ازداد ايمانا بان الحرب ظاهرة تاريخية لا يمكن تجنبها ، اي كلما كان منتشيا الى اليمين . »

ثم عرض بورديه لمقال موريالك الذي عبر فيه عن الاضطراب الشديد الذي استولى عليه بعض قراء كتاب « الفنغرينا » La Gangrène فقال بورديه : « لقد اصيب موريالك باضطراب لدى قراءة هذا الكتاب الذي يتحدث عن التعذيب ، هذا التعذيب الذي يمتد من الجزائر حتى يبلغ الان الارض الفرنسية حيث يقبض بعض الجزائريين في سجن قريب من قصر « الاليزيه » ولكن المقال الذي يعرض فيه عواطفه هو من الغرابة بحيث نعتقد ان نوعا آخر من الفنغرينا يصيب موريالك نفسه ... فماذا يقول عن ذلك التعذيب ؟ انه لا ينكره .. ولكنه يشرح .. واية شروح هي ! فهو يعتقد ان التعذيب هو مرض العصر ، عصر اهراب واهاب معاكس ... وهذه القدرة هي قدرة اليمين من غير شك .. ويتابع موريالك بان التعذيب « يستمر كالسابق » كان الاستمرار في رايه نوع من العذر والتبرير ، هو ينسى ان الحكومات السابقة كانت حكومات ضعيفة تجاه الجيش والبوليس ، وان الحكومة الحالية هي حكومة قوية ... ثم ان التعذيب قد انتشر ولا يزال يشيع في فرنسا تحت حكم الجنرال ديغول ، من غير ان يضعف في الجزائر نفسها . فحتى لو فرضنا ان هذا العهد لا يقل ضعفا عن المهور الماضية تجاه السلطة التي يمارسها الجيش والبوليس في الجزائر ، فان ما يحدث في فرنسا نفسها يتعلق مباشرة به ، والوزراء هم المسؤولون المباشرون عن كل تعذيب ، وعن كل ضجة الم . ولان موريالك يريد ان يخلي الحكومة من اية مسؤولية ، فانه يربط حتمية التعذيب بقوة الله : البوليس . البوليس الذي تحول الى كائن مستقل ، والى تجسد عضوي ضروري لا سبيل الى تفاديه ، كقوة الهية قادرة ... والاغرب انه يتوجه الى هذا البوليس المؤله لينبثق من وسطه شرطي بطل يهدم التعذيب ! فالى اي حد من عدم التفهم يمكن للرغبة الموهوسة برفض الوقائع ان تقود كاتبنا كبيرا ! ان التعذيب لا يمكن ان يزول ما دامت الحكومة تواجهه بالتفاضي والصمت ، وما دامت تكلم افواه الذين يرسلون اشارات الخطر والاحتجاج ، وما دام هذا العهد يعتقد مثل موريالك بان التعذيب شيء قدره حتمي ! ولكن ما معنى احتجاجك السابق ، يا سيد موريالك ، على الفستابو حين كنت تقول « ان عهدا من الارهاب المعاكس هو عهد تعذيب ! » ولماذا كنت تحارب ضد اعمال تكتفي اليوم بشرحها وتبريرها ؟ »

وينهي بورديه مقاله بان يوجه الى موريالك هذه العبارات : « انك تدخل معسكر اليمين ، وتبني انفعالاته ، وتقع في شرك منطقته . ولكني لا اود ان اصدق ذلك . فقد تداركت نفسك مرات عديدة ، اذ انتزعك حب العدل والحق من هذا الميل الذي حدا بك في الماضي الى « الشرح » و « التسامح » و « التبرير » . ان الوهم يتنمى الان في كل مكان ، فهل تظل اخر من يفديه ؟ ان امامك فرصة وحيدة للمساعدة

النشاط الثماني في الفـسـر

ومن جهة أخرى ، يدي اهرنبورغ مزيدا من العداء للكونفورميزم .
فبينما يحرص خروثشيف في خطابه « التساهل » بمؤتمر الكتاب
السوفيات على ضرورة التمييز الذي تؤمن به الواقعية الاشتراكية بين
شخصيات الروايات « الايجابيين » و « السلبيين » نرى اهرنبورغ يطرح
هذه الفكرة ويتساءل : « اكون انا كارينا بطة ايجابية ؟ لقد كان
تولستوي يحبها ولكنه لا يعتبرها مثالية . او يكون جوليان سورال بطلا
سلبيا ؟ لقد كشف ستاندال عن مساوئه العميقة ، ولكنه كان مع ذلك يكن
له حبا عميقا لا يحاول ان يخيفه ... » ان على الكاتب ان يبرز
اشخاصه « كما هم في خطوطهم الايجابية والسلبية »
وهكذا لا يبدو ايليا اهرنبورغ كبطل « للمعارضة البناءة » فحسب
بالنسبة للادب السوفياتي ، بل هو بهذه التصريحات التي ادلى بها لمجلة
« ليتراتوريانا غازيتا » يثبت بان النزعة التي يتزعمها قد نالت الان
حق التعبير عن نفسها . ولا ريب في اننا سنعرف عن قريب الى حد
يستطيع ذلك .

انكسرت

نجم بين التالى والانطفاء ...

لم يعرف كاتب انكليزي معاصر شهرة سريعة متألقة كالتى عرفها جون
اوسبورن John Osborne . فمئذ ثلاثة اعوام فقط ، لم يكن اكثر
من ممثل عادي في السادسة والعشرين من عمره ، يبحث عن طابع
شخصي له من غير ان يجده . وفجأة اصبح بين ليلة وضحاها مشهورا
وغنيا الى ابد ما كان يعلم بعد تقديم مسرحيته الكوميديا الريبة
في المسرح الملكي . وقد اصبح بطل Look Back in anger
هذه المسرحية المنتقمة ، واسمه جيمي بوتر ، رمزا للجيل الفتى من
« المتمردين بلا سبب . »

وبعد ذلك بعام ، كان اوسبورن يجدد انتصاره برواية The Entertainer
الذي كان بطلها ممثلا هزليا (قام بتمثيل دوره ببراعة السر لورانس
اوليفيه) لا يختلف عن بطل الرواية السابقة الا بان السن والخمر
والانحراف قد اضرت به ضررا كبيرا . وفي السنة الماضية ظهر ان مسرحيته
Epitaph for George Dillon ذات قماشة مماثلة : فالبطل الرئيسي
الذي يؤثّر المؤلف بحبه دون ريب هو انسان غريب شاذ شديد الانانية .
يستغل بلامه الود الذي يوحيه للناس .
وقد اظهر المؤلف في هذه الروايات الثلاث موهبة نادرة في الحوار ،
ولكن تشابه المسرحيات وضعف الحركة الدرامية فيها يوحيان بعض
التحفظ قبل الحكم على اوسبورن بأنه اكبر كاتب دراماتي في جيله .
وكانما اراد ان يؤكد مخاوف المعجبين به وماخذ نقاده ، فقدم اخيرا
في لندن مسرحيته الانتقادية الجديدة « عالم بول سليكي The world of Paul Slicky
ومع ذلك ، فقد ضمنها المؤلف فنا بارعا في انتقاد تبذل بعض
الصحف ذات الانتشار الواسع التي تستغل اعصاب القراء وميولهم الى
الفصائح والى « الاخبار المثيرة » ، واشرك في روايته موسيقيا كبيرا
ومهندسا معروفا وموزعا مشهورا ساهموا جميعا في الرواية . ولكن
بالرغم من ذلك ، ومن دعاية واسعة ، سقطت هذه المسرحية الاوبريت ،

على تفادي الاسوأ ، بدلا من ان تجعله اكثر امكانية للتحقق فيما انت
تحذر الراي العام . وهذه الفرصة هي في ان تكف عن الاهتمام بتبرير
الجنرال ديفول . قل الحقيقة . »
مفكر حر آخر ...

هذا مظهر من مظاهر المعركة الفكرية التي يقودها بعض المفكرين الاحرار
في فرنسا ، والذين تعلق الامال عليهم اكثر مما تعلق على ديفول وطفمته
من الوزراء في ايجاد حل عادل للقضية الجزائرية . وهناك مفكر اخر
هو جان جاك سرفان شرايبر رئيس تحرير مجلة « اكسبريس » يعبر
هو ايضا عن رأي الحق والعدل في جريدته ، ويجابه قوى رجعية شريرة
في كل يوم ، ويجمع حوله جماعة من المتحررين الذين لا يرون في حرب
الجزائر الا طعنة للضمير الانساني والعدالة الحققة . وقد اصيب شرايبر
في اجتماع اخير عقده « الاتحاد الوطني لمحاربي الجزائر القدماء » في
مدينة ليون بعدة جروح اذ هاجمه عدد من الرجعيين الذين ينتمون
الى حركات اليمين بالعصي واللكمات مع فريق من مؤيديه ، فنجحوا في
تعطيل الاجتماع ، ولكنهم لم ينجحوا في حمل شرايبر وزملائه على
التراجع عن موقفهم الشريف ، فدعوا الى عقد اجتماعات اخرى قرروا
ان يقابلوا فيها القوة بالقوة .

كتاب « التعفن » ...

اما كتاب « الفغرينا » (اي التعفن) فهو الكتاب الثاني الذي صدره
البوليس الفرنسي بعد كتاب « الجلادون » الذي صودر منذ اشهر (1).
ولكن خمسة الاف نسخة من الكتاب كانت قد وزعت حين بدأ البوليس
بمصادرته ، فانتشر مضمونه في الاوساط ، وهو مجموعة وثائق واعترافات
قدمها خمسة من الجزائريين اصابوا الوانا عجيبة من التعذيب في احد
سجون باريس . وقد زعم امر المصادرة بان هذه الوثائق كاذبة وقد
اخترعها كاتبان شيوعيان .

الاتحاد السوفياتي

معارضة اهرنبورغ البناءة ...

نشرت مجلة « ليتراتوريانا غازيتا » في عددها الصادر في ٩ حزيران
الماضي مقابلة مع الكاتب الكبير ايليا اهرنبورغ . وهذا الامر وحده ذو
مغزى ، بعد مؤتمر الكتاب السوفيات الذي عقد منذ شهر في موسكو ،
ذلك ان هذه المجلة كفت منذ عامين او ثلاثة عن التحدث عن اهرنبورغ ،
الا لتنتقد انحرافاته عن الخط الرسمي للادب السوفياتي !
وقد عني ايليا اهرنبورغ في هذا الحديث الصحفي عناية كبيرة بوضع
« النقاط على الحروف » . فقد سأل الصحفي عن مشاريعه فاجاب :
« لم اجد في مجلة « ليتراتوريانا غازيتا » ولا في اي من المجلات
والنشرات الاخرى مقالا واحدا مخصصا لاحد مؤلفاتي الاخيرة . ولست
اقول ذلك في معرض الشكوى ، فانا لا ازمع ان ما اكتبه ذو أهمية
خاصة وان من الضروري التحدث عنه في الصحف . كل ما في الامر اني
اجهد لآكون منطقيا . فاذا كان جلد الدببة التي قتلت لاسترعي انتباه
نقادنا - فما جدوى التحدث عن جلود الدببة التي لم تقتل بعد ؟ »

(1) صدرت بالمرية عن « دار الاداب » ترجمة عابدة وسهيل ادريس

النشاط الثقافي في الوطن العربي

الجمهورية العربية السورية

الاقليم الشمالي

نحو سياسة التعليم الصناعي

لمراسل الاداب في دمشق

✱

حين جلا العثمانيون عن هذه البلاد وكانت في امس الحاجة الى التنظيم وتاكيد شيئين : ١ - عروبته - ٢ - ارادة العيش المشترك بين ابنائها على مختلف نزعاتهم . لذلك عمل المسؤولون على انشاء مدارس .. مدارس من كل نمط ولون ...

لم يكن يهم كيف تكون هذه المدارس بمقدار ما يهم ان يكون في كل منطقة مدرسة . وقد سارت اكثر الحكومات على هذه السياسة حتى كان في الاقليم الشمالي عام الجلاء « ١٩٤٥ » مايقرب من ثمانين مدرسة وبعد الجلاء .. ايام الحكم الوطني رغم الاضطرابات والهزات التي عانتها البلاد من انقلابات وتضارب الاحزاب فقد اضطرت كل الحكومات المتعاقبة تحت ضغط الاهالي ان تسير على سياسة التوسع في التعليم حتى صار عدد المدارس الثانوية في العام الدراسي ١٩٥٢ - ١٩٥٤ « ٢١٢ » مدرسة وقفز هذا العدد الى ٢٨٦ مدرسة ثانية في سنة ١٩٥٨ . وقد رافق هذا النمو العددي في التعليم الثانوي نمو عددي اخر فسي التعليم الجامعي فقفز عدد طلاب الجامعة من ٢٤٣٤ طالبا سنة ١٩٤٨ الى ٤٩٨٥ طالبا سنة ١٩٥٤ .

وكانت حاجة البلاد الى الموظفين اهم اسباب انشاء الجامعة فقد اسست كلية الطب وكلية الحقوق اولا ثم كليتا الاداب والعلوم لاعداد مدرسي التعليم الثانوي ، وكانت غاية التعليم الثانوي تنشئة طبقة متعلمة تصلح للوظائف الصغيرة واعداد هذه الطبقة للدراسات العالية . واتسع التعليم الثانوي والجامعي ذلك الاتساع الهائل وتطورت البلاد

 واجمع النقاد على تشييمها الى القر الاخير ، وعلى انها مضجرة مملعة طوال ثلاث ساعات .
 ولا كان النجاح قد جعل من اوسبورن صبيا مدلا ، فقد قابل هذا النقد بروح سيئة جدا ، فراح يهاجم النقاد ويقول ان ليس فيهم واحد جدير بان يفهم مسرحيته ، بل هاجم الحضور ايضا وقال ان هتافاتهم المعادية في الحفلة الاولى تدل على جهلهم وعدم فهمهم التام لعمله ..
 ولكن « ليست هناك غيمة لا تحمل الفضة » كما يقول المثل البريطاني الذي يمكن تطبيقه هنا : فان الضجة التي قامت حول افلاس هذه المسرحية في الحفلات الاولى قد ايقظت فضول الجمهور ، فاذا هو يحاصر نوافذ التذاكر ويقبل اقبالا منقطع النظر على مشاهدة المسرحية التي تثير هذه الضجة كلها !

وتطورت حاجاتها وتطور المجتمع ومع ذلك فلم تتطور اهداف التعليم ولا مناهجه ولا برامجه لتتلاءم وشروط الحياة الجديدة .. فما يزال التعليم النظري طاغيا اذ ان المدرسة الثانوية لا تعرف الا فرعين من فروع التعليم : ادبي وعلمي .. لقد حصل في لنهاج اكثر من اربع تعديلات في السنوات الثلاث الماضية ومع ذلك لم تتحسن السياسة التربوية لان كل التعديلات السابقة هي ترميم لنظام عتيق بال . فالدولة قد اخذت فوق كفايتها من الموظفين بل استطيع ان اجزم بان وضع حملة الشهادات قد اخذ يشكل ازمة ، فهم يتزايدون كل عام بينما تقلل امكانيات التوظيف بشكل ظاهر . وقد اصبح وضع الطبقة المتوسطة التي تحترم العلم وتطمح الى رفع مستوى ابنائها ، وضعا محرجا تجاه سياسة التعليم النظري ، فانت ترى الطالب يائسا قبل ان يدخل الجامعة . انه يتساءل : ليس امامي سوى الاداب والحقوق فايها اجدى ؟ والحق ان مستقبله في كف عفريت .

اما اذا كان من الفرع العلمي فليس امامه سوى الطب او كلية العلوم .. وهذه الاخيرة انشئت لتخريج اساتذة علوم الا ان حاجات المجتمع المتزايد قد افسحت لطلابها فرصا ذهبية واتاحت لهم ان يخدموا بلادهم فسي مختلف الحقول العلمية البسيطة .. ومن ان اتجه الطلاب الثانويين يميل اكثره نحو الفرع العلمي ومع ان حاجة البلاد تشتد اليهم فان كلية العلوم لم تتوسع ولم تتجاوب مع هذه الموجة الطاغية بل ان موقفها من امال الجيل الطالع ومن متطلبات التطور الصناعي لموقف يدعو الى الاسف ولا يقع اكثر العبء في ذلك الا على ميزانيتها الضئيلة التي اضطرت المسؤولين - حرصا على مستوى التعليم فيها - ان يسدوا الابواب في وجوه الطلاب بان يرفعوا معدل علامات القبول الى حدود عالية جدا . وهذا الحل ليس في صالح الكلية ولا غيرها ، في حين ان كلية الحقوق مثلا قد واجهت كثرة الطلاب بانشاء فروع حديثة فيها ، فاضيفت كلية التجارة الى كلية الحقوق وكلية التربية الى كلية الاداب . وعلى كل حال فان هذه الاجراءات لم تعد تحل اية مشكلة اذ ان المسؤولين لم يقدموا على قلب سياسة التعليم وتبني اهداف جديدة حتى الان .

يجب ان يكون الهدف الجديد للتربية والتعليم تخرج عمال اختصاصيين للمصانع والصناعات الحديثة والبدء بذلك منذ المرحلة المتوسطة بل والابتدائية . ان الاقليم الشمالي قد عرف مشاريع الخمس سنوات والسير حسب سياسة مخططة مرسومة ، بعد قيام الوحدة ، ونرجو ان يشمل التخطيط الصناعي الجديد مناهج التعليم ويكون البدء بانشاء مدارس متوسطة للصناعات منذ العام القادم على غرار مدارس « البوليتكنيك » في اوربا ، كما يرقق ذلك باحداث كليات للكهرباء ، والميكانيك فنستغني عن ايفاد البعثات الى البلاد الاجنبية ونوفر على طلابنا غير المقبولين مشقة السفر على حسابهم الى البلاد الاجنبية ففي ألمانيا الغربية وحدها اكثر من خمسمائة طالب سوري في مختلف الفروع العلمية ، ولا نضع جهود طلاب العلوم بتحويلهم الى كليتي الاداب او الحقوق بل نفسح المجال لامكانياتهم العملية كي تستفيد منهما بلادنا عوضا عن استيراد خبراء اجانب .

النشاط الثماني في فرنسا

فرنسا

معركة الجزائر « الفكرية »

تستمر رحي « معركة الجزائر » في اوساط الاحرار من المثقفين الفرنسيين ، وتزداد حدة الحرب الجزائرية التي لم تضعف لحظة ، والتي كان الاستعماريون وما يزالون يرجون ان تنتهي بانتصار القوات الفرنسية . وكانت هذه الاوساط الحرة قد امتلات املا بمجيء الجنرال ديغول الى الحكم ، اذ كانت تعلق عليه امنية العمل على انهاء الحرب الجزائرية والاعتراف باستقلال الجزائر والتفاوض مع جبهة التحرير الوطنية على هذا الاساس . ولكن هذه الاوساط فقدت كل آمالها الان ، اذ تكشف الجنرال ديغول عن عقلية لا تقل في نزعتها الاستعمارية عن اية عقلية رجعية حكمت فرنسا حتى الان . ولا يخفي عدد من المفكرين الاحرار هذه الخيبة ، بل يجاهر بها وينفض يده من ديغول ويعلن ان رئيس الجمهورية الحالي يسير بالجمهورية في طريق الهلاك .

وكان الكاتب المعروف فرانسوا موريالك قد وقف في الماضي مواقف



محمودة من قضية الحرب الجزائرية ودعا مرارا الى وضع حد لها ، وعبر عن امله في ان يستطيع ديغول ان ينهيها . غير ان ثقته برئيس جمهوريته كانت ولا تزال اكبر مما ينبغي ، وهذا ما جعل موقفه الاخير مترجحا غير واضح ، بل يبدو انه تراجع عن بعض افكاره التحررية واصبح يلتمس المبررات لاستمرار حرب الجزائر . وقد اثار هذا الموقف المترجح كاتبنا حرا كان دائما يشجب استمرار تلك الحرب ويدعو الى الاعتراف بالشخصية الجزائرية ، وهو « كلود بورديه » رئيس تحرير مجلة « فرانس اوبسرفاتور » .

وقد تحدث بورديه في مقال له نشر بالعدد ٧٨ من مجلته عن « الديفولية » وتطورها بصدد الرد على مقال لفرنسوا موريالك نشر اخيرا في مجلة « اكسبريس » ، فقال بورديه ان ثمانين بالمئة من الفرنسيين انضموا في الصيف الماضي الى الديفولية ثقة منهم بانها ستفقد فرنسا .

اما اليوم « فان المعنى الدقيق للديفولية يزداد وضوحا كل يوم بالنسبة لكل فرنسي . فان الانسان ديفولي اكثر فاكثرا كلما ازداد تأييدا لحرب الجزائر ، ولتعذيب الجزائريين ، ولانحطاط بعض الشعوب ولعدم تساوي بعض الطبقات ، وكلما ازداد ايمانا بان الحرب ظاهرة تاريخية لا يمكن تجنبها ، اي كلما كان منتشيا الى اليمين . »

ثم عرض بورديه لمقال موريالك الذي عبر فيه عن الاضطراب الشديد الذي استولى عليه بعض قراء كتاب « الفنغرينا » La Gangrène فقال بورديه : « لقد اصيب موريالك باضطراب لدى قراءة هذا الكتاب الذي يتحدث عن التعذيب ، هذا التعذيب الذي يمتد من الجزائر حتى يبلغ الان الارض الفرنسية حيث يقذب بعض الجزائريين في سجن قريب من قصر « الاليزيه » ولكن المقال الذي يعرض فيه عواطفه هو من الغرابة بحيث نعتقد ان نوعا آخر من الفنغرينا يصيب موريالك نفسه ... فماذا يقول عن ذلك التعذيب ؟ انه لا ينكره .. ولكنه يشرح .. واية شروح هي ! فهو يعتقد ان التعذيب هو مرض العصر ، عصر اهراب واهراب معاكس ... وهذه القدرية هي قدرية اليمين من غير شك .. ويتابع موريالك بان التعذيب « يستمر كالسابق » كان الاستمرار في رايه نوع من العذر والتبرير ، هو ينسى ان الحكومات السابقة كانت حكومات ضعيفة تجاه الجيش والبوليس ، وان الحكومة الحالية هي حكومة قوية ... ثم ان التعذيب قد انتشر ولا يزال يشيع في فرنسا تحت حكم الجنرال ديغول ، من غير ان يضعف في الجزائر نفسها . فحتى لو فرضنا ان هذا العهد لا يقل ضعفا عن المهورد الماضية تجاه السلطة التي يمارسها الجيش والبوليس في الجزائر ، فان ما يحدث في فرنسا نفسها يتعلق مباشرة به ، والوزراء هم المسؤولون المباشرون عن كل تعذيب ، وعن كل ضجة الم . ولان موريالك يريد ان يخلي الحكومة من اية مسؤولية ، فانه يربط حتمية التعذيب بقوة آله : البوليس . البوليس الذي تحول الى كائن مستقل ، والى تجسد عضوي ضروري لا سبيل الى تفاديه ، كقوة الهية قدرية ... والاغرب انه يتوجه الى هذا البوليس المؤله لينبعت من وسطه شرطي بطل يهدم التعذيب ! فالى اي حد من عدم التفهم يمكن للرغبة الموهوسة برفض الوقائع ان تقود كاتبنا كبيرا ! ان التعذيب لا يمكن ان يزول ما دامت الحكومة تواجهه بالتفاضي والصمت ، وما دامت تكم افواه الذين يرسلون اشارات الخطر والاحتجاج ، وما دام هذا العهد يعتقد مثل موريالك بان التعذيب شيء قدرتي حتمي ! ولكن ما معنى احتجاجك السابق ، يا سيد موريالك ، على الفستابو حين كنت تقول « ان عهدا من الارهاب المعاكس هو عهد تعذيب ! » ولماذا كنت تحارب ضد اعمال تكتفي اليوم بشرحها وتبريرها ؟ »

وينهي بورديه مقاله بان يوجه الى موريالك هذه العبارات : « انك تدخل معسكر اليمين ، وتبني انفعالاته ، وتقع في شرك منطقته . ولكني لا اود ان اصدق ذلك . فقد تداركت نفسك مرات عديدة ، اذ انتزعك حب العدل والحق من هذا الميل الذي حدا بك في الماضي الى « الشرح » و « التسامح » و « التبرير » . ان الوهم يتنمق الان في كل مكان ، فهل تظل اخر من يفديه ؟ ان امامك فرصة وحيدة للمساعدة

النشاط الثماني في الفـسـر

ومن جهة أخرى ، يدي اهرنبورغ مزيدا من العداء للكونفورميزم .
فبينما يحرص خروثشيف في خطابه « التساهل » بمؤتمر الكتاب
السوفيات على ضرورة التمييز الذي تؤمن به الواقعية الاشتراكية بين
شخصيات الروايات « الايجابيين » و « السلبيين » نرى اهرنبورغ يطرح
هذه الفكرة ويتساءل : « اكون انا كارينا بطة ايجابية ؟ لقد كان
تولستوي يحبها ولكنه لا يعتبرها مثالية . او يكون جوليان سورال بطلا
سلبيا ؟ لقد كشف ستاندال عن مساوئه العميقة ، ولكنه كان مع ذلك يكن
له حبا عميقا لا يحاول ان يخيفه ... » ان على الكاتب ان يبرز
اشخاصه « كما هم في خطوطهم الايجابية والسلبية »
وهكذا لا يبدو ايليا اهرنبورغ كبطل « للمعارضة البناءة » فحسب
بالنسبة للادب السوفياتي ، بل هو بهذه التصريحات التي ادلى بها لمجلة
« ليتراتوريانايا غازيتا » يثبت بان النزعة التي يتزعمها قد نالت الان
حق التعبير عن نفسها . ولا ريب في اننا سنعرف عن قريب الى حد
يستطيع ذلك .

انكسار

نجم بين التالى والانطفاء ...

لم يعرف كاتب انكليزي معاصر شهرة سريعة متألقة كالتى عرفها جون
اوسبورن John Osborne . فمئذ ثلاثة اعوام فقط ، لم يكن اكثر
من ممثل عادي في السادسة والعشرين من عمره ، يبحث عن طابع
شخصي له من غير ان يجده . وفجأة اصبح بين ليلة وضحاها مشهورا
وغنيا الى ابد ما كان يعلم بعد تقديم مسرحيته الكوميديا الريبة
في المسرح الملكي . وقد اصبح بطل Look Back in anger
هذه المسرحية المنتقمة ، واسمه جيمي بوتر ، رمزا للجيل الفتى من
« التمردين بلا سبب . »

وبعد ذلك بعام ، كان اوسبورن يجدد انتصاره برواية The Entertainer
الذي كان بطلها ممثلا هزليا (قام بتمثيل دوره ببراعة السر لورانس
اوليفيه) لا يختلف عن بطل الرواية السابقة الا بان السن والخمس
والانحراف قد اضرت به ضررا كبيرا . وفي السنة الماضية ظهر ان مسرحيته
Epitaph for George Dillon ذات قماشة مماثلة : فالبطل الرئيسي
الذي يؤثّر المؤلف بحبه دون ريب هو انسان غريب شاذ شديد الانانية .
يستغل بلامه الود الذي يوحيه للناس .
وقد اظهر المؤلف في هذه الروايات الثلاث موهبة نادرة في الحوار ،
ولكن تشابه المسرحيات وضعف الحركة الدرامية فيها يوحيان بعض
التحفظ قبل الحكم على اوسبورن بأنه اكبر كاتب دراماتي في جيله .
وكانما اراد ان يؤكد مخاوف المعجبين به وماخذ نقاده ، فقدم اخيرا
في لندن مسرحيته الانتقادية الجديدة « عالم بول سليكي The world of Paul Slicky
ومع ذلك ، فقد ضمنها المؤلف فنا بارعا في انتقاد تبذل بعض
الصحف ذات الانتشار الواسع التي تستغل اعصاب القراء وميولهم الى
الفصائح والى « الاخبار المثيرة » ، واشرك في روايته موسيقيا كبيرا
ومهندسا معروفا وموزعا مشهورا ساهموا جميعا في الرواية . ولكن
بالرغم من ذلك ، ومن دعاية واسعة ، سقطت هذه المسرحية الاوبريت ،

على تفادي الاسوأ ، بدلا من ان تجعله اكثر امكانية للتحقق فيما انت
تحذر الراي العام . وهذه الفرصة هي في ان تكف عن الاهتمام بتبرير
الجنرال ديفول . قل الحقيقة . »
مفكر حر آخر ...

هذا مظهر من مظاهر المعركة الفكرية التي يقودها بعض المفكرين الاحرار
في فرنسا ، والذين تعلق الامال عليهم اكثر مما تعلق على ديفول وطفمته
من الوزراء في ايجاد حل عادل للقضية الجزائرية . وهناك مفكر اخر
هو جان جاك سرفان شرايبر رئيس تحرير مجلة « اكسبريس » يعبر
هو ايضا عن رأي الحق والعدل في جريدته ، ويجابه قوى رجعية شريرة
في كل يوم ، ويجمع حوله جماعة من المتحررين الذين لا يرون في حرب
الجزائر الا طعنة للضمير الانساني والعدالة الحققة . وقد اصيب شرايبر
في اجتماع اخير عقده « الاتحاد الوطني لمحاربي الجزائر القدماء » في
مدينة ليون بعدة جروح اذ هاجمه عدد من الرجعيين الذين ينتمون
الى حركات اليمين بالعصي واللكمات مع فريق من مؤيديه ، فنجحوا في
تعطيل الاجتماع ، ولكنهم لم ينجحوا في حمل شرايبر وزملائه على
التراجع عن موقفهم الشريف ، فدعوا الى عقد اجتماعات اخرى قرروا
ان يقابلوا فيها القوة بالقوة .

كتاب « التعفن » ...

اما كتاب « الفغرينا » (اي التعفن) فهو الكتاب الثاني الذي صدره
البوليس الفرنسي بعد كتاب « الجلاذون » الذي صودر منذ اشهر (1).
ولكن خمسة الاف نسخة من الكتاب كانت قد وزعت حين بدأ البوليس
بمصادرته ، فانتشر مضمونه في الاوساط ، وهو مجموعة وثائق واعترافات
قدمها خمسة من الجزائريين اصابوا الوانا عجيبة من التعذيب في احد
سجون باريس . وقد زعم امر المصادرة بان هذه الوثائق كاذبة وقد
اخترعها كاتبان شيوعيان .

الاتحاد السوفياتي

معارضة اهرنبورغ البناءة ...

نشرت مجلة « ليتراتوريانايا غازيتا » في عددها الصادر في ٩ حزيران
الماضي مقابلة مع الكاتب الكبير ايليا اهرنبورغ . وهذا الامر وحده ذو
مغزى ، بعد مؤتمر الكتاب السوفيات الذي عقد منذ شهر في موسكو ،
ذلك ان هذه المجلة كفت منذ عامين او ثلاثة عن التحدث عن اهرنبورغ ،
الا لتنتقد انحرافاته عن الخط الرسمي للادب السوفياتي !
وقد عني ايليا اهرنبورغ في هذا الحديث الصحفي عناية كبيرة بوضع
« النقاط على الحروف » . فقد سأل الصحفي عن مشاريعه فاجاب :
« لم اجد في مجلة « ليتراتوريانايا غازيتا » ولا في اي من المجلات
والنشرات الاخرى مقالا واحدا مخصصا لاحد مؤلفاتي الاخيرة . ولست
اقول ذلك في معرض الشكوى ، فانا لا ازمع ان ما اكتبه ذو أهمية
خاصة وان من الضروري التحدث عنه في الصحف . كل ما في الامر اني
اجهد لآكون منطقيا . فاذا كان جلد الدببة التي قتلت لاسترعي انتباه
نقادنا - فما جدوى التحدث عن جلود الدببة التي لم تقتل بعد ؟ »

(1) صدرت بالمرية عن « دار الاداب » ترجمة عابدة وسهيل ادريس

النشاط الثقافي في الوطن العربي

الجمهورية العربية السورية

الاقليم الشمالي

نحو سياسة التعليم الصناعي

لمراسل الاداب في دمشق

✱

حين جلا العثمانيون عن هذه البلاد وكانت في امس الحاجة الى التنظيم وتاكيد شيئين : ١ - عروبته - ٢ - ارادة العيش المشترك بين ابنائها على مختلف نزعاتهم . لذلك عمل المسؤولون على انشاء مدارس .. مدارس من كل نمط ولون ...

لم يكن يهم كيف تكون هذه المدارس بمقدار ما يهم ان يكون في كل منطقة مدرسة . وقد سارت اكثر الحكومات على هذه السياسة حتى كان في الاقليم الشمالي عام الجلاء « ١٩٤٥ » مايقرب من ثمانين مدرسة وبعد الجلاء .. ايام الحكم الوطني رغم الاضطرابات والهزات التي عانتها البلاد من انقلابات وتضارب الاحزاب فقد اضطرت كل الحكومات المتعاقبة تحت ضغط الاهالي ان تسير على سياسة التوسع في التعليم حتى صار عدد المدارس الثانوية في العام الدراسي ١٩٥٢ - ١٩٥٤ « ٢١٢ » مدرسة وقفز هذا العدد الى ٢٨٦ مدرسة ثانية في سنة ١٩٥٨ . وقد رافق هذا النمو العددي في التعليم الثانوي نمو عددي اخر فسي التعليم الجامعي فقفز عدد طلاب الجامعة من ٢٤٣٤ طالبا سنة ١٩٤٨ الى ٤٩٨٥ طالبا سنة ١٩٥٤ .

وكانت حاجة البلاد الى الموظفين اهم اسباب انشاء الجامعة فقد اسست كلية الطب وكلية الحقوق اولا ثم كليتا الاداب والعلوم لاعداد مدرسي التعليم الثانوي ، وكانت غاية التعليم الثانوي تنشئة طبقة متعلمة تصلح للوظائف الصغيرة واعداد هذه الطبقة للدراسات العالية . واتسع التعليم الثانوي والجامعي ذلك الاتساع الهائل وتطورت البلاد

 واجمع النقاد على تشييمها الى القر الاخير ، وعلى انها مضجرة مملعة طوال ثلاث ساعات .
 ولا كان النجاح قد جعل من اوسبورن صبيا مدلا ، فقد قابل هذا النقد بروح سيئة جدا ، فراح يهاجم النقاد ويقول ان ليس فيهم واحد جدير بان يفهم مسرحيته ، بل هاجم الحضور ايضا وقال ان هتافاتهم المعادية في الحفلة الاولى تدل على جهلهم وعدم فهمهم التام لعمله ..
 ولكن « ليست هناك غيمة لا تحمل الفضة » كما يقول المثل البريطاني الذي يمكن تطبيقه هنا : فان الضجة التي قامت حول افلاس هذه المسرحية في الحفلات الاولى قد ايقظت فضول الجمهور ، فاذا هو يحاصر نوافذ التذاكر ويقبل اقبالا منقطع النظر على مشاهدة المسرحية التي تثير هذه الضجة كلها !

وتطورت حاجاتها وتطور المجتمع ومع ذلك فلم تتطور اهداف التعليم ولا مناهجه ولا برامجه لتتلاءم وشروط الحياة الجديدة .. فما يزال التعليم النظري طاغيا اذ ان المدرسة الثانوية لا تعرف الا فرعين من فروع التعليم : ادبي وعلمي .. لقد حصل في لنهاج اكثر من اربع تعديلات في السنوات الثلاث الماضية ومع ذلك لم تتحسن السياسة التربوية لان كل التعديلات السابقة هي ترميم لنظام عتيق بال . فالدولة قد اخذت فوق كفايتها من الموظفين بل استطيع ان اجزم بان وضع حملة الشهادات قد اخذ يشكل ازمة ، فهم يتزايدون كل عام بينما تقلل امكانيات التوظيف بشكل ظاهر . وقد اصبح وضع الطبقة المتوسطة التي تحترم العلم وتطمح الى رفع مستوى ابنائها ، وضعا محرجا تجاه سياسة التعليم النظري ، فانت ترى الطالب يائسا قبل ان يدخل الجامعة . انه يتسائل : ليس امامي سوى الاداب والحقوق فايها اجدى ؟ والحق ان مستقبله في كف عفريت .

اما اذا كان من الفرع العلمي فليس امامه سوى الطب او كلية العلوم .. وهذه الاخيرة انشئت لتخريج اساتذة علوم الا ان حاجات المجتمع المتزايد قد افسحت لطلابها فرصا ذهبية واتاحت لهم ان يخدموا بلادهم فسي مختلف الحقول العلمية البسيطة .. ومن ان اتجاه الطلاب الثانويين يميل اكثره نحو الفرع العلمي ومع ان حاجة البلاد تشتد اليهم فان كلية العلوم لم تتوسع ولم تتجاوب مع هذه الموجة الطاغية بل ان موقفها من امال الجيل الطالع ومن متطلبات التطور الصناعي لموقف يدعو الى الاسف ولا يقع اكثر العبء في ذلك الا على ميزانيتها الضئيلة التي اضطرت المسؤولين - حرصا على مستوى التعليم فيها - ان يسدوا الابواب في وجوه الطلاب بان يرفعوا معدل علامات القبول الى حدود عالية جدا . وهذا الحل ليس في صالح الكلية ولا غيرها ، في حين ان كلية الحقوق مثلا قد واجهت كثرة الطلاب بانشاء فروع حديثة فيها ، فاضيفت كلية التجارة الى كلية الحقوق وكلية التربية الى كلية الاداب . وعلى كل حال فان هذه الاجراءات لم تعد تحل اية مشكلة اذ ان المسؤولين لم يقدموا على قلب سياسة التعليم وتبني اهداف جديدة حتى الان .

يجب ان يكون الهدف الجديد للتربية والتعليم تخرج عمال اختصاصيين للمصانع والصناعات الحديثة والبدء بذلك منذ المرحلة المتوسطة بل والابتدائية . ان الاقليم الشمالي قد عرف مشاريع الخمس سنوات والسير حسب سياسة مخططة مرسومة ، بعد قيام الوحدة ، ونرجو ان يشمل التخطيط الصناعي الجديد مناهج التعليم ويكون البدء بانشاء مدارس متوسطة للصناعات منذ العام القادم على غرار مدارس « البوليتكنيك » في اوربا ، كما يرقق ذلك باحداث كليات للكهرباء ، والميكانيك فنستغني عن ايفاد البعثات الى البلاد الاجنبية ونوفر على طلابنا غير المقبولين مشقة السفر على حسابهم الى البلاد الاجنبية ففي ألمانيا الغربية وحدها اكثر من خمسمائة طالب سوري في مختلف الفروع العلمية ، ولا نضع جهود طلاب العلوم بتحويلهم الى كليتي الاداب او الحقوق بل نفسح المجال لامكانياتهم العملية كي تستفيد منهما بلادنا عوضا عن استيراد خبراء اجانب .

النشاط الثماني في فرنسا

فرنسا

معركة الجزائر « الفكرية »

تستمر رحي « معركة الجزائر » في اوساط الاحرار من المثقفين الفرنسيين ، وتزداد حدة الحرب الجزائرية التي لم تضعف لحظة ، والتي كان الاستعماريون وما يزالون يرجون ان تنتهي بانتصار القوات الفرنسية . وكانت هذه الاوساط الحرة قد امتلات املا بمجيء الجنرال ديغول الى الحكم ، اذ كانت تعلق عليه امنية العمل على انهاء الحرب الجزائرية والاعتراف باستقلال الجزائر والتفاوض مع جبهة التحرير الوطنية على هذا الاساس . ولكن هذه الاوساط فقدت كل آمالها الان ، اذ تكشف الجنرال ديغول عن عقلية لا تقل في نزعتها الاستعمارية عن اية عقلية رجعية حكمت فرنسا حتى الان . ولا يخفي عدد من المفكرين الاحرار هذه الخيبة ، بل يجاهر بها وينفض يده من ديغول ويعلن ان رئيس الجمهورية الحالي يسير بالجمهورية في طريق الهلاك .

وكان الكاتب المعروف فرانسوا موريالك قد وقف في الماضي مواقف



محمودة من قضية الحرب الجزائرية ودعا مرارا الى وضع حد لها ، وعبر عن امله في ان يستطيع ديغول ان ينهيها . غير ان ثقته برئيس جمهوريته كانت ولا تزال اكبر مما ينبغي ، وهذا ما جعل موقفه الاخير مترجحا غير واضح ، بل يبدو انه تراجع عن بعض افكاره التحررية واصبح يلتمس المبررات لاستمرار حرب الجزائر . وقد اثار هذا الموقف المترجح كاتبنا حرا كان دائما يشجب استمرار تلك الحرب ويدعو الى الاعتراف بالشخصية الجزائرية ، وهو « كلود بورديه » رئيس تحرير مجلة « فرانس اوبسرفاتور » .

وقد تحدث بورديه في مقال له نشر بالعدد ٧٨ من مجلته عن « الديفولية » وتطورها بصدد الرد على مقال لفرنسوا موريالك نشر اخيرا في مجلة « اكسبريس » ، فقال بورديه ان ثمانين بالمئة من الفرنسيين انضموا في الصيف الماضي الى الديفولية ثقة منهم بانها ستفقد فرنسا .

اما اليوم « فان المعنى الدقيق للديفولية يزداد وضوحا كل يوم بالنسبة لكل فرنسي . فان الانسان ديفولي اكثر فاكثرا كلما ازداد تأييدا لحرب الجزائر ، ولتعذيب الجزائريين ، ولانحطاط بعض الشعوب ولعدم تساوي بعض الطبقات ، وكلما ازداد ايمانا بان الحرب ظاهرة تاريخية لا يمكن تجنبها ، اي كلما كان منتشيا الى اليمين . »

ثم عرض بورديه لمقال موريالك الذي عبر فيه عن الاضطراب الشديد الذي استولى عليه بعض قراء كتاب « الفنغرينا » La Gangrène فقال بورديه : « لقد اصيب موريالك باضطراب لدى قراءة هذا الكتاب الذي يتحدث عن التعذيب ، هذا التعذيب الذي يمتد من الجزائر حتى يبلغ الان الارض الفرنسية حيث يقبض بعض الجزائريين في سجن قريب من قصر « الاليزيه » ولكن المقال الذي يعرض فيه عواطفه هو من الغرابة بحيث نعتقد ان نوعا آخر من الفنغرينا يصيب موريالك نفسه ... فماذا يقول عن ذلك التعذيب ؟ انه لا ينكره .. ولكنه يشرح .. واية شروح هي ! فهو يعتقد ان التعذيب هو مرض العصر ، عصر اهراب واهراب معاكس ... وهذه القدرية هي قدرية اليمين من غير شك .. ويتابع موريالك بان التعذيب « يستمر كالسابق » كان الاستمرار في رايه نوع من العذر والتبرير ، هو ينسى ان الحكومات السابقة كانت حكومات ضعيفة تجاه الجيش والبوليس ، وان الحكومة الحالية هي حكومة قوية ... ثم ان التعذيب قد انتشر ولا يزال يشيع في فرنسا تحت حكم الجنرال ديغول ، من غير ان يضعف في الجزائر نفسها . فحتى لو فرضنا ان هذا العهد لا يقل ضعفا عن المهور الماضية تجاه السلطة التي يمارسها الجيش والبوليس في الجزائر ، فان ما يحدث في فرنسا نفسها يتعلق مباشرة به ، والوزراء هم المسؤولون المباشرون عن كل تعذيب ، وعن كل ضجة الم . ولان موريالك يريد ان يخلي الحكومة من اية مسؤولية ، فانه يربط حتمية التعذيب بقوة الله : البوليس . البوليس الذي تحول الى كائن مستقل ، والى تجسد عضوي ضروري لا سبيل الى تفاديه ، كقوة الهية قدرية ... والاغرب انه يتوجه الى هذا البوليس المؤله لينبثق من وسطه شرطي بطل يهدم التعذيب ! فالى اي حد من عدم التفهم يمكن للرغبة الموهوسة برفض الوقائع ان تقود كاتبنا كبيرا ! ان التعذيب لا يمكن ان يزول ما دامت الحكومة تواجهه بالتفاضي والصمت ، وما دامت تكلم افواه الذين يرسلون اشارات الخطر والاحتجاج ، وما دام هذا العهد يعتقد مثل موريالك بان التعذيب شيء قدرتي حتمي ! ولكن ما معنى احتجاجك السابق ، يا سيد موريالك ، على الفستابو حين كنت تقول « ان عهدا من الارهاب المعاكس هو عهد تعذيب ! » ولماذا كنت تحارب ضد اعمال تكتفي اليوم بشرحها وتبريرها ؟ »

وينهي بورديه مقاله بان يوجه الى موريالك هذه العبارات : « انك تدخل معسكر اليمين ، وتبني انفعالاته ، وتقع في شرك منطقته . ولكني لا اود ان اصدق ذلك . فقد تداركت نفسك مرات عديدة ، اذ انتزعك حب العدل والحق من هذا الميل الذي حدا بك في الماضي الى « الشرح » و « التسامح » و « التبرير » . ان الوهم يتنمق الان في كل مكان ، فهل تظل اخر من يفديه ؟ ان امامك فرصة وحيدة للمساعدة

النشاط الثماني في الفـسـر

ومن جهة أخرى ، يبدى اهرنبورغ مزيدا من العداء للكونفورميزم . فبينما يحرص خروثشيف في خطابه « المتساهل » بمؤتمر الكتاب السوفيات على ضرورة التمييز الذي تؤمن به الواقعية الاشتراكية بين شخصيات الروايات « الايجابيين » و « السلبيين » نرى اهرنبورغ يطرح هذه الفكرة ويتساءل : « اكون انا كارينا بطة ايجابية ؟ لقد كان تولستوي يحبها ولكنه لا يعتبرها مثالية . او يكون جوليان سورال بطلا سلبيا ؟ لقد كشف ستاندال عن مساوئه العميقة ، ولكنه كان مع ذلك يكن له حبا عميقا لا يحاول ان يخيفه ... » ان على الكاتب ان يبرز اشخاصه « كما هم في خطوطهم الايجابية والسلبية » وهكذا لا يبدو ايليا اهرنبورغ كبطل « للمعارضة البناءة » فحسب بالنسبة للادب السوفياتي ، بل هو بهذه التصريحات التي ادلى بها لمجلة « ليتراتوريانايا غازيتا » يثبت بان النزعة التي يتزعمها قد نالت الان حق التعبير عن نفسها . ولا ريب في اننا سنعرف عن قريب الى حد يستطيع ذلك .

انكسار

نجم بين التالى والانطفاء ...

لم يعرف كاتب انكليزي معاصر شهرة سريعة متألقة كالتي عرفها جون اوسبورن John Osborne . فمئذ ثلاثة اعوام فقط ، لم يكن اكثر من ممثل عادي في السادسة والعشرين من عمره ، يبحث عن طابع شخصي له من غير ان يجده . وفجأة اصبح بين ليلة وضحاها مشهورا وغنيا الى ابعد مما كان يعلم بعد تقديم مسرحيته الكوميديا الريفية في المسرح الملكي . وقد اصبح بطل Look Back in anger هذه المسرحية المنتقمة ، واسمه جيمي بوتر ، رمزا للجيل الفتى من « التمردين بلا سبب . »

وبعد ذلك بعام ، كان اوسبورن يجدد انتصاره برواية The Entertainer الذي كان بطلها ممثلا هزليا (قام بتمثيل دوره ببراعة السر لورانس اوليفيه) لا يختلف عن بطل الرواية السابقة الا بان السن والخمس والانحراف قد اضرت به ضررا كبيرا . وفي السنة الماضية ظهر ان مسرحيته Epitaph for George Dillon ذات قماشة مماثلة : فالبطل الرئيسي الذي يؤثّر المؤلف بحبه دون ريب هو انسان غريب شاذ شديد الانانية . يستغل بلامه الود الذي يوحيه للناس . وقد اظهر المؤلف في هذه الروايات الثلاث موهبة نادرة في الحوار ، ولكن تشابه المسرحيات وضعف الحركة الدرامية فيها يوحيان بعض التحفظ قبل الحكم على اوسبورن بأنه اكبر كاتب دراماتي في جيله . وكانما اراد ان يؤكد مخاوف المعجبين به وماخذ نقاده ، قدم اخيرا في لندن مسرحيته الانتقادية الجديدة « عالم بول سليكي The world of Paul Slicky ومع ذلك ، فقد ضمنها المؤلف فنا بارعا في انتقاد تبذل بعض الصحف ذات الانتشار الواسع التي تستغل اعصاب القراء وميولهم الى الفضائح والى « الاخبار المثيرة » ، واشرك في روايته موسيقيا كبيرا ومهندسا معروفا وموزعا مشهورا ساهموا جميعا في الرواية . ولكن بالرغم من ذلك ، ومن دعاية واسعة ، سقطت هذه المسرحية الاوبريت ،

على تفادي الاسوأ ، بدلا من ان تجعله اكثر امكانية للتحقق فيما انت تحذر الرأي العام . وهذه الفرصة هي في ان تكف عن الاهتمام بتبرير الجنرال ديفول . قل الحقيقة . »
مفكر حر آخر ...

هذا مظهر من مظاهر المعركة الفكرية التي يقودها بعض المفكرين الاحرار في فرنسا ، والذين تعلق الامال عليهم اكثر مما تعلق على ديفول وطفمته من الوزراء في ايجاد حل عادل للقضية الجزائرية . وهناك مفكر اخر هو جان جاك سرفان شرايبر رئيس تحرير مجلة « اكسبريس » يعبر هو ايضا عن رأي الحق والعدل في جريدته ، ويجابه قوى رجعية شريرة في كل يوم ، ويجمع حوله جماعة من المتحررين الذين لا يرون في حرب الجزائر الا طعنة للضمير الانساني والعدالة الحققة . وقد اصيب شرايبر في اجتماع اخر عقدته « الاتحاد الوطني لمحاربي الجزائر القدماء » في مدينة ليون بعدة جروح اذ هاجمه عدد من الرجعيين الذين ينتمون الى حركات اليمين بالعصي واللكمات مع فريق من مؤيديه ، فنجحوا في تعطيل الاجتماع ، ولكنهم لم ينجحوا في حمل شرايبر وزملائه على التراجع عن موقفهم الشريف ، فدعوا الى عقد اجتماعات اخرى قرروا ان يقابلوا فيها القوة بالقوة .

كتاب « التعفن » ...

اما كتاب « الفغرينا » (اي التعفن) فهو الكتاب الثاني الذي صدره البوليس الفرنسي بعد كتاب « الجلاذون » الذي صودر منذ اشهر (1) . ولكن خمسة الاف نسخة من الكتاب كانت قد وزعت حين بدأ البوليس بمصادرته ، فانتشر مضمونه في الاوساط ، وهو مجموعة وثائق واعترافات قدمها خمسة من الجزائريين اصابوا الوانا عجيبة من التعذيب في احد سجون باريس . وقد زعم امر المصادرة بان هذه الوثائق كاذبة وقد اخترعها كاتبان شيوعيان .

الاتحاد السوفياتي

معارضة اهرنبورغ البناءة ...

نشرت مجلة « ليتراتوريانايا غازيتا » في عددها الصادر في ٩ حزيران الماضي مقابلة مع الكاتب الكبير ايليا اهرنبورغ . وهذا الامر وحده ذو مغزى ، بعد مؤتمر الكتاب السوفيات الذي عقد منذ شهر في موسكو ، ذلك ان هذه المجلة كفت منذ عامين او ثلاثة عن التحدث عن اهرنبورغ ، الا لتنتقد انحرافاته عن الخط الرسمي للادب السوفياتي ! وقد عني ايليا اهرنبورغ في هذا الحديث الصحفي عناية كبيرة بوضع « النقاط على الحروف » . فقد سأل الصحفي عن مشاريعه فاجاب : « لم اجد في مجلة « ليتراتوريانايا غازيتا » ولا في اي من المجلات والنشرات الاخرى مقالا واحدا مخصصا لاحد مؤلفاتي الاخيرة . ولست اقول ذلك في معرض الشكوى ، فانا لا ازمع ان ما اكتبه ذو أهمية خاصة وان من الضروري التحدث عنه في الصحف . كل ما في الامر اني اجد لكون منطقيا . فاذا كان جلد الدببة التي قتلت لاسترعي انتباه نقادنا - فما جدوى التحدث عن جلود الدببة التي لم تقتل بعد ؟ »

(1) صدرت بالمرية عن « دار الاداب » ترجمة عابدة وسهيل ادريس

النشاط الثقافي في الوطن العربي

الجمهورية العربية السورية

الاقليم الشمالي

نحو سياسة التعليم الصناعي

لمراسل الاداب في دمشق

✱

حين جلا العثمانيون عن هذه البلاد وكانت في امس الحاجة الى التنظيم وتاكيد شيئين : ١ - عروبته - ٢ - ارادة العيش المشترك بين ابنائها على مختلف نزعاتهم . لذلك عمل المسؤولون على انشاء مدارس .. مدارس من كل نمط ولون ...

لم يكن يهم كيف تكون هذه المدارس بمقدار ما يهم ان يكون في كل منطقة مدرسة . وقد سارت اكثر الحكومات على هذه السياسة حتى كان في الاقليم الشمالي عام الجلاء « ١٩٤٥ » مايقرب من ثمانين مدرسة وبعد الجلاء .. ايام الحكم الوطني رغم الاضطرابات والهزات التي عانتها البلاد من انقلابات وتضارب الاحزاب فقد اضطرت كل الحكومات المتعاقبة تحت ضغط الاهالي ان تسير على سياسة التوسع في التعليم حتى صار عدد المدارس الثانوية في العام الدراسي ١٩٥٢ - ١٩٥٤ « ٢١٢ » مدرسة وقفز هذا العدد الى ٢٨٦ مدرسة ثانية في سنة ١٩٥٨ . وقد رافق هذا النمو العددي في التعليم الثانوي نمو عددي اخر فسي التعليم الجامعي فقفز عدد طلاب الجامعة من ٢٤٣٤ طالبا سنة ١٩٤٨ الى ٤٩٨٥ طالبا سنة ١٩٥٤ .

وكانت حاجة البلاد الى الموظفين اهم اسباب انشاء الجامعة فقد اسست كلية الطب وكلية الحقوق اولا ثم كليتا الاداب والعلوم لاعداد مدرسي التعليم الثانوي ، وكانت غاية التعليم الثانوي تنشئة طبقة متعلمة تصلح للوظائف الصغيرة واعداد هذه الطبقة للدراسات العالية . واتسع التعليم الثانوي والجامعي ذلك الاتساع الهائل وتطورت البلاد

 واجمع النقاد على تشييمها الى القر الاخير ، وعلى انها مضجرة مملعة طوال ثلاث ساعات .
 ولا كان النجاح قد جعل من اوسبورن صبيا مدلا ، فقد قابل هذا النقد بروح سيئة جدا ، فراح يهاجم النقاد ويقول ان ليس فيهم واحد جدير بان يفهم مسرحيته ، بل هاجم الحضور ايضا وقال ان هتافاتهم المعادية في الحفلة الاولى تدل على جهلهم وعدم فهمهم التام لعمله ..
 ولكن « ليست هناك غيمة لا تحمل الفضة » كما يقول المثل البريطاني الذي يمكن تطبيقه هنا : فان الضجة التي قامت حول افلاس هذه المسرحية في الحفلات الاولى قد ايقظت فضول الجمهور ، فاذا هو يحاصر نوافذ التذاكر ويقبل اقبالا منقطع النظر على مشاهدة المسرحية التي تثير هذه الضجة كلها !

وتطورت حاجاتها وتطور المجتمع ومع ذلك فلم تتطور اهداف التعليم ولا مناهجه ولا برامجه لتتلاءم وشروط الحياة الجديدة .. فما يزال التعليم النظري طاغيا اذ ان المدرسة الثانوية لا تعرف الا فرعين من فروع التعليم : ادبي وعلمي .. لقد حصل في لنهاج اكثر من اربع تعديلات في السنوات الثلاث الماضية ومع ذلك لم تتحسن السياسة التربوية لان كل التعديلات السابقة هي ترميم لنظام عتيق بال . فالدولة قد اخذت فوق كفايتها من الموظفين بل استطيع ان اجزم بان وضع حملة الشهادات قد اخذ يشكل ازمة ، فهم يتزايدون كل عام بينما تقلل امكانيات التوظيف بشكل ظاهر . وقد اصبح وضع الطبقة المتوسطة التي تحترم العلم وتطمح الى رفع مستوى ابنائها ، وضعا محرجا تجاه سياسة التعليم النظري ، فانت ترى الطالب يائسا قبل ان يدخل الجامعة . انه يتسائل : ليس امامي سوى الاداب والحقوق فايها اجدى ؟ والحق ان مستقبله في كف عفريت .

اما اذا كان من الفرع العلمي فليس امامه سوى الطب او كلية العلوم .. وهذه الاخيرة انشئت لتخريج اساتذة علوم الا ان حاجات المجتمع المتزايد قد افسحت لطلابها فرصا ذهبية واتاحت لهم ان يخدموا بلادهم فسي مختلف الحقول العلمية البسيطة .. ومن ان اتجه الطلاب الثانويين بميل اكثر نحو الفرع العلمي ومع ان حاجة البلاد تشتد اليهم فان كلية العلوم لم تتوسع ولم تتجاوب مع هذه الموجة الطاغية بل ان موقفها من امال الجيل الطالع ومن متطلبات التطور الصناعي لموقف يدعو الى الاسف ولا يقع اكثر العبء في ذلك الا على ميزانيتها الضئيلة التي اضطرت المسؤولين - حرصا على مستوى التعليم فيها - ان يسدوا الابواب في وجوه الطلاب بان يرفعوا معدل علامات القبول الى حدود عالية جدا . وهذا الحل ليس في صالح الكلية ولا غيرها ، في حين ان كلية الحقوق مثلا قد واجهت كثرة الطلاب بانشاء فروع حديثة فيها ، فاضيفت كلية التجارة الى كلية الحقوق وكلية التربية الى كلية الاداب . وعلى كل حال فان هذه الاجراءات لم تعد تحل اية مشكلة اذ ان المسؤولين لم يقدموا على قلب سياسة التعليم وتبني اهداف جديدة حتى الان .

يجب ان يكون الهدف الجديد للتربية والتعليم تخرج عمال اختصاصيين للمصانع والصناعات الحديثة والبدء بذلك منذ المرحلة المتوسطة بل والابتدائية . ان الاقليم الشمالي قد عرف مشاريع الخمس سنوات والسير حسب سياسة مخططة مرسومة ، بعد قيام الوحدة ، ونرجو ان يشمل التخطيط الصناعي الجديد مناهج التعليم ويكون البدء بانشاء مدارس متوسطة للصناعات منذ العام القادم على غرار مدارس « البوليتكنيك » في اوربا ، كما يرقق ذلك باحداث كليات للكهرباء ، والميكانيك فنستغني عن ايفاد البعثات الى البلاد الاجنبية ونوفر على طلابنا غير المقبولين مشقة السفر على حسابهم الى البلاد الاجنبية ففي ألمانيا الغربية وحدها اكثر من خمسمائة طالب سوري في مختلف الفروع العلمية ، ولا نضع جهود طلاب العلوم بتحويلهم الى كليتي الاداب او الحقوق بل نفسح المجال لامكانياتهم العملية كي تستفيد منهما بلادنا عوضا عن استيراد خبراء اجانب .

النشاط الثقافي في الوطن العربي

الجمهورية العربية السورية

الاقليم الشمالي

نحو سياسة التعليم الصناعي

لمراسل الاداب في دمشق

✱

حين جلا العثمانيون عن هذه البلاد وكانت في امس الحاجة الى التنظيم وتاكيد شيئين : ١ - عروبته - ٢ - ارادة العيش المشترك بين ابنائها على مختلف نزعاتهم . لذلك عمل المسؤولون على انشاء مدارس .. مدارس من كل نمط ولون ...

لم يكن يهم كيف تكون هذه المدارس بمقدار ما يهم ان يكون في كل منطقة مدرسة . وقد سارت اكثر الحكومات على هذه السياسة حتى كان في الاقليم الشمالي عام الجلاء « ١٩٤٥ » مايقرب من ثمانين مدرسة وبعد الجلاء .. ايام الحكم الوطني رغم الاضطرابات والهزات التي عانتها البلاد من انقلابات وتضارب الاحزاب فقد اضطرت كل الحكومات المتعاقبة تحت ضغط الاهالي ان تسير على سياسة التوسع في التعليم حتى صار عدد المدارس الثانوية في العام الدراسي ١٩٥٢ - ١٩٥٤ « ٢١٢ » مدرسة وقفز هذا العدد الى ٢٨٦ مدرسة ثانية في سنة ١٩٥٨ . وقد رافق هذا النمو العددي في التعليم الثانوي نمو عددي اخر فسي التعليم الجامعي فقفز عدد طلاب الجامعة من ٢٤٣٤ طالبا سنة ١٩٤٨ الى ٤٩٨٥ طالبا سنة ١٩٥٤ .

وكانت حاجة البلاد الى الموظفين اهم اسباب انشاء الجامعة فقد اسست كلية الطب وكلية الحقوق اولا ثم كليتا الاداب والعلوم لاعداد مدرسي التعليم الثانوي ، وكانت غاية التعليم الثانوي تنشئة طبقة متعلمة تصلح للوظائف الصغيرة واعداد هذه الطبقة للدراسات العالية . واتسع التعليم الثانوي والجامعي ذلك الاتساع الهائل وتطورت البلاد

 واجمع النقاد على تشييمها الى القر الاخير ، وعلى انها مضجرة مملعة طوال ثلاث ساعات .
 ولا كان النجاح قد جعل من اوسبورن صبيا مدلا ، فقد قابل هذا النقد بروح سيئة جدا ، فراح يهاجم النقاد ويقول ان ليس فيهم واحد جدير بان يفهم مسرحيته ، بل هاجم الحضور ايضا وقال ان هتافاتهم المعادية في الحفلة الاولى تدل على جهلهم وعدم فهمهم التام لعمله ..
 ولكن « ليست هناك غيمة لا تحمل الفضة » كما يقول المثل البريطاني الذي يمكن تطبيقه هنا : فان الضجة التي قامت حول افلاس هذه المسرحية في الحفلات الاولى قد ايقظت فضول الجمهور ، فاذا هو يحاصر نوافذ التذاكر ويقبل اقبالا منقطع النظر على مشاهدة المسرحية التي تثير هذه الضجة كلها !

وتطورت حاجاتها وتطور المجتمع ومع ذلك فلم تتطور اهداف التعليم ولا مناهجه ولا برامجه لتتلاءم وشروط الحياة الجديدة .. فما يزال التعليم النظري طاغيا اذ ان المدرسة الثانوية لا تعرف الا فرعين من فروع التعليم : ادبي وعلمي .. لقد حصل في لنهاج اكثر من اربع تعديلات في السنوات الثلاث الماضية ومع ذلك لم تتحسن السياسة التربوية لان كل التعديلات السابقة هي ترميم لنظام عتيق بال . فالدولة قد اخذت فوق كفايتها من الموظفين بل استطيع ان اجزم بان وضع حملة الشهادات قد اخذ يشكل ازمة ، فهم يتزايدون كل عام بينما تقلل امكانيات التوظيف بشكل ظاهر . وقد اصبح وضع الطبقة المتوسطة التي تحترم العلم وتطمح الى رفع مستوى ابنائها ، وضعا محرجا تجاه سياسة التعليم النظري ، فانت ترى الطالب يائسا قبل ان يدخل الجامعة . انه يتساءل : ليس امامي سوى الاداب والحقوق فايها اجدى ؟ والحق ان مستقبله في كف عفريت .

اما اذا كان من الفرع العلمي فليس امامه سوى الطب او كلية العلوم .. وهذه الاخيرة انشئت لتخريج اساتذة علوم الا ان حاجات المجتمع المتزايد قد افسحت لطلابها فرصا ذهبية واتاحت لهم ان يخدموا بلادهم فسي مختلف الحقول العلمية البسيطة .. ومن ان اتجه الطلاب الثانويين بميل اكثر نحو الفرع العلمي ومع ان حاجة البلاد تشتد اليهم فان كلية العلوم لم تتوسع ولم تتجاوب مع هذه الموجة الطاغية بل ان موقفها من امال الجيل الطالع ومن متطلبات التطور الصناعي لموقف يدعو الى الاسف ولا يقع اكثر العبء في ذلك الا على ميزانيتها الضئيلة التي اضطرت المسؤولين - حرصا على مستوى التعليم فيها - ان يسدوا الابواب في وجوه الطلاب بان يرفعوا معدل علامات القبول الى حدود عالية جدا . وهذا الحل ليس في صالح الكلية ولا غيرها ، في حين ان كلية الحقوق مثلا قد واجهت كثرة الطلاب بانشاء فروع حديثة فيها ، فاضيفت كلية التجارة الى كلية الحقوق وكلية التربية الى كلية الاداب . وعلى كل حال فان هذه الاجراءات لم تعد تحل اية مشكلة اذ ان المسؤولين لم يقدموا على قلب سياسة التعليم وتبني اهداف جديدة حتى الان .

يجب ان يكون الهدف الجديد للتربية والتعليم تخرج عمال اختصاصيين للمصانع والصناعات الحديثة والبدء بذلك منذ المرحلة المتوسطة بل والابتدائية . ان الاقليم الشمالي قد عرف مشاريع الخمس سنوات والسير حسب سياسة مخططة مرسومة ، بعد قيام الوحدة ، ونرجو ان يشمل التخطيط الصناعي الجديد مناهج التعليم ويكون البدء بانشاء مدارس متوسطة للصناعات منذ العام القادم على غرار مدارس « البوليتكنيك » في اوربا ، كما يرق ذلك باحداث كليات للكهرباء ، والميكانيك فنستغني عن ايفاد البعثات الى البلاد الاجنبية ونوفر على طلابنا غير المقبولين مشقة السفر على حسابهم الى البلاد الاجنبية ففي المانيا الغربية وحدها اكثر من خمسمائة طالب سوري في مختلف الفروع العلمية ، ولا نضع جهود طلاب العلوم بتحويلهم الى كليتي الاداب او الحقوق بل نفسح المجال لامكانياتهم العملية كي تستفيد منهما بلادنا عوضا عن استيراد خبراء اجانب .

حول الاحرف العربية

الناحية التكنيكية

لكي نستطيع اجراء نقد للاحرف العربية يتوجب علينا اتخاذ مقياس حي يمكننا به تقرير حقائق مجردة . فلو اخذنا الجمال مقياسا لتعسر علينا التفصيل بين اللغات المختلفة وللاصطدنا بنسبية الجمال . اما لو انتقلنا الى ناحية اخرى : الناحية التكنيكية فاننا نقف على حقائق راهنة مستندة الى مقياس حي : الاقتصاد في الوقت وفي المادة . وامامنا ناحية اخرى جديرة بالاعتبار وهي تتعلق بالمجهود البصري . لقد لاحظ كثيرون من ابناء البلاد العربية ان وجود الصور المتعددة لكل من الاحرف العربية له مساوئ مملوسة عندما ندخل في نطاق المطبعة او في نطاق الآلة الكاتبة . فالمطبعة مثقلة بالعدد الهائل من الاحرف الذي يتطلب مجهودا اكبر من قبل اليد العاملة علاوة عن نجميد راسمال اكبر ومكان اوسع . كما انه لا يخفي على احد ان الطباعة على الآلة الكاتبة العربية اصعب منها على الآلة الافرنجية (الاحرف اللاتينية) وان ثمن الآلة العربية نسبيا باهظ .

وقد حاول كثيرون منذ زمن طويل اختصار الاحرف المستعملة في الطباعة صورة واحدة للحرف العربي عوضا عن الصور الثلاث المتعلقة بالول الكلمة وبوسطها وبآخرها .

ناحية المجهود البصري

ان الانسان يقوم بمجهود لتمييز الاحرف بعضها عن بعض وخصوصا ما كان متشابها منها فمجهوده اكبر للتمييز بين الباء والتاء منه بين الباء والكاف مثلا وسهولة التمييز بين صورتين تتعلق بزيادة الفوارق نسبة الى الاقسام المشتركة بينهما .

فما هي وضعية الاحرف العربية بالنظر لهذا المقياس الحسي ؟ ان المقارنة بين الاحرف العربية بعضها مع بعض يؤدي الى نتائج مختلفة جدا من حيث سهولة التمييز . فبعض هذه النتائج يشهد تفوق الاحرف العربية على الاحرف اللاتينية والبعض الاخر يشهد العكس .

فلو قارنا مثلا حرفي الميم والنون في اللغة العربية بالحرفين اللذين يعبران عن نفس الاصوات في الاحرف اللاتينية لتبين لنا في نتيجة المقارنة تفوق الاحرف العربية اذ ان الفوارق بين الحرفين العربيين بارزة جدا وبكاد لا يوجد جزء مشترك بينما بينا في الحرفين اللاتينيين يوجد جزء مشترك لا بأس به .

وبالعكس لو قارنا حرفي الراء والزين العربيين بالحرفين اللاتينيين المعبرين عن نفس الاصوات لكنت النتيجة تفوق الاحرف اللاتينية بدون ريب اذ ان المشترك بين الحرفين العربيين عظيم جدا ونحصر الفوارق فقط بنقطة في القسم الاعلى من احد هذين الحرفين .

ونلاحظ في الاحرف العربية بعكس الاحرف اللاتينية التناهي في التشبه بين بعض الاحرف والتناهي في التباين بين البعض الاخر . ولا يجوز القول ان خير الامور الوسط بل يجب ان يكون الهدف الاسمي عند واضعي الاحرف الوصول الى التناهي في التباين بين جميع الاحرف بعضها مع بعض .

تعديل الاحرف العربية

يتوجب علينا وفقا لما شرحناه تعديل الاحرف العربية :

١ - بتوحيد الصور الثلاث للحرف الواحد بصورة واحدة

٢ - بادخال فروق جديدة بين الاحرف المتشابهة جدا مع بعضها البعض اي الاحرف التي لا تفرق عن بعضها الا بالنقط .

وقد حاولت ذلك في الاحرف المختصة بالآلة الكاتبة مستهدفا غاية البساطة اي التقرب من الاحرف الشائعة بقدر الامكان حتى لا يتفر ذوو الذوق العربي منها . وقد فرقت بين الاحرف التي لا تفرق عن بعضها البعض الا بالنقط وذلك بتعديل طفيف في جسم الحرف المنقط فيظهر كما لو كان الصق عليه نقط بشكل يكون فيه جزء من النقطة مشتركا مع جسم الحرف والجزء الاخر من النقطة نائفا عنه . وقد جعلت هذا الجزء الاخير من النقطة متجها نحو الاسفل او نحو الاعلى حسب موضع النقطة من الحرف ولم الغ النقاط بشكل من الاشكال . وهذا التفريق هو مبدئي ويمكن زيادته فيما بعد . ولم اجعل الاحرف كلها بعرض واحد اذ لم استطع ذلك بشكل يحترم الذوق العربي . هذا وانني لا ادعي ابتكار فكرة توحيد صور الحرف العربي الثلاث

وكان العرب ، قبل الاسلام وبعده يتجرون مع الصيت ، وكانت لهم جاليات في سومطرة واندونيسيا و جاوة ، وقد وصلوا الى جزر فيليبين التي تقع في المحيط الهادي شرقي جنوب اليابان .

وهم في انسياحهم هذا ، سوا ، قبل الاسلام ام بعده ، انما كانوا يبيعون بالتجارة ثم بالهجرة ، وكانوا ينقلون توابل اسيا وجواهرها مثل اللؤلؤ الى افريقيا واوروبا .

وقصة نقل التوابل والجواهر هي في الواقع قصة التبادل الثقافي في العصور القديمة ، ثم في العصور الوسطى بين الشرق والغرب .

بصورة واحدة اذ قام كثير غربي بذلك ، غير انني فمت بهذه المهمة بشكل يالقه العربي .

ان هذا التعديل يسهل استعمال الآلة الكاتبة العربية ويؤدي الى تخفيض ثمنها والى تخفيض المجهود البصري في القراءة علاوة عن جمال الخط الجديد . ويمكن تطبيقه للطباعة بوجه عام .

سعدالله عويضة

صدر حديثا عن دار المكشوف

الرؤوس

مجموعة الفصول الرائعة التي كتبها نقاد العصر الشهير

مارون عبود

في تاريخ الادب العربي واعلامه

طبعة ثانية ، ورق فاخر

لا غنى عنه لطالب او قارئ

فهرست

العدد الثامن - آب (اغسطس) ١٩٥٩ - السنة السابعة

•

الناتج الجديد

- ٤٥ «الشعر والشعراء في السودان» .. روز غريب
٤٥ «خمر الشباب» يوسف حوراني
٤٧ الحزن في كل مكان (قصة) ياسين رفاعية

قرأت العدد الماضي من الآداب

- ٥٥ القصائد الدكتور زكي المحاسني
٥٦ القصص مطاع صفدي

مناقشات

- ٦٣ الشعر العربي ودعاة التجديد اسماعيل عدره
٦٤ امتنا وحرية الفكر احمد صدقي الدجاني

النشاط الثقافي في الغرب

- ٦٨ فرنسا معركة الجزائر الفكرية
٦٩ الاتحاد السوفياتي {معارضة اهرنبورغ
البناء}

- ٧٠ انكلترا نجم بين التالقي والخمود

النشاط الثقافي في الوطن العربي

- ٧٢ الاقليم الشمالي {انحو سياسة التعليم
الصناعي}

صندوق البريد

- ٧٩ حول الاحرف العربية عبدالله عويضة

- ١ ثورتنا تموز الدكتور سهيل ادريس

كتاب الشهر

- ٣ «دريس» {تأليف جانين اوربانو
ترجمة وتلخيص
الدكتور سهيل ادريس}

- ١٣ لوليتا (قصيدة) نزار قباني

- ١٥ الربع الحلال (قصة) فاضل السباعي

- ١٧ الشعب احلى قصيدة (قصيدة) مجاهد م.ع. مجاهد

مسرحية الشهر

- ١٨ عدو الشعب {بقلم هنريك ايسن
ترجمة عصام صفدي}

- ٢٢ في الشعر محيي الدين صبحي

- ٢٣ الطائر المغفر (قصيدة) هارون هاشم رشيد

- ٢٤ حول تاريخنا في اسبانيا الدكتور خالد الصوفي

- ٢٨ تموز الذي مر بالامس (قصيدة) ناجي علوش

- ٣٠ الشمس باردة في خط الاستواء (قصة) جان الكسان

- ٣٣ الفارس المصابوب (قصيدة) فارس فويدر

- ٣٤ هؤلاء علموا سلامه موسى غالي شكري

- ٤٠ العرجي (قصيدة) زكي فنصل

- ٤١ النهر ميت (قصة) زكريا تامر

- ٤٣ رسالة الى مناضل عثمان سعدي

اوروبا



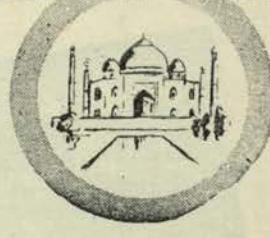
الشرف الاوسط



باكستان



الهند



راجہ راجہ کلا دہلوی شریک طیارہ لائن کے لبرٹری اوسط بیرون

مارٹن ڈیویس - نائیٹ عبور - ٹلہونے ۴۱۲۱۲/۳/۵/۵

اسٹن جیروٹ - نائیٹ ملک سام - ٹلہونے ۴۳۹۳۹

شایع عروٹ لہرز - نائیٹ کیتی - ٹلہونے ۴۱۲۴۰

مکتب استقبال و سفیر المسافرین

شایع محمد شرفی - نجاد ارنیو المینے - ٹلہونے ۵۱۰۴۰



فانیکاوت

طیارہ الشرف الاوسط

أَكْبَرُ أَدَبِيَّةٍ فِي الْعَالَمِ تَرْوِي قِصَّةَ مُبَاهِلِهَا
فِي

مَذَكَّرَاتُ فَتَاةٍ صُغِيرَةٍ

بِقَلَمِ سَيِّمُونِ دُرُوفُورِ

قِصَّةُ الْحَيَاةِ كُلِّهَا بِأَفْرَاحِهَا وَمَأْسِيَّاتِهَا
وَتَلَوُّ جَيِّدٍ مِنَ الشَّبَابِ الْحَائِرِ
حُبِّ مَعَذِبٍ تَعَانِيهِ الْكَاتِبَةُ يَنْتَهِي بِفَاجِعَةٍ

سَيِّمُونِ دُرُوفُورِ تَرْوِي قِصَّةَ لِقَائِهَا بِالْفِيلَسُوفِ
الرُّومِيَّيْنِ هَانِ بُولُ هَارَرِ وَتَقُولُ: «فَصِيرَتِي تَرَكْتَنِي فِي
مَطْلَعِ آبَةِ كُنْتِ الْعَالَمِ أَنَّهُ لَنْ يَخْرُجَ مِنْ هِيَاثِي بَعْدَ الْيَوْمِ»
نُصِّرَتْهُ فِي تَرْجُمَةٍ رَقِيقَةٍ أُنِيقَةٍ دَارَ الْعَالَمِ لِلْمَلَارِئِينَ